

من أدب الدعوة الإسلامية

٤

وإلوه

أَقْبَسُ

فِي مَنَهاجِ الدَّعْوَةِ وَتَوْجِيهِ الدُّعَاةِ

بَيَانٌ وَشَعْرٌ

عبد الرحمن بن جندب الميمني

والقلم

رسم

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

دار القلم

للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص. ب. : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص. ب. : ١١٣/٦٥٠١

وبولاء

أَقْبَلُكُمْ

فِي مَنَاجِ الدَّعْوَةِ وَتَوْجِيهِ الدُّعَاةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الرحيم الرحمن، خلق الإنسان، علّمه البيان، العليّ الأعلى الذي أنزل القرآن، معجزاً بالحقّ والهدى والبيان والبرهان.

والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، من أعطاه الله أحكم أسلوب هادٍ، وأفصح لسان، وآتاه جوامع الكلم وفصل الخطاب، وأهدى تبيان.

والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ومن اتّبعتهم بإحسان.

وبعد: فقد كنت دعوت في كتابي: «مبادئ في الأدب والدعوة» إلى ضرورة استخدام الأدب في الدعوة إلى الله، باعتبار الأدب أحد وسائل التأثير الجمالي في النفس الإنسانية، وأحد وسائل الإعلام الرفيع، وباعتباره سلاحاً بيانياً فعالاً في كثير من الأحيان، واقتداءً بالقرآن العظيم المعجز في بيانه، وبالرسول الخاتم الذي كان أفصح العرب الذين كانوا أفصح الناس، وكان أعلاهم بياناً، وأقدرهم على التأثير بكلامه البليغ، في كلّ من أنصت إليه، أو استمع إلى حديثه، وتأسيّاً بسائر الأنبياء والمرسلين الذين كانوا أبلغ أقوامهم كلاماً، وأعلاهم بياناً وحُجّة وتأثيراً.

ولمّا كان الشعر وجهاً من وجوه البيان الرفيع، جاء في الكلام المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم:

«إنَّ من الشعر لحكمة، وإنَّ من البيان لسحراً».

وعملًا بما دعوتُ إليه، واستخدماً لموهبة الشعر التي منحني الله منها طرفاً، فقد كنتُ أصدرت بتوفيق الله وعونه، ديوان «آمنت بالله» وديوان «ترنيمات إسلامية» في سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

وقد رأيت الحاجة ماسة إلى تعريف الدعاة بمنهاج الدعوة إلى الله، وإلى تقديم نماذج من الأساليب البيانية الشعرية في موضوعات الدعوة، فكتبتُ مجموعة من القصائد ضممتها ما اهتمت إليه من قواعد وأصول هذا المنهاج، وحركة السير فيه، اقتباساً من القرآن العظيم، ومن هدي الرسول الكريم في قوله وعمله وسيرته. وانتقيتُ ممَّا كتبت من شعر في موضوعات الدعوة إلى الله مجموعة من القصائد اعتبرتها نماذج أدبية شعرية، ملتزمة فيما أظنَّ حدود قواعد وأصول وحركة سير هذا المنهاج، في مضامينها.

ولذلك قسمت هذا الديوان إلى قسمين:

□ القسم الأول: جمعت فيه قصائد كتبتها حول منهاج الدعوة إلى الله.

□ القسم الثاني: جمعت فيه قصائد كتبتها في موضوعات مختلفة من موضوعات الدعوة، ورأيت أنها مناسبة لتكون نماذج أدبية شعرية، ملتزمة بمنهاج الدعوة إلى الله، باعتبار مضامينها، أمَّا تقويمها الأدبي فهو للنقاد وأهل الذوق الشعري وليس لي.

وقد جعلت هذا القسم مشتملاً على فصلين:

* الفصل الأول: قصائد كتبتها وألقيتها بدمشق، في احتفالات توجيه إسلامي، كان قد أقامها والذي العلامة المربي الداعية المجاهد الشجاع الشيخ حسن جبنة الميداني، الذي كانت له جمعية باسم «جمعية التوجيه الإسلامي» وكان له معهد شرعي للذكور ومعهد شرعي للإناث باسم: «معهد التوجيه الإسلامي» رحمه الله عزَّ وجلَّ وأجزل مثوبته، وجعله في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

* الفصل الثاني: قصائد كتبها في ظروف مختلفة أو مناسبات استثارت إلى كتابتها.

أَسْأَلُ اللهَ العَليَّ القَديرَ أنْ يَنْفَعْ بهِ، هَدياً، وإِرشاداً وَلَفْتَ نَظَرَ، وَيُمتعَ بهِ ذَوَاقَ جِمالٍ أدَبيٍّ يَأْخُذُ بِيَدِهِ تَذَوُّقَ الجِمالِ الأدَبيِّ إلى رَؤيةِ الحَقِّ والِاقتِناعِ بأنَّه حقٌّ، واتباعه، وإلى رَؤيةِ الباطلِ، والِاقتِناعِ بأنَّه باطلٌ، واجتِنابه.

اللَّهُمَّ أعزِّ دينَكَ، وانصر أوليائك، واصلح أحوال المسلمين، واستعملنا في أمراضِكَ، ووقفنا فيما تستعملنا فيه إلى أفضل عمل يرضيك عنا، وتمنحنا به رضوانَكَ في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إِنَّكَ سميعٌ مجيبٌ.

اللَّهُمَّ سَدِّدْ خُطَا الدُّعَاةِ إلى سَبيلِكَ، حتَّى يَلتزموا مَنهاجَ الدَّعوةِ الذي هَدَيْتَ إليه، ويَجْنُوا ثَمَراتَ التَّزامِهِ في الدُّنيا تَأثِيراً في عِبادِكَ، وتَأْليفاً لِقُلُوبِهِمْ على دينِكَ، وفي الآخرة ثواباً جَزِيلاً وأَجْراً عَظِيماً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مكة المكرمة:

أواخر شهر جمادى الآخرة

سنة ١٤٠٥ هجرية

عبدالرحمن حسن حنكة الميداني

القسم الأوّل

قصائد

كتبتها ونشرت طائفة منها

حول منهاج الدّعوة

مقدمة

للدعوة إلى الله منهاج ذو قواعد وأصول وحركة سير، هدى الله إليها في كتابه المجيد، وهدت إليها سنة الرسول ﷺ، في القول والعمل والسيرة العطرة.

وعلى الدعاة إلى الله أن يتبعوا هذا المنهاج القويم ليجنوا ثمرات أعمالهم يانعات طيبات، وليغنموا ثواب الله وأجره العظيم في اتباع منهاج الدعوة الذي رسمه لهم، وليحموا أنفسهم من إحباط العمل بمخالفته، ومن السؤال والحساب والمؤاخذه إذا سلكوا في دعوتهم إلى الله سُبُلًا منفرة، واتخذوا أساليب غير حكيمة من شأنها أن تصدّ عن سبيل الله، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وفي هذا القسم طائفة من القصائد أودعتها بأسلوب أدبي ما ألهمني الله من قواعد وأصول وحركة سير هذا المنهاج، وقد اقتبستها من القرآن العظيم، وسنة الرسول الكريم ﷺ في قوله وعمله وسيرته، راجياً أن يستفيد منها الدعاة الذين يمارسون الدعوة، والدارسون الذين يُعدّون أنفسهم للقيام بواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

وإنّي في بيان هذه الوصايا أنصح نفسي أولاً، فأبنائي الطلبة، ثم إخواني على طريق الدعوة إلى الله.

وإنّي أعلم أن الحق لا مجاملة فيه ولا مDAHنة، ولكن يعرض بأسلوب حكيم، دون تجريح ولا تشهير، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل، إنّ ربّي على صراط مستقيم.

روى البخاري عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب
يوم خيبر بعد أن أعطاه الراية:

«انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام،
وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً
خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم».

حُمْر النعم: أكرم أصناف الإبل عند العرب.

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي رافع، أن النبي ﷺ قال:
«لأن يهدي الله على يدك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس
وغربت»^(١).

(١) أشار السيوطي إلى أنه حديث حسن «في الجامع الصغير».

حَمَلَ اللهُ المسلمين مسؤولية تبليغ دين الله للناس، وسيقدمهم يوم الدين للشهادة على الناس بأنهم قد بلغوهم دين الله لهم، ولذلك جعلهم الله عدولاً، أُمَّةً وسطاً، فهم بمجموعهم معصومون عن الانحراف الكلي عن دين الله، وعن التحريف والتغيير فيه.

فالرسول يوم القيامة شهيد على من بلغ، والمسلمون في كل عصر شهداء على الناس بأنهم قد بلغوهم دين الله لهم، بمقتضى الخيرية والعدالة التي منحهم الله إياها.

دَلَّ على هذه الحقيقة قول الله عز وجل في سورة (البقرة ٢):

﴿وكذلك جعلناكم أُمَّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (الآية ١٤٣).

وسطاً: أي عدولاً.

لتكونوا شهداء على الناس: أي لتبلغوا دين الله للناس كما بلغ الرسول، ولتدعوا إلى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة كما دعا الرسول، فتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس بأنكم بلغتوهم الرسالة، وأديتم إليهم الأمانة، كما يكون الرسول ﷺ شهيداً على من بلغه مشافهة أو مراسلة في حياته.

وقول الله عز وجل في سورة (آل عمران ٣):

﴿كنتم خير أُمَّةٍ أخرجت للناس. تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله﴾ (الآية ١١٠).

أي: كنتم إذ اجتباكم الله واختاركم واصطفاكم خير أُمَّةٍ أخرجت

للناس، فالاجتباء للرسول بالنبوة والرسالة، والاجتباء لأمة الإجابة المسلمين الذين آمنوا بمحمد ﷺ قد كان لحمل رسالته، يبلغون الناس جميعاً، ويدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

وقد أخرجهم الله من بين الناس لحمل هذه الوظيفة الربّانية، وأعطاهم الله هذه الخيرية، بعد أن بين لهم ما يجب أن يتّصفوا به، ليكونوا حقاً خير أمة أُخرجت للناس.

وفي هذه القصيدة بيان لوظيفة التبليغ، والدعوة إلى سبيل الله، التي حمّلها الله المسلمين باعتبارهم أمة الدعوة، وما يجب عليهم في ذلك من دأب وصبر مهما كانت النتائج، وهي بعنوان:

«أمة الدعوة»

أُمَّةُ الدَّعْوَةِ

أُمَّةٌ نَحْنُ عُدُولُ جِنَمَا نُدْعَى شُهُودًا
أَيُّهَا الْمُسْلِمُ فَانْظُرْ مَا سَتُدْلِي مِنْ شَهَادَةٍ
بِاجْتِبَاءِ اللَّهِ مَنْ قَدْ أَسْلَمُوا صَانُوا الْعُهُودَا
لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ الْحَقِّ إِذْ يَقْضِي مَعَادَةَ
سَوْفَ تَأْتِي يَوْمَ عَرْضِ النَّاسِ فِي الْحَشْرِ شَهِيدًا
أَيُّهَا الْمُسْلِمُ فَاعْمَلْ عَمَلًا تَرْجُو حَصَادَةَ
أَنْتَ يَوْمَ الدِّينِ مَسْئُولٌ إِذَا كُنْتَ رَشِيدًا
عَنْ دُعَاءِ النَّاسِ أَنْ يَسْعَوْا إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ
إِنَّمَا التَّبْلِيغُ فَرَضٌ أَدَّاهُ قَوْلًا سَدِيدًا
دُونَ تَحْرِيفٍ وَتَبْدِيلٍ وَنَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ
فَإِذَا اسْتُدْعِيَتْ كَيْ تُسْأَلَ فِي الْحَشْرِ فَرِيدَا
أَوْ قَدْ بَلَغْتَ؟ أَوْ جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ جِهَادَةً
هَلْ تَرَى أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ. أَوْ كُنْتَ بَعِيدَا
لَمْ تُبْلَغْ. لَمْ تَكُنْ تَدْعُو إِلَى اللَّهِ عِبَادَهُ؟
أَنْتَ إِنْ لَمْ تَدْعُ خَلَقَ اللَّهُ لِلْحَقِّ رَشِيدَا
سَوْفَ لَا تُدْعَى بِيَوْمِ الدِّينِ مَعَ أَهْلِ الشَّهَادَةِ

(١٦ بيتاً)

مكة المكرمة في ٢٤/٦/١٤٠٥ هجرية

انتشرت أخطاء وأغاليط في أساليب الدعوة إلى الله، حتى صارت سجايا لكثير من المتصدّين للدعوة الإسلامية، وأساليب متبعة، يقلّد فيها هؤلاء المتصدّون بعضهم بعضاً، ويَحْسِبون أنهم يُحَسِّنون فيها صنْعاً، وأنهم يؤدّون فيها جهاداً في سبيل الله حسناً، مع أنهم يخالفون فيها منهاج الإسلام، وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويسبّون للدعوة، وينفرون كثيراً من الشباب عن الإسلام وهديه، وينصرون عصبيات وأنايات حزبية لا يرضى عنها الله ولا رسوله.

وقد أقامت عمادة شؤون الطلاب بجامعة أم القرى في أواخر العام الدراسي (١٤٠٢ - ١٤٠٣ هجرية) احتفالاً شاركت فيه بهذه القصيدة، تبصيراً وتوجيهاً حول منهاج الدعوة إلى الله، فيها توجيه ونقد، فالتوجيه شموع، والنقد دموع، والقلب يتحرّق، وهي بعنوان:

«شموع ودموع»

شموع ودموع

فَخَرْنَا جَامِعَةً فِيهَا الْأَمَلُ
أُمُّهَا أُمُّ الْقُرَى فِي حَرَمٍ
وَهَلِ الْأَمْصَارُ إِلَّا مُدُنٌ
بَكَّةُ أُمُّ الْقُرَى أَجْمَعِهَا
شَمْسُ خَيْرِ الرُّسُلِ مِنْهَا طَلَعَتْ
أُمُّهَا أُمُّ السُّهُولِ وَالْقُلَلُ
أَمِنْ مُنْذُ قُرُونِهَا الْأَوَّلُ
أُمُّهَا الْقَرْيَةُ يَا مَنْ قَدْ عَقَلَ
وَبِهَا أَوَّلُ بُنْيَانٍ حَصَلَ
وَبِهَا خَيْرُ كِتَابٍ قَدْ نَزَلَ

○ ○ ○

فَخَرْنَا جَامِعَةً قَدْ أُسِّسَتْ
كُلُّ كَلِّياتِهَا دَاعِيَةٌ
وَعَلَى الْبَاطِلِ كُلِّ حَامِلٍ
إِنَّمَا الدَّعْوَةُ أَبْوَابٌ وَفِي
مَا تَنَافَتْ فِي جِهَادِ دَعْوَةٍ
وَلِكُلِّ عَمَلٍ يُضْلِحُهُ
وَدَّعَاةُ الشَّرِّ مَهْمَا ابْتَكَرُوا
فِي رُبَا التَّقْوَى وَفِيهَا تَكْتُمِلُ
لِرِضَى رَبِّ الْوَرَى عَزَّ وَجَلَّ
مِشْعَلُ الْحَقِّ وَسَيْفُ الْعَدْلِ سَلَّ
كُلَّ بَابٍ جَيْشُ إِيْمَانٍ دَخَلَ
وَاخْتِصَّاصٌ فَلِكُلِّ مُهْتَبِلٍ (١)
وَلَكُمْ قَدْ دَخَلَ فِي مُدْخَلٍ
حِيَلًا أَبْطَلَهَا الدَّاعِي الْبَاطِلُ

○ ○ ○

إِنَّمَا الدَّعْوَةُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ
قُدْوَةٌ صَالِحَةٌ طَيِّبَةٌ
هِيَ قَوْلٌ لَيِّنٌ مُسْتَحْسَنٌ
فِي مَزِيَجٍ كَحَلِيبٍ وَعَسَلٍ
لَمْ يُخَالَفْ قَوْلُهَا سُوءُ الْعَمَلِ
يَلْمَسُ الْأَنْفُسَ لِمَسَاتِ الْقَبْلِ

(١) مُهْتَبِلٌ: مُغْتَنَمٌ. اهْتَبَلَ الشَّيْءُ اغْتَنَمَهُ، أَخَذَهُ بِسُرْعَةٍ.

مُحْتَوَاهُ دُرَّرَ الْعِلْمَ الَّذِي
وَعِظَاتُ حَسَنَاتٍ غُمِسَتْ
رُبَّمَا تُلْمَحُ مِنْ أَعْطَافِهَا
وَجَوَارُ مَنْطِقِي بِالنَّيِّ
يُعْجِبُ الْفِكْرَ وَيَخْلُو مِنْ خَلَلٍ
بِالنَّدَى الْحُلُوِّ وَوَرْدِي الْأَمَلِ
بَعْضَ مَا يَقْدِفُ فِي النَّفْسِ الْوَجَلَ^(١)
هِيَ خَيْرٌ فِي احْتِجَاجٍ وَجَدَلٍ

○ ○ ○

لَيْسَتْ الدَّعْوَةُ رَشْقاً لِلْوَرَى
أَوْ كَلَاماً مُعْجِباً يَنْقُضُهُ
فَلِسَانُ الْفِعْلِ أَقْوَى أَثَرَاً
مَنْ يُخَالِفُ فِعْلُهُ أَقْوَالُهُ
بِكَلَامٍ مِثْلِ أَحْجَارِ الْجَبَلِ
مِنْ ذَوِيهِ سُوءُ فِعْلٍ وَزَلَلٍ
مِنْ لِسَانٍ بَيِّنِ الْقَوْلِ دَلٍّ
شَاعِرٌ أَوْ تَاجِرٌ أَوْ مَا عَقَلَ

○ ○ ○

لَيْسَتْ الدَّعْوَةُ سَبّاً مُؤْذِياً
أَوْ ظُنُوناً وَارْتِيَاباً جَاهِلَاً
وَاتِّهَامَاتٍ وَدُعْرَاً نَافِراً
أَوْ صِرَاعاً آثِماً يَسْعَى إِلَى
أَوْ غُلُوّاً وَافْتِخَاراً بِالتُّقَى
وَاشْتِغَالاً بِالصَّغِيرَاتِ الَّتِي
أَوْ أَنَانِيَّاتِ نَفْسٍ هَمُّهَا
أَوْ كَلَاماً أَدْبِيّاً فَارِغَاً
أَوْ كَلَاماً عَاطِفِيّاً هَائِجَاً
أَوْ تَهَاوِيلَ وَدَجَلَاً خَادِعَاً
أَوْ تَرَانِيمَ وَزُهْداً كَاذِبَاً
وَأَنْفِعَالاً ثَائِراً لَا يُحْتَمَلُ
وَهُرُوباً وَانْصِرَافاً بِعَجَلٍ
نُفْرَةَ الْوَحْشِ إِذَا خَافَ وَضَلَّ
مَغْنَمٍ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا الْأَقْلَ
أَوْ مُبَاهَاةً وَمَنَا بِالْعَمَلِ
تَعْتَنِي بِالشَّكْلِ لَا الْأَمْرَ الْأَجَلَ
أَنْ تَرَى الْمَجْدَ لَهَا دُونَ جَدَلٍ
لَيْسَ فِيهِ غَيْرُ تَزْيِينِ الْجَمَلِ
تَافَهُ الْمَعْنَى كَمَا يَرْغُو الْجَمَلُ
بِتَعَاوِيدٍ وَسِحْرِ وَحِيلٍ
وَأَفَاعِيلَ تَوَارَتْ بِالْخَبَلِ

(١) الوجل: الخوف.

أَوْ خُرَافَاتٍ تَلَتْهَا بِدَعٍ تَحْرِفُ الدِّينَ وَتُغَيِّرِي وَتُضِلُّ

○ ○ ○

لَيْسَتْ الدَّعْوَةُ كِبْرًا مُحِبِّطًا عَمَلِ الدَّاعِي وَإِنْ فَاقَ وَجَلَ
رُبَّ دَاعٍ عُجْبُهُ يَنْفُخُهُ وَلَكُمْ عُجْبٌ تَمْطِي فَقَتَلَ

○ ○ ○

لَيْسَتْ الدَّعْوَةُ سَبْقًا لِلَّذِي فِيهِ وَفَرُّ الْمَالِ أَوْ وَفَرُّ الْكَسَلِ

○ ○ ○

إِنَّمَا الدَّعْوَةُ فَهْمٌ ثَاقِبٌ لِكَلَامِ اللَّهِ ذِي الْمَعْنَى الْجَلَلِ
وَاتِّبَاعٌ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي كُلِّ مَا قَالَ وَكُلِّ مَا فَعَلَ
غَيْرَ مَا كَانَتْ لَهُ خَالِصَةً خَصَّهُ الرَّحْمَنُ فِيهَا وَعَدَلَ

○ ○ ○

إِنَّمَا الدَّعْوَةُ كَذْحُ دَائِبٍ فِي أَنَاةٍ لَيْسَ يَعْرِوَهَا مَلَلٌ
رُوحُهَا الْحِكْمَةُ مَهْمًا وَاجِهَتْ مِنْ خُصُومٍ وَهِيَ صَبْرٌ وَأَمَلٌ
هِيَ وَالْيَأْسُ نَهَارٌ وَدُجَى فَإِذَا اللَّيْلُ أَتَى الضُّوْءُ ارْتَحَلَ
كُلَّمَا أَقْبَلَ يَأْسٌ مِنْ هُنَا بِدُجَاهُ فَعَظِيمٌ مَا أَفَلٌ

○ ○ ○

إِنَّمَا الدَّعْوَةُ عَظْفٌ صَادِقٌ وَحَنَانٌ وَعَظَاءٌ وَمَهْلٌ
إِنَّهَا بَذَلٌ وَإِثَارٌ وَكَمْ يُسْعِدُ الْبَاذِلَ فِيهَا مَا بَذَلُ
وَتَاخٍ مَعَ مَنْ يَدْعُو إِلَى مَنَهِجِ اللَّهِ بِرَأْيٍ مُحْتَمَلُ
إِنَّهَا جَمْعٌ وَتَأْلِيفٌ عَلَى سَاحَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ دَخَلُ
إِنَّهَا صِدْقٌ وَإِخْلَاصٌ لِمَنْ هُوَ يَجْزِي وَحَدَهُ عَزَّ وَجَلُ
لَا لِدُنْيَا. أَوْ هَوًى. أَوْ عُصْبَةٍ دُونَ أُخْرَى. أَوْ نِفَاقٍ أَوْ خَطَلُ

○ ○ ○

إِنَّ أَخْلَاقَ الرَّسُولِ الْمُجْتَبَى
بِهْدَاهُ أَيُّهَا الدَّاعِي اقْتَدِهِ
سِرْ عَلَى مِنْهَاجِهِ مُتَّبِعاً
وَلَكَ النِّعْمَةُ يَوْمَ الدِّينِ فِي

هِيَ لِلدَّاعِي حُلِيٍّ وَحُلَلٍ
وَابْتَغِ الْأُخْرَى. وَأَخْلِصْ فِي الْعَمَلِ
مُطْمَئِنّاً ثُمَّ خُذْ كَأْسَ الْبَطْلِ
جَنَّةِ الْخُلْدِ. وَرِضْوَانِ أَجَلٍ

مكة المكرمة في ٢٩ رجب ١٤٠٣ هجرية

(٥٥ بيتاً)

فكرة المعجزات وخوارق العادات، تستولي على مساحة كبيرة من تصورات ووجدانات دعائنا وشبابنا الإسلاميين، مع أن حكمة الله قد قضت بأن لا ينزلها أو يمدّها إلا بقدر، حتى لا يتكل المؤمنون عليها، فيتهاونوا باتخاذ كامل الأسباب، التي جعلها الله عز وجل من سننه التكوينية الدائمة، التي لا يخرقها إلا نادراً ولحكمة عظيمة.

والقاعدة التي هي الأصل: امتحان الناس ضمن نظام الأسباب. وقد نجم عن الغلط العظيم في هذا الأمر، تورط الكثيرين بأعمال لم يتخذوا لها أسبابها، ظانين أن وعد الله غير مشروط باتخاذها، فلما فشلوا عتب من عتب منهم على ربه، وشك من يعبد الله على حرف، وتراشق المتورطون الاتهامات.

ومنشأ ذلك هو الغلط في فهم سنن الله السببية التي لا تُعاند، وقصور الإدراك عن فهم دلالات النصوص المنزلة، وعدم النظر إليها جميعاً نظرة متدبرة شاملة، والاكتفاء بالنظر إلى بعضها، وأخذ قاعدة عامة شاملة منه.

وهذه القصيدة قد اشتملت على معالجة هذا الموضوع، كنت نشرتها في جريدة «الندوة» بعددها (٧٦٨٢) الصادر في يوم الثلاثاء ١٢ رمضان ١٤٠٤ هجرية، وهي بعنوان:

«سنن الله لا تُعاند»

سُنَنُ اللَّهِ لَا تُعَانَدُ

مَنْ حَادَ عَنْ سُنَّةِ اللَّهِ الْحَكِيمِ جَفَا
فَحَسْبُهُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ خَيْبَتُهُ
وَاللَّهُ يَغْمُرُهُ فِي فَيْضِ رَحْمَتِهِ
نَهَجَ الصَّوَابِ وَضَلَّ السَّعْيِ وَاقْتَرَفَا^(١)
وَمَا بِهِ حَلٌّ مِنْ بُؤْسٍ وَمَا أَسِفَا
إِذَا هُوَ اسْتَغْفَرَ الرَّحْمَنَ وَاعْتَرَفَا

○ ○ ○

مَنْ صَدَّ عَنْ سُنَنِ اللَّهِ ثَابِتَةٌ
فَطَاعَةُ اللَّهِ فِي إِعْطَاءِ سُنَّتِهِ
وُظِنَ أَنْ سَيُصِيبُ النُّجَحَ مَا عَرَفَا
مَا تَقْتَضِيهِ فَمَنْ لَمْ يَرَعْهَا جَنَفَا^(٢)

○ ○ ○

قُولُوا لِمَنْ يَنْتَعِي نَيْلَ النِّجَاحِ أَفْذُ
فَكُلُّ تَجَرِبَةٍ مَرَّتْ بِهَا عِظَةٌ
مَنْ يَتَّبِعْ سُنَنَ الْبَارِي كَمَا قُدِرَتْ
وَكَانَ مِمَّنْ تُصِيبُ الْحَقَّ حِكْمَتُهُمْ
فَرَأْيُهُ وَسَبِيلُ الرُّشْدِ مَا افْتَرَقَا
مَا زَادَ فَهْمًا وَلَكِنْ نَهَجُ خِطِّهِ
وَكَمْ تَرَى عَبْقَرِيًّا غَرَّهُ أَمَلُ
مِنْ كُلِّ تَجَرِبَةٍ مَرَّتْ لِمَنْ سَلَفَا^(٣)
تُغْنِي السَّفِيهَ وَتُعْطِي ذَا الْحِجَا تَرَفَا
وَلَمْ يُعَانِدْ أَصَابَ الدِّينِ وَالْهَدَفَا
وَكَانَ مِمَّنْ سَمَوْا بَيْنَ الْوَرَى حَصَفَا^(٤)
وَسَعْيُهُ وَبُلُوغُ الْقَصْدِ مَا اخْتَلَفَا
وَسُنَّةُ اللَّهِ فِي أَكْوَانِهِ ائْتَلَفَا
وَكَمْ تَرَى أَلْمَعِيَّا ضَلَّ وَانْجَرَفَا

○ ○ ○

(١) اقترف: يقال: اقترف الذنب إذا أتاه وفعله.

(٢) جنف: جار مائلاً عن الحق ومنهج الصواب.

(٣) أفذ: أي استفد.

(٤) الحصف: جودة العقل، والحصيف جيد العقل المحكم لأمره.

لِلَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ سُنَّةٌ قُدِرَتْ
 إِنْ لَمْ يَخْبُ خَيِّبَةً لِلنَّفْسِ مُهْلِكَةً
 مَا كَانَ أَغْنَاهُ عَنْ طَيْشٍ وَعَنْ سَفَهٍ
 لَا يَقْتُلُ الْوَحْشَ شَعْرٌ أَنْتَ نَاتِفُهُ

○ ○ ○

أَمَّا الَّذِينَ طَغَوْا فِي أَرْضِنَا وَبَغَوْا
 وَاللَّهُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَسْتَعِدَّ لَهُمْ

مِنْ مُرْهَبَاتِ الْقَوَى مَا دَكَّ أَوْ عَصَفَا
 وَأَنْ نُهَيِّئَ أَسْبَاباً مُبَيَّنَةً
 فِي سُنَّةِ اللَّهِ حَتَّى نُذِرَكَ الْهَدَفَا
 وَنَسْتَعِيدَ بِفَضْلِ اللَّهِ عِزَّتَنَا
 وَالسَّبْقَ وَالْمَجْدَ وَالْإِقْبَالَ وَالشَّرَفَا

○ ○ ○

فَإِنْ تَبَّ وَنَعُدْ مُسْتَغْفِرِينَ لَهُ
 نَجِدُهُ ذَا رَحْمَةٍ كُبْرَى عَفَا وَشَفَى

(٢١ بيتاً)

مكة المكرمة: غرة رجب ١٤٠٤ هجرية

كثير من الدعاة لا يعرفون من أسباب الدعوة إلا الهياج الانفعالي، والخطابة الحماسية، والتهويل في الأمور، صفائر كانت أو كبائر، وسوق الناس جميعاً بعضاً واحداً، ولا يحسنون من الوعظ غير أسلوب الترهيب، ولا يرون الدعوة إلى الله إلا وعظاً.

مع أن سنن الله السببية كثيرة جداً، والوعظ أحد هذه الأسباب، ويسبق الوعظ التعليم والإقناع بالحقيقة. والناس أصناف وأنواع، ولكل صنف منهم سبب يلائمه ويؤثر فيه.

وهذه القصيدة تعالج منهاج السببية في الدعوة إلى الله. وقد سبق أن نشرت في جريدة «الندوة» بعددها (٧٧٦٦) يوم الاثنين (٢٩) من ذي الحجة (١٤٠٤ هـ) وهي بعنوان:

«مهاج السببية في الدعوة إلى الله»

منهاج السببية في الدعوة إلى الله

يَا دَاعِيَ اللَّهِ أَتَبِعَ فِي الْهُدَى سَبِيًّا
فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ خُذْ سَبِيًّا
وَاخْتَرِ لِكُلِّ بَعِيدٍ مَا بِهِ جُلِيًّا
لِنَفْسٍ مَنْ تَرْتَجِي أَنْ يَقْبَلَ الطَّلَبَا

النَّاسُ فِي الْأَرْضِ أَصْنَافٌ وَكُلُّ هَوًى
وَمِنْهُمْ عِبْدٌ مَا يَهْوَى فَفَكَّرْتُهُ
فِيهِمْ لَهُ سَبَبٌ تَلْقَاهُ مُحْتَجِبًا
وَالْعَزْمُ وَالسَّعْيُ كُلُّ قَدْ نَبَا وَكَبَا

لَا تَحْسَبِ الْحَقَّ يَكْفِي أَنْ تُطَالِبَهُمْ
وَأَنْ تَقُولَ لَهُمْ: أَنْتُمْ عَلَى خَطَاٍ
وَمَنْهَجُ الْخَيْرِ مَا أَوْضَحْتُ فِي كَلِمِي
وَتَاهَ فِي آيٍ وَادٍ مُهْلِكٍ وَسَعَى
فَكَمِ مِنَ النَّاسِ يَذَرِي فَوْقَ مُرْشِدِهِ
بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ نَهْجًا وَمُطَلَبَا
وَالْحَقُّ عِنْدِي وَإِيمَانٌ بِهِ وَجَبَا
مَنْ سَارَ فِيمَا سِوَاهُ ضَلَّ وَاعْتَرَبَا
لِبُؤْسِهِ وَعَلَى عَرْنِينِهِ انْقَلَبَا
مَعَالِمِ الْحَقِّ. لَكِنْ رَغَمَ ذَاكَ أَبَى

فِي أَنْفُسِ النَّاسِ حَاجَاتٌ مُنَوَّعَةٌ
أَقْسَى الْوُحُوشِ لَهَا أَشْيَاءُ تُؤْنِسُهَا
فَتَسْتَجِيبُ لِمَا تُدْعَى لَهُ رَغْبًا
وَيَنْتَقِي ذُو الْهُدَى مِنْ طُعْمِهَا سَبِيًّا
بِهَا تُرَوِّضُ حَتَّى تُتَقِنَ اللَّعِبَا
عُمَرًا وَحِينًا تَرَاهَا أَدْعَنْتُ رَهْبَا

مَنْ صَدَّهُ الْكِبَرُ قَدْ تُدْنِيهِ تَكْرِمَةٌ
وَكَمْ عَطَاءٍ لِذِي جَاهٍ بِأَمَّتِهِ
وَرُبَّ نَاءٍ لَهُ فِي الْجَاهِ بَعْضُ هَوًى
وَكَانَ مَا نَالَهُ مِنْ جَاهِهِ سَبِيًّا
وَمَنْ جَفَا لِهَوًى لَمْ يَجْفُ إِِنْ رَغْبَا
بِهِ اهْتَدَى قَوْمُهُ وَاسْتَبَعُوا جَلْبَا
إِنْ تُعْطِهِ مِنْهُ وَافَى مُقْبِلًا خَبِيًّا
لِرُشْدِهِ فَاهْتَدَى لِلْحَقِّ وَاقْتَرَبَا

وَرُبَّ وَاصِبٍ نَفْسٍ سَادَهُ طَمَعٌ
وَصَرِفِ الْأَمْرِ فِي الْأَسْبَابِ إِنْ خَفِيتْ
فَدَاوَهُ مِنْهُ حَتَّى يَطْرَحَ الْوَصْبَا (١)

○ ○ ○

مَنْ يَتَّبِعْ مِنْهَجَ الْأَسْبَابِ مُعْتَمِداً
أَمَّا مَنْ اشْتَدَّ وَاسْتَعْصَى عَلَى سَبَبٍ
لَا تَتَّخِذُهُ عَدُوّاً ظَاهِراً أَبَداً
فَإِنْ عَدَا فَاتَّخِذْ مَا شِئْتَ مِنْ سَبَبٍ
فَإِنْ تَجِدَهُ اسْتَكَانَتْ نَفْسُهُ رَهْباً

○ ○ ○

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ أَعْصَابٌ تَشُدُّ بِهَا
مَنْ خَانَهُ حَوْلُهُ صَانَتُهُ حِيلَتُهُ
الْكَيْدُ يَصْنَعُهُ ذُو قُوَّةٍ فَطِنٌ
فَاجْمَعْ لِكَيْدِكَ مَكْراً ضِدَّ أَهْلِيهِمَا
بِسُنَّةِ اللَّهِ فِي الْأَسْبَابِ أَجْمَعِهَا

○ ○ ○

هَذِي أَسَالِيبُ رُسُلِ اللَّهِ أَجْمَعِهِمْ
أَجْرُ الْمُحَارِثِ فِي أَرْضٍ يَقُومُ بِهَا
وَقَدِيمِ النُّورِ تَهْدِي فِيهِ ذَا بَصَرٍ
وَاطْلُبْ رِضَى اللَّهِ فِي الْإِرْشَادِ وَاخْشِ إِذَا

(٣٢ بيتاً)

تركيا - شوك شدره - في ١٧ شوال ١٤٠٤ هجرية

(١) الوصب: المرض، والواصب المريض.

(٢) حرباً: الحَرْبُ الغضبان المنذفع للمحاربة.

(٣) قُضْباً: جمع قضيب، وهو نوع من السيوف.

التدرج إحدى سنن الله السبئية، في نظامه التكويني، وإحدى سنن الله التشريعية، في تنزيل شريعته لعباده، وهو إحدى سنن الاجتماع البشري التي تخضع لها الظاهرات الاجتماعية، بمقتضى سنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فالتعليم يجب أن يسير وفق نظام البناء المتدرج شيئاً فشيئاً، والتربية يجب أن تسير وفق نظام البناء المتدرج شيئاً فشيئاً، وكذلك التوجيه الديني والدعوة إلى الله.

وتكوين الجماعات والأمم يجب أن يسير وفق نظام البناء المتدرج شيئاً فشيئاً.

وهكذا كلُّ بناء أو إنشاء مادي أو معنوي، يجب أن يسير وفق هذه السُّنة، لأنها سنة الله التي جعل كلَّ مكوّناته خاضعة لها؛ وترك سنة التدرج، وابتغاء الطفرة معاندة لسنة الله، وتجاوز حدودها، وسبب من أسباب الفشل الذي يصاب به العاملون.

وقد عاجلت هذه القصيدة سنة التدرج في الدعوة إلى الله، وهي بعنوان:
«سنة التدرج في الدعوة إلى الله»

سنة التدرج في الدعوة إلى الله

نَاشِدْتُكَ اللَّهُ أَنْ لَا تَرْكَبَ الْعَجَلَ
يَا دَاعِيَا لِسَبِيلِ اللَّهِ كُنْ فَطْنًا
سِرٌّ بِالتَّدْرِجِ فِيمَا أَنْتَ تُنْشِئُهُ
وَأَنْ تَكُونَ رَشِيدًا تَتَّبِعِي الزَّلَالَ
وَاجْعَلْ هَذَا كِتَابَ اللَّهِ وَالرُّسُلَا
تَكُنْ رَشِيدًا وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْأَمَلَا

○ ○ ○

اللَّهُ رَبُّ. وَنَهَجُ الرَّبِّ تَنْشِئُهُ
الْخَلْقُ يُنْشِئُهُ فِي سُنَّةٍ قُدِرَتْ
قَمِ اشْهَدِ النَّبْتَ. وَالْأَحْيَاءُ أَجْمَعَهَا
وَبَاطِنَ الْأَرْضِ. وَالْأَفْلَاكُ أَجْمَعَهَا
عَلَى التَّدْرِجِ. إِنْ قَوْلًا. وَإِنْ عَمَلًا
فَرَاقِبِ الْخَلْقَ تَشْهَدُ مُتَقَنًا جَلَلًا
وَالسُّحْبَ. وَالطِّينَ. وَالْأَلْمَاسَ وَالْجَبَلَا
وَكُلَّ شَيْءٍ عَلِمْنَاهُ. دَنَا وَعَلَا

○ ○ ○

هَلْ لِلْفُجَاءَةِ مِنْ أَحْدَاثِهَا مَثَلٌ
مَا تَلَقَّ مِنْ حَدَثٍ إِلَّا لَهُ سَبَبٌ
وَاللَّهُ أَنْزَلَ آيَاتٍ مُنْجِمَةً
فَكَانَتْ الْأُمَّةُ الْمُثَلَّى بِجُمْلَتِهَا
مَنْ ذَا يُقَدِّمُ مِنْ أَحْدَاثِهَا مَثَلًا؟
سُبْحَانَ مَنْ رَتَّبَ الْأَسْبَابَ وَالْعِلَلَا
مُسْلَسَلَاتِ الْهُدَى. فَاسْتَقِرَّ مَا نَزَلَا
مِنْ أَسْفَلِ الْجَمْعِ حَتَّى تَبْلُغَ الْقُلَلَا (١)

○ ○ ○

فَبِالتَّدْرِجِ تَقْفُو نَهَجَ خَالِقِنَا
لَا يُرْفَعُ السَّقْفُ مَا لَمْ يُبْنِ حَامِلُهُ
فَتَبْلُغِ الْمُرْتَجَى. أَوْ تَتَّبِعِي الْخَطَلَا (٢)
وَلَا بِنَاءَ لِمَنْ لَمْ يُرْسِ مَا حَمَلَا

(١) القُلل: جمع قُلَّة، وهي قِمَّةُ الجبل، وأعلى الرأس.

(٢) الخطل: الخفة والسرعة. والكلام الفاسد الكثير. وخطل السهم ذهابه يميناً وشمالاً بعيداً عن هدفه بسبب السرعة وعدم الأناة.

لَا تَبْنِ إِلَّا إِذَا أَسَسْتَ رَاسِخَةً مِنْ الْقَوَاعِدِ وَاسْتَكْمَلْتَهَا عَمَلًا

○ ○ ○

وَجَاهِلٍ يَتَنِي صَرْحًا عَلَى جُرْفٍ هَلَّا حَمَى جُهْدَهُ لَوْ أَنَّهُ عَقَلَا
فَكَمْ تَسَامَى بِنَاءً فِي شَوَاهِقِهِ فَانْهَارَ مِنْ أُسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا اكْتَمَلَا

○ ○ ○

أُسُّ الْأَسَاسِ لَصَرَحِ الدِّينِ مُعْتَقَدٌ فِي الْفِكْرِ وَالْقَلْبِ. لَا تَبْلُو بِهِ خَلَلًا^(١)
عُنْوَانُهُ حِينَ يَسْتَوْفِي عَنَاصِرَهُ أَذَقُ لَفْظٍ مُحِيطٍ يَمْنَعُ الدَّخَالَ^(٢)
أَلَسْتَ تَبْصُرُ فِي «الْإِيمَانِ» جَوْهَرَ مَا تَرْجُو الْعَقَائِدُ مِمَّا قَلَّ أَوْ جَزَلَا
عُمُقُ الْفَوَادِ سَلِيمِ الطِّيِّ مَوْطِنُهُ وَبِالْحَيَاةِ يُمَدُّ الْقَوْلُ وَالْعَمَلَا
مَضْمُونُهُ فِي مَجَالِ الْفِكْرِ مَعْرِفَةٌ مِنَ الْيَقِينِ الَّذِي فِي الْغَيْبِ قَدْ دَخَلَا
وَهُوَ اعْتِرَافٌ إِرَادِيٌّ إِذَا قَبِلْتَ بِهِ الْإِرَادَةُ سُلْطَانًا حَلَا وَعَلَا
مُوجَّهًا. أَمْرًا بِالْعَدْلِ. مُنْبِعًا لِلْخَيْرِ مَهْمَا يَجِدُ لِلْخَيْرِ مَدْخَلَا^(٣)
مِنْ جَوْهَرِ الْحَقِّ قَدْ صِغَتْ أَعْنَتُهُ بِهَا يُكْفِكِفُ عَنْ أَصْحَابِهِ الزَّلَلَا
الْعِلْمُ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانُ يَتَّبَعُهُ أَسَاسُ دِينِكَ. فَأَبْنِ الدِّينَ مُكْتَمَلَا
مَهْمَا اسْتَقَرَّ لَكَ الْإِيمَانُ فَأَبْنِ عَلَى أَسَاسِهِ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ. ثُمَّ عَلَى...
ثُمَّ أَرَقْ شَيْئًا فَشَيْئًا صَاعِدًا دَرَجًا مِنَ الْبِنَاءِ رَصِينًا. وَاحْذَرِ الْعَجَلَا
فَكَمْ عَجُولٍ كَبَا مِنْ ضَعْفِ رُؤْيَيْهِ وَذِي أَنَاةٍ أَصَابَ الرُّشْدَ وَالْأَمَلَا

○ ○ ○

مَنْ صَحَّ إِيْمَانُهُ أَضْحَى تَصَرُّفُهُ أَشَدَّ حِرْصًا عَلَى مَا بَرَّ أَوْ عَدَلَا
وَكَانَ مَرْكَبُهُ فِي بَحْرِ فِتْنَتِهِ تَقْوَى الْمُهَيِّمِينَ مَهْمَا حَلَّ وَارْتَحَلَا
قَدْ شَدَّهُ لِنِهَآيَاتِ الْهُدَى طَمَعُ وَصَدَّهُ الْخَوْفُ عَنْ مَهْوَاهُ فَاعْتَدَلَا

(١) لَا تَبْلُو بِهِ خَلَلًا: أَي لَا تَكْشِفْ بِهِ خَلَلًا بَعْدَ امْتِحَانِهِ وَاجْتِبَارِهِ.

(٢) الدَّخَلُ: فَسَادُ الدَّاحِلِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْغَدْرِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْعَيْبِ غَيْرِ الظَّاهِرِ.

(٣) مَدْخَلًا: مَكَانًا يُدْخَلُ مِنْهُ وَلَوْ بِكَلْفَةٍ. أَوْ هُوَ مَصْدَرٌ مِمِّيٍّ مِنْ ادْخَلَ عَلَى وَزْنِ (افْعَلْ).

لَمْ لَا. وَإِيمَانُهُ يُرْجِي رَجَاهُ إِلَى
لَمْ لَا. وَإِيمَانُهُ بِاللَّهِ يَمْنَحُهُ
بِهِ النَّفِيسَانِ مِنْ نَفْسٍ وَمَا مَلَكَتْ
لَمْ لَا. وَإِيمَانُهُ بِاللَّهِ يُلْجِمُهُ
فَالْحُبُّ يُخْجِلُهُ حِينًا. وَيُطْمِعُهُ
لَمْ لَا. وَإِيمَانُهُ يُعْطِيهِ كُلَّ رِضَى
أَمَّا يَرَى أَنَّ مَا قَدْ بَاتَ يَكْرَهُهُ
وَأَنَّ مَا بَاتَ مِنْ دُنْيَاهُ يَعْشُقُهُ
فَفِي الْمَسَرَّاتِ حُسْنُ الشُّكْرِ مِنْهُ تَلَا

جَنَاتٍ خُلِدَ. بِهَا السَّعْدُ الَّذِي اكْتَمَلَا؟
فَيَضَا مِنَ الْجُودِ مَهْمَا طَبَعُهُ بَخْلًا؟
قَدْ يُبْذَلَانِ. لِيَرْضَى دُو نَدَى وَعَلَا
عَنِ الْمَزَلَّاتِ. إِنْ حُبًّا. وَإِنْ وَجَلَا؟
وَالْخَوْفُ يَرْدَعُهُ أَنْ يَرْكَبَ الْخَطَلَا
عَنِ الْقَضَاءِ. فَيَلْقَاهُ بـ «حَيِّ هَلَا»؟
قَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ مُسْعِدًا جَلَلًا؟
لَرُبَّمَا كَانَ شَرًّا فِتْنَةً وَبَلَا؟
وَفِي الْمَكَارِهِ حُسْنُ الصَّبْرِ مِنْهُ حَلَا

○ ○ ○

أَقْبَاسُ مِنْ مَعْدِنِ الْإِيمَانِ أَقْدَحُهَا
شِعْرًا. وَأَنْثَرُهَا فِي سَمْعٍ مِنْ عَقَلَا

(٤١ بيتاً)

تركيا - شوك شدره في ١٣ شوال ١٤٠٤ هجرية

روى الإمام مسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ

قال:

«إِنَّ الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه».

وفي رواية: «إِنَّ الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله».

وروى مسلم عنها أيضاً، أن رسول الله ﷺ قال لها:

«عليك بالرفق، وإِيَّاكَ والعنف والفحش، فَإِنَّ الرفق لا يكون في شيء إِلَّا زانه، ولا يُنزَعُ من شيء إِلَّا شانه».

وروى مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي، أن النبي ﷺ قال:

«من يُحَرِّمِ الرِّفْقَ يُحَرِّمِ الخَيْرَ كُلَّهُ».

أي: يحرم خير العمل الذي استخدم فيه العنف، وانعدم فيه الرفق، وذلك لأن أسلوب العنف أسلوب لا يأتي بخير.

وقد كان رسول الله ﷺ في دعوته، وفي أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر رفيقاً، ولم يكن عنيفاً، وكذلك كان أنبياء الله ورسله، وبذلك ملكوا القلوب بالحبّة، وَلَمْ يُطَوِّعُوا الرِّقَابَ بالإرهاب، إِلَّا من ظلم وطغى فَإِنَّه يناله العقاب جزاءً وفاقاً.

ويحلو لبعض الدعاة إلى الله استخدام وسيلة العنف، ومواجهة الناس بالعصا، ووجه منقبض، ولفظ فظ، لأنهم لم يتدربوا على خُلُق الرفق بالناس،

وحسن مؤانستهم ومعاشرتهم، والتودُّد لهم، وامتلاك قلوبهم بالبشر والمحبة،
فينفر الناس منهم، ومن دعوتهم، ومن نصائحهم، ومن أمرهم بالمعروف ونهيهم
عن المنكر. والعنف أسلوب مدخول بسوء خلق وجفاء طبع، إن لم يكن دافعه
الكبر والعجب بالنفس.

ويزيد الأمر سوءاً حينما يكون هؤلاء جهلة بالدين، يهرفون بما لا يعرفون،
ويُفتنون بما لم يأذن به الله، ويُقدِّمون عن الدين صورة سيئة في أقوالهم وأعمالهم.
وهذه القصيدة تعالج منهج الرفق في الدعوة إلى الله، وفي الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر، وهي بعنوان:

«الرفق في الدعوة إلى الله»

الرفق في الدعوة إلى الله

مَنْهَجُ الرَّفْقِ مَنْهَجُ الرُّسُلِ يَا دُعَاةَ لِأَقْوَمِ السُّبُلِ

○ ○ ○

أَوَّلُ الْأَمْرِ دَعْوَةُ رَفَلَتْ^(١) وَتَهَادَتْ^(٢) بِأَبْدَعِ الْحُلَلِ
فِكْرَةٌ حَقٌّ تُزَيِّنُهَا حِكْمَةٌ كَالْمَاءِ وَالْعَسَلِ
فِكْرَةٌ فِيهَا أَدِلَّتُهَا حُلُوةٌ فِي السَّمْعِ وَالْمُقَلِ^(٣)
حُلُوةٌ فِي الْفِكْرِ مَا لَمَسَتْ مِنْهُ إِدْرَاكًا بِلا ثِقَلِ

○ ○ ○

ثُمَّ تَأْتِي بَعْدُ مَوْعِظَةٌ بَرِئَتْ مِنْ سَيِّئِ الْعِلَلِ
حَسَنَتْ فِي النَّفْسِ رِقَّتُهَا وَازْدَهَتْ بِالنَّاعِمِ الْخَضِلِ^(٤)
تَلْمَسُ الْأَطْمَاعُ آوِنَةً وَتَهْزُ الْقُلُوبُ مِنْ وَجَلِ
وَيُلِينُ الطَّبْعُ سَلْسَلُهَا بِجَمِيلِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
كَمْ تَرَى عَاصِيَةً طَاوَعَتْ لِلطِّيفِ لَيْنِ سَلْسَلِ

○ ○ ○

وَمَنْ اسْتَعْصَى عَلَى حِكْمَةٍ وَعَلَى الْمَوْعِظَةِ الْأَمْثَلِ
فَيُدَاوِي بِالْجِدَالِ الَّذِي يُقْنِعُ بِالْأَجْلَى وَيُلَاعِظُ

(١) رَفَلَتْ المرأة: جرت ذيل ثوبها وتبخترت.

(٢) تهادت المرأة: تمايلت في مشيتها.

(٣) المقل: جمع مقلّة، وهي شحمة العين التي تجمع السواد والبياض.

(٤) الخَضِل: الرطب الندّي الذي يرتشف نده.

لَا يُمَارَى. بَلْ يُدَارَى بِمَا يَزْدَانُ بِالْأَحْسَنِ وَالْأَفْضَلِ

○ ○ ○

فَوْقَ هَذَا كُلِّهِ أُسْوَةُ
الصَّبْرِ مِنْ أَوَّلِ أَخْلَاقِهَا
تَأْسِرُ بِالْأَكْرَمِ وَالْأَجْمَلِ
فَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ عَنِ الْأَرْذَلِ

○ ○ ○

هَذَا هُوَ الرِّفْقُ فَاْمْسِكْ بِهِ
وَتَابِعِ الْجَهْدَ بِحُلُوِّ الرَّجَا
وَحَازِرِ الْعُنْفَ وَلَا تَجْهَلِ
وَاسْتَخْدِمِ الْبَذْلَ وَلَا تَبْخَلِ

○ ○ ○

أَمَّا مَنْ اسْتَعَصَى فَلَمْ يَسْتَجِبْ
لَا تَشْغَلِ الْعُمَرُ بِهِ وَانْتَقِلْ
جَاهِدْ بِمَنْ تَرْجُو لَدَيْهِ الْهُدَى
عُمْرُكَ مَحْدُودٌ فَأَدْرِكْ بِهِ
ثُمَّ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ إِذَا
لَنْ يَعْذَمَ الْمَرْءُ نَجَاحاً إِذَا
مَنْ يَبْتَغِ اللَّهَ وَرِضْوَانَهُ
بِشَرْطٍ أَنْ يَلْزِمَ فِي سَعْيِهِ
أَمَّا مَنْ اخْتَارَ بَارَاءَهُ
فَدَعَاهُ لِلَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيِّ
لِغَيْرِ مُسْتَعَصٍ وَلَا تَعْجَلِ
وَبِالْعَيْنِ الصُّلْبِ لَا تَحْفِلِ
بَعْضَ الْأَمَانِيِّ وَانْتَهِزْ وَاعْقِلِ
جِئْتَ مِنَ الْأَسْبَابِ بِالْأَكْمَلِ
سَارَ عَلَى النَّهْجِ وَلَمْ يَعْدِلِ
فِي سَعْيِهِ يَغْمُرُهُ بِالْأَجْزَلِ
حُدُودَ مَا بَيْنَ فِي الْمُنْزَلِ
غَيْرَ سَبِيلِ اللَّهِ فَلْيَفْشَلِ

(٢٦ بيتاً)

تركيا - شوك شدره - في ١٤ شوال ١٤٠٤ هجرية

خاطب الله الذين آمنوا بقوله في سورة (الأحزاب ٣٣):
﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
وذكر الله كثيراً﴾ (الآية ٢١).

وخاطبهم بقوله عز وجل في سورة (المتحنة ٦٠):
﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم: إِنَّا
برءاء منكم ومِمَّا تَعْبُدُونَ من دون الله. كَفَرْنَا بِكُمْ. وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ
وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ
وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ. رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ *
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا. وَاعْفِرْ لَنَا. رَبَّنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ
اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الآيات ٤ - ٦).

وَأَنْبَى اللَّهُ عُلَمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ
(البقرة ٢):

﴿آتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ (الآية ٤٤)

فالمفروض في الداعي إلى الله أن يكون في أعماله وأخلاقه قدوة حسنة.

ولذلك جعل الله أنبياءه ورسله أسوة حسنة كاملة بالعصمة، مع أنهم قد
كانوا أسوة حسنة بمقتضى الاصطفاء.

حتى الرسول محمد ﷺ قد أمره الله بأن يقتدي بهُدَى الرُّسل الذين جاءوا من قبله، فقال له في سورة (الأنعام ٦):
﴿أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده. قل: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا. إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذَكَرِي لِلْعَالَمِينَ﴾ (الآية ٩٠).

فالداعي إلى الله مسؤول عن الاقتداء بالرسول ﷺ، ليكون هو قدوة حسنة لمن يدعوهم.

أما أن يأمر بالتقوى ويكون من أهل المعاصي الظاهرة، ويأمر بالبرّ ويكون من أبعد الناس عن أفعال البرّ، ويأمر بالخلق الحسن ويكون سيّئ الأخلاق فإنّ دعوته تكون مهنة غير مؤثرة في نفوس من يدعوهم.

وكذلك أمة الدعوة، يجب أن تكون قدوة حسنة فيما تدعو الناس إليه.

وليس كذلك كثير من المتصدّين للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وليس كذلك واقع حال الأمة الإسلامية المفروض فيها أن تكون أمة الدعوة، لذلك كان حال المسلمين لا يشجع الشعوب غير المسلمة على الدخول في الإسلام، مع أنّ واجب المسلمين أن يكونوا شهداء لله على الناس في التبليغ، وفي تقديم القدوة الحسنة لهم.

وهذه القصيدة تعالج القدوة الحسنة التي يجب أن يتحلّى بها الداعي إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نُشرت في جريدة الندوة بتاريخ ٦ محرم ١٤٠٥ هجرية وهي بعنوان:

«القدوة الحسنة»

القدوة الحسنة

أَيُّهَا الدَّاعِي اسْتَقِمْ. وَلْتَكُنْ
فَإِذَا كُنْتَ لَهُمْ أُسْوَةً
فَمَجْلِسُ يُغْنِيكَ عَنْ دَعْوَةٍ
وَمَثَلُ حَيٍّ لَهُ جَاذِبٌ
أَفْعَالُهُ السَّوْسَنُ فِي رَوْضِهِ
يُثِيرُ فِي النَّاظِرِ إِعْجَابَهُ
وَرُبَّمَا تَدْفَعُهُ غِبْطَةٌ
لِذَا اصْطَفَى اللَّهُ لَنَا رَسُولَهُ

قُدْوَةٌ لِلنَّاسِ مُسْتَحْسَنَةٌ
كُلُّ فِعْلٍ تَنْتَقِي أَحْسَنَهُ
فِي كَلَامٍ أَشْهُرًا أَوْ سَنَةً
يَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَلْسِنَةُ
مَنْ مَرَّ فِيهِ يَقْتَطِفُ سَوْسَنَهُ
فَيَسْتَهِي تَقْلِيدَ مَا اسْتَحْسَنَهُ
وَرُبَّمَا تَأْسِرُهُ مُحْسَنَةٌ
حَتَّى يَكُونُوا «أُسْوَةً حَسَنَةً»

تركيا، شوك شدره، في ١٥ شوال ١٤٠٤ هجرية

(٨ أبيات)

خاطب الله رسوله محمدًا ﷺ بقوله عز وجل في سورة (النحل ١٦): ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (الآية ١٢٥).

ويلحق بالرسول في هذا الخطاب الدعاة من أمته إلى سبيل الله. والحكمة في الدعوة تقتضي معالجة كل مدعو بما يلائمه، وبالوسيلة الأكثر تأثيراً على نفسه، ممّا هو مأذون به شرعاً.

ومعرفة الوسيلة التي تقتضيها الحكمة، تستلزم معرفة طبائع الناس، وخصائص الأفراد والجماعات والأقوام والشعوب، وتستوجب دراسات نفسية نظرية وميدانية، واختبارات تجريبية.

فالداعي الحكيم يؤلف الله عليه القلوب، ويجمع عليه النفوس، ويصلح به مفسدين، ويهدي به ضالين، «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً».

أما المحروم من الحكمة، فضرره في الدعوة إلى سبيل الله أكثر من نفعه، وربما كان منفراً، وفتاناً عن دين الله.

والناس أصناف شتى، فلكل شعب صفات وسمات متميزة ينفرد بها عن الشعوب الأخرى، ولكل فرد صفات وسمات متميزة ينفرد بها عن الأفراد الآخرين.

ومع اختلاف طبائع الشعوب والأفراد، يمكن تصنيف الناس في أصناف،

ويمكن بالتأمل والاختبار والتجربة وملاحظة النتائج، وسبر تجربة الوسائل، التعرف على الوسائل الأكثر نفعاً في معالجة كل صنف.

على أنّ الحكيم يجب أن يكون دائم الملاحظة، سريع التكيف، لمعالجة الأفراد من الصنف الواحد، بموجب فروقهم الفردية، واختيار الوسيلة الأكثر نفعاً وتأثيراً.

ولا يتحقق ذلك إلا بالتعلّم والتدريب الطويل، مع ضرورة وجود أصل الاستعداد الفطري، فبعض الناس من العسير عليه أن يقهر طبعه ويكون حكيماً، وهذا من الخير له أن لا يتصدى لدعوة ذات نطاق واسع.

وقد عاجلت هذه القصيدة توجيه الداعي لأن يكون حكيماً في دعوته، وهي بعنوان:

«الداعي الحكيم»

الداعي الحكيم

يَا دَاعِيًا بَعْضُ مَنْ تَدْعُو تُقَرِّبُهُ
تَظُنُّ أَنَّكَ تَهْدِيهِ وَتُصْلِحُهُ
وَسِيلَةً. وَسِوَاهُ قَدْ تَبَعْدُهُ
لَكِنَّ أُسْلُوبَكَ الْمَأْفُونُ يُفْسِدُهُ (١)

○ ○ ○

لَا تَحَسِبِ النَّاسَ أَمْثَالًا مُطَبَّقَةً
وَمَا أَفَادَكَ حِينًا خِلْتَهُ سَبِيًّا
فَإِنْ أَهَنْتَ وَأَكْرَمْتَ امْرَأً فَعَدَا
فَلَا تَقُلْ: هُوَ ذَا أَرْجَى وَسَائِلِنَا
لَكُمْ فَتَى إِنْ رَأَى أَدْنَى الْإِهَانَةِ لَمْ
عِلَاجُ إِصْلَاحِهِمْ أَمْرٌ تُحَدِّدُهُ
يُفِيدُ فِي كُلِّ أَمْرٍ أَنْتَ تَقْصِدُهُ
لَدَيْكَ طَبَقُ الَّذِي تَرْجُو وَتَرْصِدُهُ
فَأَنْتَ لِلنَّاسِ كُلِّ النَّاسِ تُرْصِدُهُ (٢)
يَصْبِرُ عَلَيْكَ. وَلَوْ أَقْبَلْتَ تَرْفِدُهُ (٣)

○ ○ ○

طَبَائِعُ النَّاسِ أَنْوَاعٌ مُقَسَّمَةٌ
إِنَّ الْحَكِيمَ يَرَى الْأَسْبَابَ أَجْمَعَهَا
وَكُلُّ قِسْمٍ لَهُ هَدْيٌ يُسَدِّدُهُ
فَيُصْطَفِي مَا بِهِ يُصْطَادُ مَقْصِدُهُ

○ ○ ○

أَمَّا الْعَصَا فَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهَا حُجْبًا
لَا تَطْلُبِ الْوُدَّ بِالْإِرْهَابِ تُغْلِنُهُ
رَأَيْتُ فِي النَّاسِ مَنْ بِالْعَقْلِ تُقْنِعُهُ
تُخَالُ مِنْهَا لِمَنْ يُرْجَى تَوَدُّدُهُ
الْوُدُّ كَالطَّيْرِ خَوْفُ الْقَنْصِ يُشْرِدُهُ (٤)
وَيَنْتَهِي بِبَيِّنَاتٍ تَرُدُّدُهُ

(١) المأفون: فاسد الرأي.

(٢) تُرْصِدُهُ: تُعِدُّهُ، يُقَالُ: أَرْصَدَ لَهُ كَذَا إِذَا أَعَدَّهُ لَهُ.

(٣) تَرْفِدُهُ: تَعْطِيهِ وَتَمْنَحُهُ.

(٤) يُشْرِدُهُ: يَطْرُدُهُ وَيَنْفِرُهُ، مِثْلُ يُشْرِدُهُ بِالتَّضْعِيفِ.

حَصَافَةُ الْفِكْرِ تُغْنِيهِ فَتَجْدِيهِ
وَبَعْضُهُمْ بَابُهُ فِي رُكْنٍ مَطْمَعِهِ
فَابْذُلْ لَهُ يَنْفَتِحُ مِنْ بَابٍ مَطْمَعِهِ
وَرَبِّ صُلْبٍ يَدُ التَّرْهيبِ تَعْطِفُهُ
لِلْحَقِّ. وَالنَّاسُ بِالْإِنْصَافِ تَحْمَدُهُ
مُفْتَحٌ لِاقْتِنَاصِ النَّفْعِ مُوَصَّدُهُ^(١)
وَادْخُلْ إِلَيْهِ لَعَلَّ الْجُودَ يُرْشِدُهُ
فَيَعْتَدِي مِثْلَ ذِي لَيْنٍ تَشَدُّدُهُ

○ ○ ○

فَكُنْ حَكِيمًا وَضَعْ لِلشَّيْءِ مُصْلِحَهُ
مَنْ يُوْتِ حِكْمَتَهُ نَالَ النَّجَاحَ بِهَا
وَكُلُّ ذِي عِبْقَرِيَّاتٍ مُمَيَّزَةٍ
الْعَزْمُ وَالْحِكْمَةُ الْمَرْجُو طَائِرُهَا
فَحِكْمَةُ الْمَرْءِ أَسْمَى مَا يُمَجِّدُهُ
حَصَادُهَا خَيْرٌ مَا يَجْنِي وَيَحْصُدُهُ
وَعَامِلٍ كَادِحٍ فِي النَّاسِ يَحْسُدُهُ
مَلَاكٌ قَصْدِكَ. وَالرَّحْمَنُ يُوجِدُهُ

(٢٠ بيتاً)

مكة المكرمة، في ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية

(١) مُوَصَّدُهُ: أي مُغْلَقُهُ، يقال: أَوْصَدَ الْبَابَ إِذَا أَطْبَقَهُ وَأَغْلَقَهُ.

يتصوّر بعض أصحاب النظر السطحيّ القريب أنّ الدّاعي إلى الله، إذا لم يظفر ظفراً مادّياً ضدّ الطغاة البغاة في الأرض، كان مهزوماً، ولم يحقّق الله له مطلوبه.

مع أنّ الحقيقة التي يراها أهل البصيرة، وتكشف للنّاس جميعاً بعد حين، أنّ مبادئ الطغاة هي التي تنهزم في نفوس الجماهير، ومبادئ الدعاة المضطّهدين، أو الذين استشهدوا في سبيل دعوتهم هي التي تنتصر في نفوس الجماهير، وتكون لها الغلبة والسلطان.

وتتساقط عروش الطغاة بعد حين، وتنتشر دعوة الدعاة الذين اضطّهدوا أو استشهدوا، وتكون هي المستولية على عروش القلوب والنفوس.

والدعاة إلى سبيل الله يجب أن يكون همّهم انتصار الدعوة، لا انتصار أنفسهم وجنودهم على جبابرة الأرض.

فإن جعلوا هذا هدفهم الأسمى كانوا مخلصين في دعوتهم حقّاً، وهداهم هذا إلى التزام منهج الله، وأخذ الأمور كلّها بالحكمة.

ثم إذا علم الله بحكمته أنه إذا نصرهم نصراً مادّياً على عدوّهم أقاموا دينه حقّاً، نصرهم النصر المادّي الذي يحبّون، وجعل لهم التمكين في الأرض، ومكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم.

أمّا إذا علم أنهم ليسوا أهلاً لذلك، فإنه يحجب عنهم النصر المادّي الذي يحبّون، ويقضي بانتصار دينه ولو بعد حين، ويأظّهاره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وهذه القصيدة تصحح مفاهيم بعض الدعاة الذين يظنون أن استشهاد
الدعاة هزيمة للدعوة، وتبين أن انتصار الدعوة ولو بعد حين أعظم وأجلّ من
انتصار الداعي انتصاراً مادّياً، وهي بعنوان:
«انتصار الدعوة وظهورها أعظم من ظفر الداعي»

انتصار الدعوة وظهورها أعظم من ظفر الداعي

يَا دَاعِيَ اللَّهِ لِلدَّاعِينَ أَسْبَابُ وَدُونَ أَنْفُسِ كُلِّ النَّاسِ أَبْوَابُ
مِنْهَا الرَّفِيقُ الَّذِي هَانَتْ مَفَاتِحُهُ وَبَعْضُهَا دُونَهُ شَوْكٌ وَحُجَابُ

○ ○ ○

نَفْسٌ كَبِيتٍ. وَنَفْسٌ قَرِيبَةٌ وَحِمَى أَوْ قَلْعَةٌ سَمَقَتْ. مِنْ دُونِهَا غَابُ
وَبَعْضُهَا مُدُنٌ تَاهَ الْغَرِيبُ بِهَا وَبَعْضُهَا وَاحَةٌ. وَالنَّاسُ أَضْرَابُ

○ ○ ○

فَإِنْ تُرِدْ دَعْوَةً فَاجْمَعْ لَهَا عُدَدًا مِنْ كُلِّ صِنْفٍ. وَلَا تُقْعِدْكَ أَنْعَابُ
وَمَنْ تَكُنْ نَفْسُهُ كَالْحِصْنِ مُمْتَنِعًا فَاحْتَلْ إِلَيْهِ. وَلِلْمُحْتَالِ أَسْبَابُ

○ ○ ○

إِنْ تَلْتَزِمَ يَهْدِي رَبِّ الْأَنَامِ تَجِدُ نَصْرًا. وَلَا يَنْفَعُ الْكُفَّارَ أَرْبَابُ
يُمِدُّكَ رَبُّكَ بِالْعَوْنِ الْخَفِيِّ وَإِنْ لَمْ تَحْتَسِبْهُ. وَبَعْضُ الْعَوْنِ إِرْهَابُ
النَّصْرُ يَأْتِي لِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَإِنْ كُنْتَ الشَّهِيدَ. وَإِنْ يَصْلُبَكَ غَلَابُ
فَرُبَّ دَاعٍ شَهِيدُ الْحَقِّ. حِينَ قَضَى قَامَتْ لَهُ دَوْلَةٌ. وَانْقَادَ مُرْتَابُ

○ ○ ○

وَدَوْلَةٌ مَذْهَبُهَا وَمَا لَهَا فِي بَقَايَا الْغَنَمِ أَسْلَابُ

○ ○ ○

تَذِيرُ رَبِّكَ بِاللُّطْفِ الْخَفِيِّ لَهُ سِرَّاهُ سِرًّا. وَلِلْآثَارِ إِعْرَابُ^(١)

(١) إعراب: إبانة وإظهار.

وَرُبَّمَا جَاءَتْ الْأُمْدَادُ ظَاهِرَةً وَشَدَّ أَرْكَ أَنْصَارُ وَأَصْحَابُ

○ ○ ○

فَكُنْ مَعَ اللَّهِ بِالْحُبِّ الْعَظِيمِ وَلَا تَيَأَسْ وَتَأَسْ. فَلِلرَّحْمَنِ أَحْبَابُ
هُمُ أَشَدُّ بَلَاءً فِي تَرْحُلِهِمْ لَكِنَّهُمْ أَسْعَدُ الرَّاغِبِينَ إِنْ أَبَا
وَكُنْ مَعَ اللَّهِ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَلَا تَعْجَلْ وَتُوْهِنَكَ مِنْ ذِي الْعُصْرِ أَنْيَابُ
وَاطْلُبْ أَجُورَكَ عِنْدَ اللَّهِ خَالِدَةً فَلِلدُّنَى وَمَتَاعِ الْأَرْضِ طُلَابُ

○ ○ ○

هَذِي مَعَالِمُ لِلدَّاعِينَ أَقْبِسُهَا مِمَّنْ هُمُ أَسْوَةٌ لِلنَّاسِ أَقْطَابُ
الرُّسُلُ وَالصَّحْبُ. ثُمَّ الْمُقْتَدُونَ بِهِمْ وَكُلُّ مَنْ نَهَرَهُ فِي الدَّهْرِ مُنْسَابُ

(١٩ بيتاً)

مكة المكرمة، في ٢١ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية

من قواعد الدعوة إلى سبيل الله توجيه العناية، للمقبل طالب الهداية، وعدم إثارة المعارضين المستكبرين في الأرض بالاهتمام، طمعاً بانضمام قوتهم إلى الإسلام، وانتصاره بهم، فالمقبل طالب الهداية ولو كان فقيراً أو ضعيفاً هو إنسان له حقّ السبق في مجال التزكية، فلا يجوز الاستهانة بحقه هذا، وإثارة غيره عليه، لاسيما حينما يكون غيره معرضاً مستكبراً. والمقبل طالب الهداية غنيمة يجب الإسراع بصيدها وتجنيدھا، ولم يصل حتى قطع شوطاً طويلاً. وهو أيضاً مقبل باندفاع ذاتي، فهو أخرى أن يكون ظهيراً نصيراً، وقوة ثابتة راسخة، وجندياً صادقاً من جنود الإسلام.

هذه القاعدة قد دلت عليها قصة عبدالله بن أم مكتوم مع رسول الله ﷺ.

روى الطبري بسنده عن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعبّاس بن عبدالمطلب، وكان يتصدّى لهم كثيراً، ويحرص على أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى، يقال له: عبدالله ابن أم مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبدالله يستقرئ النبي ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله علّمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وعبس في وجهه وتولى، وكره كلامه، وأقبل على الآخرين، فلما قضى رسول الله ﷺ، وأخذ ينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثم خفق برأسه، ثم أنزل الله:

﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعلّه يزكى. أو يذكّر فتتفعه الذكرى﴾.

فلما نزل فيه أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه، وقال له: «ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟» وإذا ذهب من عنده قال له: «هل لك حاجة في شيء؟». انتهى .
وكان يقول له إذا جاء إليه: «مرحباً بمن عاتبني به ربي». واستخلفه على المدينة مرتين، في غزوتين غزاهما.

وهذه القصيدة تعالج هذه القاعدة، وهي بعنوان:

«من قواعد الدعوة توجيه العناية لطالب الهداية»

من قواعد الدعوة توجيه العناية لطالب الهداية

هَدَيْ رَّبِّ الْوَرَى لِأَكْرَمِ بَرٍّ
عَلَّمَ اللَّهُ: أَنَّ مَنْ جَاءَ يَسْعَى
فَتَحَ الْقَلْبَ لِلْهُدَى فَتَصَيَّدَ
لَا تَظُنَّ الْغَنَى أَحْرَى وَأَوْلَى
هَوْلَاءِ الْأَعْلَوْنَ إِنْ لَمْ يَلِينُوا
إِنْ أَجَابُوا مِنْ بَعْدِ جَهْدِ جَهِيدٍ
يَبْدُ أَنَّ الْعُشَاقَ لِلْحَقِّ مَهْمَا
هُمْ بِنَاءِ الشُّعُوبِ فِي كُلِّ أَرْضٍ
وَإِذَا مَا تَكَاثَرُوا وَتَلَاقُوا
فَتَرَى الْجَاحِدَ الْمُحَارِبَ بِالْأَمْسِ
وَإِذَا لَمْ يُطِغْ وَظَلَّ عَنِيداً
يَتَوَارَى كَيْلًا يُصَادِمَ جَيْشاً
خُذْهُ يَا دَعِيّاً لِحَيْرٍ وَبِرٍّ
يَتَزَكَّى. فَهُوَ الْجَدِيرُ بِبُشْرِ
قَلْبِهِ مُؤْنَساً بِعِلْمٍ وَذِكْرِ
مِنْهُ بِالْهُدَى. تَرْتَجِي شَدَّ أَزْرِ
مِنْ قُلُوبٍ. ظَلُّوا بِنَزْعَةٍ كَبِيرٍ
فَسَيَبْقُونَ بَيْنَ مَدٍّ وَجَزْرِ
ضَعُفُوا فِي الْوَرَى إِفْهَمْ أَهْلَ نَصْرِ
وَجُنُودَ الدُّعَاةِ فِي كُلِّ عَصْرِ
عَظُمُوا فِي عُيُونِ قَادَةِ كُفْرِ
وَلَيْئاً يُطِيعُ مِنْ غَيْرِ قَسْرِ
فَسَيَأْوِي لِمَلْجَأٍ أَوْ لِحُجْرٍ
صَارَ ذَا قُوَّةٍ وَبَأْسٍ وَقَهْرٍ

○ ○ ○

قَائِدُ الْفَيْلَقِ الْعَرَمَرِمِ فِي «الْأَحْزَابِ» وَافَى فِي «الْفَتْحِ» طَالِبَ سِتْرٍ^(١)
مُسْلِمًا رَاضِيًا بِحِفْظِ وَأَمْنٍ وَسَعِيدًا إِذْ نَالَ لَفْظَةَ فَخْرٍ

○ ○ ○

(١) هو أبو سفيان بن حرب.

فَتَعَلَّمَ صَيْدَ الْقُلُوبِ بِرِفْقٍ وَتَلَطَّفَ فِي كُلِّ نَهْيٍ وَأَمْرِ
 مَنْ يُجِبُ دَعْوَةَ الْهَدْيِ بِارْتِيَاكِ فَتَصَيَّدَهُ وَاحْتَضَنَهُ بِحَجَرٍ
 وَإِذَا مَا أَبَى عَلَيْكَ زَعِيمٌ فَتَرَبَّصْ بِهِ. بِرِفْقٍ وَحَذَرٍ
 لَا تُوَاجِهُهُ بِالْعِدَاوَةِ مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ بِكَيْدٍ وَمَكْرِ

○ ○ ○

عَلَّمَ رَبِّي وَهْدِيهِ خَيْرُ هَدْيٍ فَاتَّبِعْهُ تَفُزْ بِأَعْظَمِ أَجْرِ
 كُلُّ رَأْيٍ سِوَاهُ ظَنٍّ ضَعِيفٌ يَتَهَاوَى لَدَيْكَ مِنْ بَعْدِ خُبْرٍ^(١)

مكة المكرمة في ٢٠ ربيع الثاني ١٤٠٥ هجرية

(٢٠ بيتاً)

(١) الخُبْر: بضم الخاء وسكون الباء الاختبار والتجربة. والعلم المستند إلى ذلك.

انحرافات وأخطاء كثيرة، فقد المسلمون بسببها مركز القيادة والسيادة، داخل معظم بلدانهم، حتى قفز إلى هذا المركز أعداؤهم وأعداء دينهم.

وطريق العودة إلى مركز القيادة والسيادة طويل، وله نظام سببي لا بد من الأخذ به لتحقيق الهدف المنشود، فالله عز وجل قد نظم كونه وفق قوانين الأسباب والمسببات، ومن ذلك الظواهر الاجتماعية، وثمرات الأعمال الإنسانية.

وهذه القصيدة قد تعرّضت لبيان شعري حول الانحرافات والأخطاء التي كانت الأسباب التي فقد بها المسلمون مركز القيادة والسيادة، وحول طريق العودة. وقد وضعت لها عنوان: «معالم على طريق العودة»

وأشير إلى أنني حذف هنا المقطع الأول منها، عسى أن أنشره في مناسبة ملائمة له، فالغرض هنا بيان منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة.

معالم على طريق العودة

يَا أُمَّةَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ وَالرَّشْدِ أَمَا كَفَتِكَ عِظَاتُ الْحَاضِرِ النَّكِدِ
تَرَكْتَ مِنْهَا جَ دِينَ اللَّهِ مُعْرِضَةً فَمَسَّكَ الضَّنْكَ فِي ذُلِّ وَفِي بَدَدِ

○ ○ ○

أَنْتِ الَّتِي كُنْتَ أَبْطَنْتِ^(١) الْعُدَاةَ وَقَدْ نَسِيتِ أَنْ عُدَّوْ الْأَمْسِ حَرْبُ عَدِ
مُنَافِقُ الْيَوْمِ . قَدْ تُغْرِيكَ بِسْمَتُهُ لَكِنَهَا بِسْمَةٌ تُنْبِيكَ عَنْ حَسَدِ
تُنْبِيكَ عَنْ حَسَدِ حَقْدٍ فِي الْفَوَادِ لَهُ مِنْ زُورِ قَوْلٍ وَفَعْلٍ مَكْرٍ مُحْتَشِدِ

○ ○ ○

لَمَّا تَوَجَّجْتَ بِالْإِسْلَامِ مَا فَتَيْتَ نُجُومُ عَزْلِكَ تَرْقَى الدَّهْرَ فِي صُعْدِ^(٢)
جَحَافِلُ الْحَقِّ تَعْدُو مِنْكَ فَاتِحَةً فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فَتَحَ الْفِكْرَ وَالْعُدَدِ^(٣)
لَدَيْكَ نُورَانِ : نُورُ الْهَدْيِ يَصْحَبُهُ نُورٌ مِنَ الْبَاسِ يَفْرِي مُظْلِمَ الزَّرْدِ^(٤)

○ ○ ○

وَمُذْ تَهَاوَنْتِ بِالذِّينِ الْخَنِيفِ عَدَا إِشْرَاقُ مَجْدِكَ يَهْوِي غَيْرَ مُتَّقِدِ
وَقَامَ فِي أَرْضِكَ الْبَاغُونَ يَصْحَبُهُمْ قَتْلٌ . وَمَكْرٌ . وَإِشَارٌ لِكُلِّ رَدِي
وَحَبْلُهُمْ فِي دِيَارِ الْكُفْرِ مُنْعَقِدٌ وَظَهْرُهُمْ فِي دِيَارِ الْكُفْرِ ذُو سَنَدِ

○ ○ ○

(١) أبطنت العداة: أي جعلتهم بطانة لك. تقول: أبطنت الرجل إذا جعلته من خواصك، وصاحب سرِّك.

(٢) صُعْد: جمع صُعود، وهي الطريق الصاعدة.

(٣) الجحافل: الجيوش. العُدَد: جمع عُدَّة، وهي الأسلحة.

(٤) الزَّرد: حلقات الدرع.

أَمَّا مَعَادُكَ لِلْعَالِيَاءِ مُشْرِقَةً
مُقَيَّدٍ بِصَرَاطِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ
فَرَهُنُ سَعْيٍ بِدَيْنِ اللَّهِ مُنْعَقِدٍ
هَوًى يَمِيلُ بِمَنْحَاهُ عَنِ الْجَدَدِ^(١)

○ ○ ○

لَا يَرْفَعُ الصَّرْحَ أَفْرَادٌ مُبَعَثَرَةٌ
كُفَاءَ النُّهُوضِ يَرْفَعُ الصَّرْحَ تَجْمَعُهُمْ
حَتَّى يَكُونُوا ذَوِي بَأْسٍ ذَوِي عَدَدٍ
قِيَادَةً تَمْزُجُ الْإِخْلَاصَ بِالرَّشْدِ
وَلَا أَعْلُوْ وَنَيْلُ الْمَجْدِ فِي الْبَلَدِ
مَا هَمُّهَا طَلَبُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا

○○ ○

مَلَامِحُ الضُّوءِ لَاحَتْ فِي السَّمَاءِ فَهَلْ
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ مِنْ حَدَثٍ
هَذَا الَّذِي لَاحَ نُورٌ مُؤَذِّنٌ بَعْدُ؟
وَكُلُّ آتٍ يُبَيِّحُ الظَّنَّ لِلرَّصِدِ^(٢)
وَلَا تَدْوَمُ شَدِيدَاتُ عَلَى أَحَدٍ
يَظُنُّ مَا سَوْفَ يَأْتِي ظَنٌّ مُعْتَقِدٍ
وَنَظَرَةُ الْمَرءِ لِلْأَسْبَابِ تَجْعَلُهُ
ثُمَّ الْحَوَادِثُ تَأْتِي وَفَقَّ خَبْرَتِهِ
وَمَنْ يُجَاهِدُ بِأَسْبَابِ الْحَوَادِثِ لَا
يَعْدَمُ نَتَائِجُهَا فِي الْغَيِّ وَالرَّشْدِ

○ ○ ○

يَا طَالِباً قِمِّمَا أَتَّبِعْ لَهَا سَبَباً
مَنْ عَاشَ بِالْوَهْمِ يَرْجُو نَيْلَ طَلِبَتِهِ
يَكْفِي لِتَبَلُّغِهَا مَعَ صَبْرٍ مُجْتَهِدٍ
مَنْ غَيْرِ أَسْبَابِهَا أَفْضَى إِلَى كَمَدٍ
وَلَمْ يُصَبَّ غَيْرَ فَيُضِرَّ الْحُزْنَ وَالنَّكَدَ
وَضَيِّعَ الْعُمَرِ فِي أَحْلَامِ صَحْوَتِهِ

○ ○ ○

لِلْحَيِّ حَظٌّ مِنَ الدُّنْيَا سَيَّلُغُهُ
أَمَّا النَّصِيبُ مِنَ الْأُخْرَى فَمُرْتَبِطٌ
بِكَسْبِهِ وَقَضَاءِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
بِسَعْيِهِ. وَبِفَضْلِ اللَّهِ فِي الْمَدَدِ

(١) الْجَدَد: المستوي من الأرض التي ليس فيها رمل ولا اختلاف. والطريق المستوية التي لا حَذَبَ فيها ولا وُعُوثَة.

(٢) الرصد: المترصدون.

يَا طَالِبًا مَنْزِلَ الْفَرْدَوْسِ خُذْ سَبِيًّا
لَا تَقْتَصِدْ فِي سَبَاقِ الْخَيْرِ مُتَكِلًا
إِلَيْهِ مِنْ مُرْضِيَاتِ اللَّهِ وَاجْتَهِدْ
مَنْزِلَ السَّبْقِ لَا تَسْعَى لِمُقْتَصِدِ

○ ○ ○

مَنْ لَمْ يُرِدْ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ نَهْجَ هُدًى
كُلُّ ابْنِ آدَمَ مَوْدُوعٌ أَمَانَتُهُ
لَكِنَّهُ يَوْمَ يَأْتِي لِلْحِسَابِ يَرَى
مَا طَارَ مِنْ طَائِرِ الْأَعْمَالِ يَلْزُمُهُ
مَا ظَنَّهُ هِينًا يَوْمَ الْبَلَاءِ وَلَمْ
وَلَا تَضَامُنَ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ
وَكُلُّ مُتَّبِعٍ فِي الْإِثْمِ مُنْفَرِدٌ
مَنْ ضَلَّ مُتَّبِعًا فَهُوَ الْمُرِيدُ وَقَدْ
فِي عَيْشِهِ. ظَلَّ فِيمَا ضَلَّ مِنْ جُدَدٍ (١)
يَخْتَارُ مَا شَاءَ فِيهَا غَيْرَ ذِي صَفَدٍ (٢)
كَشَفَ الْحِسَابِ دَقِيقَ الْحَصْرِ وَالْعَدَدِ
حَتَّى يُدَانَ. لُزُومَ الظَّلِّ لِلْجَسَدِ
يُهِمُّهُ أَمْرُهُ يَوْمَ الْجَزَا يَجِدُ
كُلُّ يَحَاسِبُ فَرْدًا غَيْرَ مُعْتَصِدِ
يَوْمَ الْحِسَابِ. فَلَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ
دَعَاهُ دَاعِي الْهُدَى حِينًا وَلَمْ يُرِدْ

○ ○ ○

وَمَنْ يَكُنْ هَمُّهُ إِنْقَادَ أُمَّتِهِ
صَرُحُ الْجَمَاعَةِ تَبَيَّنَ الْجَمَاعَةُ فِي
قَدْ يَعْمَلُ الْفَرْدُ فِي تَبْصِيرِ أُمَّتِهِ
لَكِنَّهُ لَيْسَ يَبْنِي وَحْدَهُ أَبَدًا
لَمْ تَصْنَعْ الْمُعْجَزَاتِ النَّاسِ بَلْ كَشَفَتْ
عَصَا لِمُوسَى لَهَا فِي الْبَحْرِ آيَتُهَا
وَنَفَخَ عِيسَى أَحَالَ الطِّينَ طَيْرَ رَبًّا (٣)
فَصَدُرُ أَسْبَابِهِ تَأْلِيفُ مُتَّحِدِ
تَعَاوُنِ صَادِقٍ. لَا جَهْدُ مُنْفَرِدِ
وَفِي قِيَادَتِهَا سَعْيًا إِلَى صُعْدِ
أَمْجَادِهَا دُونَ أَجْنَادِ يَدِ بِيَدِ
صِرَاطِهِمْ. فَمَنْ اسْتَهْدَى الصِّرَاطَ هُدًى
وَفِي الْحِجَارَةِ. لَا فِي كَافِرٍ جَعِدِ
لَكِنَّهُ لَمْ يُحَوِّلْ سُوءَ مُعْتَقِدِ

○ ○ ○

(١) الْجُدَدُ: الطرق والسبل.

(٢) الصَّفَدُ: القيد.

(٣) رَبًّا: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض.

يَا بَانِي الصَّرْحِ جَمِّعْ مُؤْمِنِينَ، لَهُمْ
وَاطْلُبْ رِضَا اللَّهِ فِيمَا أَنْتَ تُنْشِئُهُ
أَمَّا الْمُنَافِقُ فَاحْذَرْ مَكْرَهُ أَبَدًا
هَذِي نَصَائِحُ إِنْ طَبَّقْتَهَا فَعَسَى
مَا وَقْتُ عُمْرِكَ مِقْدَارُ التَّمَامِ فَخُذْ ٢

جِدُّ وَصَبْرٌ. وَتَابِعْ سَيْرَ مُتِّدٍ
وَالزَّمْ أَوَامِرَهُ. وَاحْذَرْ مِنَ الصَّيْدِ (١)
فَإِنَّهُ إِنْ يُصَادِفَ فُرْصَةً يَصِدِ
أَنْ يَكْمَلَ الصَّرْحُ فِي أَحْقَابِهِ الْجُدْدِ
مِنْ عُمْرِ آتٍ مِنَ الْأَحْفَادِ وَالْوَلَدِ

تركيا - شوك شدره في ٢٧ شوال ١٤٠٤ هجرية

(٤٩ بيتاً)

(١) الصَّيْدُ: الكبر والعجب بالنفس.



يغفل بعض الدعاة عن واجبهم في الدعوة، وهو التبليغ والتذكير، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والإنذار بعقاب الله، ويظنون أن من مهماتهم تحويل الناس عن الكفر إلى الإيمان، وعن اتباع الباطل إلى اتباع الحق، وعن سلوك سبيل الشر إلى سلوك سبيل الخير، وهذا أمر لم يجعله الله من مهمات رسله، ولم يكلفهم إياه، ولم يختره لنفسه، بعد أن قضت حكمته بأن يجعل الناس مختارين، ممتحنين في ظروف الحياة الدنيا، لا مجبورين، ولا مكرهين.

والنصوص القرآنية أكدت لرسول الله هذه الحقيقة في سبعة عشر نصاً في آيات مكة ومدنية.

ويضيق صدر بعض الدعاة إذا لم يستجب لهم إلا قليل مع أن ثوابهم عند الله عظيم.

وفي هذه القصيدة بيان لمهمة الدعاة، وأنّ وظيفتهم التبليغ، والهداية، والتذكير، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والإنذار بعقاب الله، والصبر في معالجة الناس، وعدم أخذ الناس بالإكراه والإجبار، وهي بعنوان: «مهمة الداعي إلى الله»

«مُهْمَةُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ»

أَنْتَ حَمَالٌ بَيَانٍ لِلْبَشَرِ
إِنَّمَا يَكْفِيكَ تَوْجِيهُ النُّذُرِ
يَسْتَجِبُ مِنْهُمْ سِوَى بَضْعِ نَفَرِ
أَنْجُمٍ مِثْلُ الثُّرَيَّا دُونَ عَشْرِ
بِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ بَحْرِ دُرٍّ
مَا بَدَا لِلشَّمْسِ أَوْ نُورِ الْقَمَرِ
تَأْسُ مَا عَانَدَ جَافٍ أَوْ هَجَرَ
يَنْقُصُ الْأَجْرُ إِذَا الْجَمْعُ كَفَرَ

○ ○ ○

أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ اذْكُرْ
لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ إِكْرَاهُ الْوَرَى
لَا تَقُلْ: جَاهَدْتُ فِي النَّاسِ فَلَمْ
كَمْ نَبِيٍّ حَظُّهُ مِنْ قَوْمِهِ
إِنْ هَدَى الرَّحْمَنُ شَخْصاً وَاحِداً
وَهُوَ خَيْرٌ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ
فَابْذُلِ الْجَهْدَ بِإِخْلَاصٍ وَلَا
إِنَّمَا الْأَجْرُ عَلَى الْجَهْدِ فَلَا

جَاءَ مِنْ حَقِّ وَهْدِي فِي السُّورِ
خَيْرٌ خَلَقِي اللَّهُ دَاعِيَنَا الْأَعْرَ
تَعْطِفُ الْأَنْفُسَ حَتَّى تُسْتَجِرَّ
بِحَسَانٍ مِنْ نَفِيسَاتِ الْعَبْرِ
هِيَ خَيْرٌ وَهْيَ أَسْمَى وَأَبْرَ
رَفَضَ الدَّعْوَةَ مِنْ بَعْدِ النُّذُرِ
هُوَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ حُرٌّ
يَتَحَمَّلُ وَزْرَهُ إِذْ لَا وَزَرَ^(١)

○ ○ ○

عَمَلُ الدَّاعِينَ تَبْلِيغٌ لِمَا
وَلِهْدِي الْمُصْطَفَى مِنْ رَبِّهِ
ثُمَّ تَذْكِيرٌ وَنُصْحٌ بِأَلَّتِي
وَعِظَاتٌ صَالِحَاتٌ شُجِنَتْ
وَرَفِيقٌ مِنْ جِدَالِ بَالَّتِي
أَنْتَ لَا تَمْلِكُ أَنْ تُجْبِرَ مَنْ
كُلُّ مَسْئُولٍ دَرَى وَاجِبُهُ
فَإِذَا اخْتَارَ سَبِيلَ الْغَيِّ فَلْ

(١) الْوَزَرُ: الْمَلْجَأُ.

أَلْفَ عَامٍ فِي قَطِيعٍ كَالْبَقَرِ
وَأَسْرَ الْقَوْلِ حِيناً وَجَهَرَ
فِي رَفِيقِ الْقَوْلِ . فِي أَسْمَى الْفِكْرِ
فَدَعَاهُ لِانْتِصَارٍ فَاَنْتَصَرَ
صَانَ مَنْ آمَنَ فِي ذَاتِ دُسْرِ

○ ○ ○

وَاضِحٍ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَاضْطَبِرَ
يَسْتَجِبُ إِلَّا قَلِيلٌ فَاَنْتَظِرْ
سَطَوَةَ يَمْلِكُ سُلْطَانَ الْقَدَرِ
وَاتَّقَى اللَّهَ وَأَصْغَى وَادَّكَرَ
وَاضِحٍ مِنْ دِينِهِ . لَا مَنْ قُسِرَ
لَوْ أَرَادَ الْجَبْرَ فِي الدِّينِ جَبَرَ
مَنْ يَشَاءُ مَا شَاءَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ
بِنَعِيمٍ . أَوْ عَذَابٍ فِي سَقَرٍ

إِنَّ نُوحًا قَدْ دَعَا النَّاسَ رُهَا
بِنَهَارٍ . وَبَلِيلٍ قَدْ دَعَا
فَإِذَا جُودِلَ أَوْفَى جَدَلًا
ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَيَّاسَهُ
أَرْسَلَ الطُّوفَانَ لِلْكَفَّارِ إِذْ

أَيَّهَا الدَّاعِي ادْعُ لِلَّهِ عَلَى
وَإِذَا طَالَ بِكَ الْأَمْرُ وَلَمْ
حَسْبُكَ اللَّهُ فَمَا أَنْتَ بِذِي
أَنْتَ دَاعٍ لِمَنْ اخْتَارَ هُدًى
مَنْ يُطِيعُ . مَنْ جَاءَ مُخْتَاراً عَلَى
هَذِهِ حِكْمَةُ رَبِّي فِي الْوَرَى
حِكْمَةُ اللَّهِ امْتِحَانٌ فَلْيُرِدْ
ثُمَّ يَجْزِي اللَّهُ فِي دَارِ الْجَزَا

(٢٩ بيتاً)

مكة المكرمة: في ٢٤/٦/١٤٠٥ هجرية

القسم الثاني

قصائد

كتبها في موضوعات مختلفة من موضوعات الدعوة

وفيه فصلان:

□ الفصل الأول: قصائد كتبها وألقيتها بدمشق في احتفالات توجيه إسلامي، كان قد أقامها والذي العلامة الربيعي الشيخ حسن حبتكة الميداني، رحمه الله عز وجل وأجزَلَ مَثوبته.

□ الفصل الثاني: قصائد كتبها في ظروف مختلفة.

الفصل الأوّل

قصائد كتبها في موضوعات من موضوعات الدعوة، وألقيتها بدمشق، في احتفالات توجيه إسلامي، كان قد أقامها والدي العلامة المربي المجاهد الشيخ حسن حبنكة الميداني، رحمه الله عزّ وجلّ وأجزّل مثوبته.

مقدمة

كان أبي رحمه الله يقيم احتفالاتٍ توجيهية، يقدّم فيها النموذج النافع الصالح، الخالي من البدع، يجدد فيها ذكريات أيام الرسول ﷺ.

وكانت هذه الاحتفالات التوجيهية تشتمل على خطابات، ومحاضرات، ومواعظ، وقصائد شعرية، ومدائح نبوية، تتضمن بيان محاسن الإسلام، وأخلاق الرسول ﷺ وصفوة أصحابه رضوان الله عليهم، وعرض صورٍ رائعات من أيام المسلمين الأولى وبطولاتهم، ومعالجة مشكلات قائمة معاصرة، والتنبيه على انحرافات المسلمين المعاصرين عن صراط الإسلام، وبيان أنها السبب في تمزقهم وضعفهم وتسلّط أعدائهم عليهم، وكانت لهذه الاحتفالات آثار نافعة جداً في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجميع شباب المسلمين على الخير.

وكان أبي رحمه الله يحرص على أن يدفع طلابه وتلاميذه وأبناءه للمشاركة في إحياء هذه الاحتفالات بخطاباتهم المرتجلة أو المكتوبة، ويدفع من لديه منهم موهبة شعرية أن يقدّم قصيدة شعرية من نظمه، وكنت واحداً من هؤلاء.

وكان عضد أبي الأيمن في الإعداد والتدبير عمي الشيخ صادق حنّكة الميداني، والشيخ حسين خطاب.

وكان أبي في أول أمره مع طلابه يكتب لهم الخطب والكلمات، وينظم أو ينتقي في الأكثر لهم القصائد الجيدة، ويدرّبهم على إلقائها، ثم يأمرهم بإلقائها

في الاحتفالات، تدريباً لهم على مواجهة الجماهير، ومخاطبتهم ونصحهم بجرأة وحكمة وأدب.

ثم كان يوجّه لهم النقد بعد الاحتفالات، فلا يدع كبيراً ولا صغيراً منهم دون أن يتابعه بالنقد، وكان لا يسامح بأيّ لحن في العربية، أو أيّ خطأ في آية أو حديث، وكان يحاسب على الأداء، وطريقة مخاطبة الناس بما يفهمون، وبالأسلوب الحكيم المؤثر غير المنفر، فإذا اشتد الخطيب في غير محلّ الشدة نبّهه، وإذا أطال من غير داعٍ للإطالة عاتبه، وإذا قدّم فكرة غير صحيحة صححها له، وهكذا إلى سائر وجوه النقد، ولكن دون تثبيط للهمة، فتخرج بذلك عدد من طلابه الخطباء.

وكان من عادتي في كثير من هذه الاحتفالات إلقاء قصيدة، وكنت في الغالب أنظمها لها خصيصاً، وأتعرّض فيها إشارةً أو تصريحاً لأحداث قائمة. وفي هذا القسم طائفة من هذه القصائد.

خرج المستعمر الفرنسي من سورية، وجاء حكم وطني، واجتمع المجلس النيابي الوطني وأراد وضع دستور للبلاد، وطالب علماء المسلمين بأن يكون دين الدولة الإسلام.

وقام جدلٌ في هذه الأثناء حول وضع الأقليات غير المسلمة في البلاد، وحول اقتباس قانون البلاد من القوانين المدنية الأوروبية.

وكان الاستعمار الفرنسي قد احتل على البلاد فألغى مادة: «دين الدولة الإسلام» ووضع بدلها مادة: «دين رئيس الدولة الإسلام».

وكان أكثر أعضاء المجلس النيابي المنتخبين من خريجي المدرسة العلمانية الأوروبية، والمتأثرين بالغزو الفكري الوافد.

وفي هذه الأثناء انطلق خطباء المساجد المثقفون، يطالبون الحكومة وأعضاء المجلس النيابي، بوضع مادة «دين الدولة الإسلام» في الدستور، وكان لأبي رحمه الله خطابات نارية حول هذا الموضوع، كما بث طلابه في المساجد يطالبون بذلك ويحركون جماهير المسلمين للضغط على الحكومة والمجلس النيابي، لوضع هذه المادة في دستور الدولة.

وكرر الأخذ والرد، وقرّرت الحكومة الوطنية عدم الالتفات إلى هذا الطلب، وإيقاف كلّ تحرّك في هذا الشأن، ووجّهت أنصارها لإسكات الأصوات المطالبة.

وفي هذه الأثناء أملّى والدي الشيخ حسن رحمه الله تعالى في يوم جمعة على طلابه خطبةً نارية، وكلفهم أن يتوزعوا على المساجد الكبيرة في دمشق، ويلقوها

عقب صلاة الجمعة، تحريكاً جماهير المسلمين، حتى يضغطوا على الحكومة والمجلس النيابي، لوضع مادة: «دين الدولة الإسلام» في الدستور.

وفي احتفالٍ توجيهي كبير أقامه أبي رحمه الله في حي الميدان بدمشق، شرح فيه خطباء الحفل من طلابه مطلب جماهير المسلمين، وضرورة وضع مادة «دين الدولة الإسلام» في صلب الدستور، وكان من الخطباء: «الشيخ حسين خطاب — شيخ قراء الشام فيما بعد» و«الشيخ كريم راجح» وآخرون، وكنت أحد هؤلاء الخطباء فيه، وقد أُلقيتُ فيه هذه القصيدة، وهي بعنوان:

«الشمس والإسلام جديدان دائماً»

والقصيدة هنا معدّلة ومنقّحة.

الشمس والإسلام جديداً دائماً

لِلرُّسُولِ الْمُخْتَارِ فَيْضُ جَنَانِي فَلَقَدْ عَيَّ فِي الْبَيَانِ لِسَانِي
 إِنَّ ذِكْرِي شُرُوقِ شَمْسٍ هُدَاهُ سِيفُ هَدْيٍ إِلَى بَنِي الْإِنْسَانِ
 ذِكْرِيَّاتُ التَّارِيخِ تَجْدِيدُ مَاضٍ كُلَّمَا مَرَّ حَاضِرٌ مِنْ زَمَانٍ
 مِيزَةُ الذِّكْرِيَّاتِ جَمْعُكَ فِيهَا مَاضِيَّاتِ الْآنَاتِ فِي كُلِّ آنٍ
 فَلِذِكْرِي شُرُوقِ شَمْسٍ هُدَاهُ نَفَحَاتُ تَفْيِضٍ مِنْ إِيْمَانٍ
 هِيَ ذِكْرِي الْهُدَى لِكُلِّ تَقِيٍّ لَا لِلْأَنْسِ بِمُتَقَنَاتِ الْأَغَانِي
 هِيَ ذِكْرِي الْخُلُودِ فِي عَالَمِ الْمَجْدِ وَذِكْرِي الْأَبْطَالِ وَالشُّجْعَانِ
 هِيَ ذِكْرِي لِلتَّضَحِّيَّاتِ وَلِلصَّبْرِ وَذِكْرِي الْإِخَاءِ وَالْإِحْسَانِ
 هِيَ ذِكْرِي حَضَارَةَ عَمَّتِ الْكَوْنُ وَذِكْرِي النِّظَامِ وَالْإِتْقَانِ
 هِيَ ذِكْرِي دِينَ تَنْزَلَ وَحْيًا لِرُّسُولِ الْهُدَى مِنَ الدِّيَانِ
 عَرَفَ النَّاسُ فِيهِ أَنَّ كِيَانَ الْحَقِّ فِي الْحُكْمِ ثَلَّ كُلُّ كِيَانٍ



مَوْلِدُ الشَّمْسِ لِلْأَنَامِ بَيَانٌ فِي الْحَضَارَاتِ فَاقَ كُلَّ بَيَانٍ
 كَانَ هَدْيًا لِيَقْظَةَ وَنُهُوضٍ مِنْ خَبَالٍ فِي عَالَمٍ وَسَنَانٍ
 ذِكْرِيَّاتٌ مِنْهُ أَضَاءَتْ شُعُورِي وَعَرَانِي مِنْ سِرِّهَا مَا عَرَانِي
 هَتَفَتْ بِي وَلَمْ تَكُنْ هَتَفَتْ بِي صَامِتَاتُ حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ
 هَلْ سَمِعْتُمْ مَعِيَ الْجَمَادَ يُنَادِي؟ هَلْ سَمِعْتُمْ مَعِيَ نِدَاءَ الزَّمَانِ؟
 أَوْ مَا وَشَوْشَ النَّسِيمِ وَدَوَى الرِّيحِ بَيْنَ الْهَضَابِ وَالْأَغْصَانِ؟
 أَوْ لَمْ يَكْتُبِ الشُّعَاعُ عَلَى الْكَوْنِ نِ سَطُورِ الْهُدَى بِكُلِّ لِسَانٍ؟

أَوْ لَمْ تَفْهَمُوا حَدِيثاً طَوِيلاً بَيْنَ طَرَفَيْنِ فِي النُّجُومِ الرَّوَانِي؟
 أَوْ مَا رَدَّدَ الْحَمَامُ عَلَى الْغُصْنِ نَشِيداً مُؤَثَّرَ الْأَلْحَانِ؟
 إِنَّهَا أَفْصَحَتْ بِمَعْنَى بَلِيغٍ نَافِذٍ لِّلْقُلُوبِ وَالْأَذْهَانِ
 أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: حِينَ هَجَرْتُمْ دِينَ هَذَا الرَّسُولِ مِنْ عَدَنَانِ
 قَذَفْتُمْ أَيْدِي الشَّتَاتِ وَأَلْقَتْ كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ بِشَرِّ مَكَانٍ
 لَنْ تَنَالُوا الذُّرَى ذُرَى الْمَجْدِ حَتَّى تَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ عَلَى الْقُرْآنِ
 لَنْ تُعِيدُوا الْمَجْدَ الْعَظِيمَ وَأَنْتُمْ فِي مَعَاصِي أَوَامِرِ الدِّيَانِ
 لَنْ تَعُودُوا إِلَى ذُرَاكُمْ وَأَنْتُمْ قَدْ هَجَرْتُمْ خَلَائِقَ الشُّجْعَانِ
 إِنَّ لِلْمَجْدِ فِي الْوَرَى صَهَوَاتٍ صَانَهَا اللَّهُ عَنْ رُكُوبِ الْجَبَانِ

○ ○ ○

أَيْنَ مِنَّا أَخْلَاقُنَا وَالْمَزَايَا؟! أَيْنَ مِنَّا فَضَائِلُ الْإِيمَانِ؟!
 قَدْ هَجَرْنَا عَوَامِلَ الْمَجْدِ فِينَا وَانْخَدَعْنَا مِنَ الْحَيَاةِ بِقَانٍ
 وَاسْتَخَفَّتْ نَفُوسُنَا بِالْمَعَالِي وَانْشَغَلْنَا بِلَذَّةِ الْأَبْدَانِ
 وَطَرَحْنَا قِيَادَنَا لِهَوَانَا وَرَضِينَا مِنَ الْهَوَى بِالْهَوَانِ
 مَنْ يُسَلِّمْ قِيَادَهُ لِهَوَاهُ أَسْلَمَتْهُ الْأَهْوَاءُ لِلشَّيْطَانِ

○ ○ ○

قَدْ نَبَذْنَا مَا كَانَ سِرّاً قُورَانَا فَحُرِمْنَا مِنْ عِصْمَةِ الرَّحْمَنِ
 مَا عَصَيْنَا الرَّحْمَنَ إِلَّا دَهْتَنَا عَادِيَاتُ الْأَعْدَاءِ بِالْخُسْرَانِ

○ ○ ○

مَا لِقَلْبِي إِذَا تَذَكَّرَ مَجْداً وَارَفَ الظِّلَّ جَدًّا فِي الْخَفَقَانِ؟
 يَوْمَ كُنَّا نَقُولُ فِي الشَّرْقِ قَوْلًا فَتَرَى الْغَرْبَ خَرًّا لِّلْأَذْقَانِ
 يَوْمَ كُنَّا السَّادَاتِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَا نُبَالِي طَوَارِيءَ الْمَلَوَانِ^(١)

(١) الملوان: الليل والنهار.

قَدْ مَلَكْنَا وَمَا مَلَكْنَا بِبَغْيٍ وَحَكَمْنَا بِرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
وَفَتَحْنَا دُنْيَا ظَلَامٍ وَخَوْفٍ بِسِلَاحَيْنِ مِنْ هُدًى وَأَمَانٍ

○ ○ ○

مَا لِعَيْنَيَّ كُلَّمَا مَرَّ حُلْمٌ بِاسْمِ الثَّغْرِ جَادَتَا بِالْجُمَانِ؟
فَاقِدُ الْمَجْدِ حَالِمٌ بِمَعَادٍ هُوَ نَهْبُ الْأَمَالِ وَالْأَشْجَانِ

○ ○ ○

وَطَنِي أَنْتَ أَنْفُسَ طَاهِرَاتٍ وَقُلُوبَ كَبِيرَةٍ الْعِرْفَانِ
وَطَنِي أَنْتَ أُمَّةٌ وَحَدَّثَهَا يَدُ رَبِّي مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
وَطَنِي أَنْتَ قُوَّةٌ وَثَبَاتٌ وَعُقُولُ عَظِيمَةِ الرَّجْحَانِ
وَطَنِي أَنْتَ عِزَّةٌ وَإِبَاءٌ أَنْتَ حِصْنٌ مُمْنَعُ الْبُنْيَانِ
أَنْتَ دِينٌ وَأَنْتَ دُنْيَا رَخَاءٍ أَنْتَ حُكْمٌ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
لَكَ سُلْطَانُ عِزَّةٍ وَكَمَالٍ فَاقَ فِي الْأَرْضِ كُلَّ ذِي سُلْطَانِ

○ ○ ○

وَطَنِي لَا أَرَاكَ حَوْلِي وَإِنِّي لَمْ أَغَادِرْ أَرْضِي لِأَيِّ مَكَانٍ
نَحْنُ فِي أَرْضِنَا غَرِيبُونَ أَشْفَقُ بَغْرِبٍ فِي أَرْضِهِ كَمْ يُعَانِي
أَوْجَعُ الْغُرَبَتَيْنِ مَا نَحْنُ فِيهِ وَعَلَيْنَا الضِّدَانِ يَجْتَمِعَانِ

○ ○ ○

قَدْ غَزَتْنَا الْأَفْكَارُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَقَبِلْنَا زُيُوفَهَا بِافْتِتَانٍ
وَجَعَلْنَا التَّقْلِيدَ خُطَّةَ رُشْدٍ وَهِيَ فِي النَّاسِ خُطَّةُ الْعُمَيَّانِ
كَيْفَ نَجْرِي وَرَاءَ كُلِّ جَدِيدٍ دُونَ فَحْصٍ وَدُونَمَا تَبْيَانٍ
أَوْ لَوْ قَادَنَا إِلَى تَهْلُكَاتٍ؟! أَوْ لَوْ قَادَنَا إِلَى النَّيِّرَانِ؟!
وَاتَّبَاعُ الْجَدِيدِ فِي كُلِّ شَيْءٍ سَبَبُ الْخُسْفِ أَوْ سَبِيلُ الْهَوَانِ
رُبَّ أَمْرٍ مِنَ الْقَدِيمِ عَظِيمٍ صَانَهُ عَنْ بَلَى جَدَّتَانِ

هَآ هِيَ الشَّمْسُ كَوَكَبٌ قَدُمَ الْعَهْدُ عَلَيْهِ فَأَبْدَلُوهُ بِثَانٍ
إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ دِينٌ قَدِيمٌ وَجَدِيدٌ مَا جُدِّدَ الْمَلَوَانِ

○ ○ ○

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ شُدُّوا عُرَاكُمُ وَاسْتَعِيدُوا هَذَا كُمُوا وَاسْتَمِدُّوا
مَا لَكُمْ مُسْعِدٌ وَلَا لِسَوَاكُمْ أَيْنَ مَا نَظَّمَ الْوَرَى بِهِوَاهُمْ
إِنَّهُ الْفَاطِرُ الْحَكِيمُ عَلِيمٌ خَالِقُ الْكَوْنِ وَالْحَيَاةِ جَمِيعاً
وَأَعِيدُوا الرَّشَادَ لِلرُّبَّانِ نَصْرٌ دُسْتُورُكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ
غَيْرُ دِينِ الْإِسْلَامِ وَالتَّيَّيَانِ مِنْ نِظَامِ الْمُتَّهَمِينَ الدِّيَّانِ
بِالَّذِي فِيهِ مُسْعِدُ الْإِنْسَانِ وَخَيْرُ النُّفُوسِ فِي الْأَزْمَانِ

○ ○ ○

صَاحَ فِي النَّاسِ صَائِحُونَ وَأَحْقَرُ بِنْدَاءٍ نَادَى إِلَى الْخُسْرَانِ
طَعَنُوا الدِّينَ فِي الصَّمِيمِ فَقَالُوا: الدِّينُ شَيْءٌ وَالْحُكْمُ شَيْءٌ ثَانٍ
رَكِبُوا مَرْكَبَ الْهَوَى فَتَمَادَوْا وَتَصَدَّوْا بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
إِنْ يَكُونُوا فِينَا عَمِينَ فَقَدِمُ لَهُمْ رَحْمَةٌ عَصَا الْعُمَيَّانِ
أَوْ يَكُونُوا عَنْ دِينِهِمْ قَدْ تَعَامَوْا فَاتَّخَذَهَا لَهُمْ عَصَا الْعِصْيَانِ
قَلَّدُوا الْغَرْبَ وَهُوَ أَنْصَرُ لِلْبَاطِلِ مِنْهُمْ لِلْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
دَوْلَةُ دِينِهَا عَلَى سَنَنِ الْكُفْرِ سَتَمْنَى بِإِمْرَةِ الشَّيْطَانِ

○ ○ ○

يَا بِنَاةَ الْأَمْجَادِ هَلَّا بُعِثْتُمْ لِتُعِيدُوا الثَّبَاتَ لِلْأَرْكَانِ
هَيَّا قَوْمُوا وَصَيِّرُوا كُلَّ شَيْءٍ قُوَّةً لِلْوَعَى وَبَأْسَ الطَّعَانِ
أَنْتُمْو قُدْتُمْو الْجُيُوشَ أَعَاصِيرَ فَطَارَتْ زَوَابِعُ الْفُرْسَانِ
قَدُمَ الْكُفْرِ كَالسَّحَابَةِ مَطْلُولٌ بِرَقْقِي مُهْنَدٍ وَيَمَانِي

○ ○ ○

لَيْتَ هَذَا الزَّمَانَ كَرَّ رُجُوعاً فَرَأَيْنَا الْإِسْلَامَ دِينَ الْأَمَانِ
وَرَأَيْنَاهُ حَاكِماً عَبْقَرِيّاً يَهْدِي نُورَهُ مِنَ الْفُرْقَانِ

○ ○ ○

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ دِينٌ عَظِيمٌ جُمِعَتْ فِيهِ زُبْدَةُ الْأَدْيَانِ
فَارْفَعُوا رَأْسَكُمْ بِهِ فِي الْبَرَائَا وَأَعِزُّوهُ بِالْقَنَا وَالسِّنَانِ

(٧٩ بيتاً)

دمشق في ١٨/٣/١٣٦٩ هجرية

ظروف هذه القصيدة كظُروف سابقتها «الشمس والإسلام جديدان دائئًا».

فقد نظمت وألّقت بعدها وفي الظرف نفسه، ظرف مطالبة علماء المسلمين في سورية الحكومة والمجلس النيابي الوطني بوضع مادة «دين الدولة الإسلام» في صلب الدستور.

وقد ألّقتها في احتفال توجيهي كبير، بحيّ الميدان، ثم في عدة احتفالات أخرى.

وهي هنا معدّلة ومنقّحة بعض الشيء، وهي بعنوان:
«دين دولتنا الإسلام»

دين دولتنا الإسلام

نَغَمَاتُ لَهَا الدُّنَى أَصْدَاءُ
هِيَ فِي بَاطِنِ الْحَيَاةِ حَيَاةٌ
صَاغَهَا اللَّهُ شَمْسَ دِينٍ وَهَدَى
أَشْرَقَتْ فِي الْيَتِيمِ خَيْرَ الْبَرَائَا
وَمِنَ الْيَتِيمِ رَاحِمٌ عَبَقَرِيٌّ
وَمِنَ الْيَتِيمِ قَائِدُ الْمَعِي
وَمِنَ الْيَتِيمِ سَيِّدٌ قَدْ تَسَاوَى
قَدْ تَسَاوَى لَدَيْهِ فِي أَيِّ حَقٍّ
لَوْ جَنَّتْ بَنَتْهُ الْحَبِيبَةُ مَا كَا
هَكَذَا الْعَدْلُ وَالنِّظَامُ فَمَاذَا

رَدَدَتْهَا الْأَمْلاكُ فَلَا أَنْبِيَاءُ
وَهِيَ فِي بَاطِنِ الضِّيَاءِ ضِيَاءُ
فَهِيَ فِيْنَا الرِّسَالَةَ الْبَيَّضَاءُ
وَمِنَ الْيَتِيمِ دُرَّةٌ حَسَنَاءُ
جَبَلٌ دُونَ سَفْحِ الرَّحْمَاءِ
قَدْ تَهَاوَى مِنْ دُونِهِ الْعُظَمَاءُ
عِنْدَهُ الْأَعْجَمِيُّ وَالْفُصْحَاءُ
أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ وَالْبُعْدَاءُ
نَ لَهَا مِيزَةٌ وَلَا إِعْفَاءُ
مِثْلُ هَذَا قَدْ نَظَّمَ الْحُكَمَاءُ؟

○ ○ ○

يَا حَبِيبِي عَلَيْكَ مِنْ فَيْضِ رَبِّي
أَوْ لَمْ يَأْتِكَ الْيَهُودِيُّ يَسْتَقْضِيكَ مَا لَمْ يَحِنْ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ
شَدَّ مِنْ صَدْرِكَ الرَّحِيبِ وَنَادَى
بِمَقَالٍ عُنوانُهُ الْاِفْتِرَاءُ
لَمْ يَكُنْ مِنْكَ يَا رَسُولُ سِوَى الصَّفْحِ . وَإِلَّا تَفْضُلُ وَسَخَاءُ
هَكَذَا اللَّيْنُ وَالسَّمَاحَةُ فِي شَرِّ
عَةِ طَهَ فَلْيَعْلَمْ الْجُهْلَاءُ

○ ○ ○

قَدْ حَبَاكَ الرَّحْمَنُ خُلُقًا عَظِيمًا
إِنْ يُجَزِّئُهُ رَبُّنَا فِي الْبَرَائَا
دُهْشَتْ مِنْ كَمَالِهِ الْعُقَلَاءُ
كَانَ مِنْهُ الْأَخْيَارُ وَالْحُلَمَاءُ

أَنْتَ بِاللَّهِ قَدْ صَنَعْتَ بُدُوراً حَسَدَتْ أَرْضُنَا عَلَيْهَا السَّمَاءُ
هُمْ صِحَابٌ وَخَيْرَةٌ وَدُعَاءُ وَتَقَاءُ وَقَادَةُ حُنَفَاءُ
صَنَعُوا دَوْلَةً بِهَا الْعَدْلُ وَالشُّو رَى وَفِيهَا الْأَمِيرُ وَالْخُلَفَاءُ
حِينَمَا تَصْلُحُ النُّفُوسُ وَتَحْمِي قَادَةُ الشَّعْبِ شِرْعَةً بَيِّضَاءُ
يَصْلُحُ الْحُكْمُ. وَالْأَسَامِي سَوَاءُ فَالْمَسْمَى الْمَرْجُو لَا الْأَسْمَاءُ
أَسَّسُوا دَوْلَةً هِيَ الدَّوْحَةُ الْكُبْرَى وَمِنْهَا الْأَنْوَارُ وَالْأَنْوَاءُ
سَاقَهَا امْتَدَّ فِي الْحِجَازِ وَكُلُّ الْأَرْضِ مِنْ مَدِّ ظِلِّهَا أَفْيَاءُ

○ ○ ○

أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صِرْتَ بِالْإِسْلَامِ بَدْرًا تَعْنُو لَهُ الْعُلَيَاءُ
أَوَمَا كُنْتَ أَكْثَرَ النَّاسِ بُؤْسًا وَلَدَيْكَ الْإِمَارَةُ الْقَعَسَاءُ؟ (١)
أَوَمَا قَدْ وَهَبْتَ نَوْمَكَ لِلْبَا ئِسِ حَتَّى ارْتَمَتْ بِكَ الْبِأْسَاءُ
رُبَّمَا يُحْزِنُ الْكَرِيمَ وَيُضْنِيهِ كَرِيمَانِ عَدْلُهُ وَالْوَفَاءُ
دِينُهُ قَدْ حَبَاهُ رِقَّةٌ قَلْبُ مَعَ عَزْمٍ دَانَتْ لَهُ الْأَقْوِيَاءُ
أَوَلَمْ يَشْفِ سَيْفَكَ الْحُرُّ قَوْمًا صَرَعَتْهُمْ ضَلَالَةٌ عَمِيَاءُ
لَيْسَ يَخْفَى الْهُدَى وَلَكِنْ نَفُوسُ طَبُّ أَذْوَابِهَا قَنَاءٌ سَمَرَاءُ
دَاءٌ بَعْضُ النُّفُوسِ ضَرْبَةُ سَيْفٍ وَنَفُوسٌ لَهَا السُّيُوفُ دَوَاءُ

○ ○ ○

دَارَ فِينَا الزَّمَانُ دَوْرَةً سُوءٍ فَإِذَا الْعَيْنُ كُلُّهَا أَقْدَاءُ
جَثَمْتَ فَوْقَنَا الْحَوَالِكُ حَتَّى قِيلَ: لَا شَكَّ نَكْبَةٌ سَوْدَاءُ
خُلِقَ ضَائِعٌ وَدَيْنٌ جَرِيحُ وَبِلَادُ حَزِينَةٍ أَشْلَاءُ
نَلَمْسُ الْمَجْدَ فِي ظَلَامٍ كَثِيفٍ لَمَسَ أَوْهَامِ شِعْرِهَا الشُّعْرَاءُ
مَزَقْنَا الْأَهْوَاءَ كَالثُّوبِ لَمَّا عَصَفَتْهُ عَوَاصِفُ هَوَجَاءُ

(١) الْقَعَسَاءُ: ذَاتُ الْعِزِّ الثَّابِتِ.

هَا هُنَا عُصَبَةٌ وَذَلِكَ حِزْبٌ
 إِنَّ هَذِي الْأَحْزَابَ تَفْتِكُ فِينَا
 إِنَّ شَرَّ الْأَحْزَابِ شَرُّ عَظِيمٍ
 وَسَبِيلُ الْأَعْدَاءِ سَهْلٌ إِلَيْهَا
 مُنْتَمِي الْحِزْبِ حِزْبُهُ كُلُّ شَيْءٍ
 هُوَ لِلْحِزْبِ سَيْفُهُ الْمُتَصَدِّي
 مَبْدَأُ الْحِزْبِ بِالنُّفُوسِ يُفْدَى
 يَا لِهَذَا الْعَجِيبِ مِنْ أَمْرِ قَوْمِي

○ ○ ○

يَا خَلِيلِي أَمِدَّنِي بِدِمَاءٍ
 زَعَمُوا الدِّينَ لِلْعِبَادَةِ لَا لِلنُّظْمِ وَهِيَ الْجَهَالَةُ الْجَهْلَاءُ
 لَوْ كَفَاهُمْ أَنْ يَجْهَلُوا لَكَفُونَا
 قِيلَ: إِنَّ الْعَمَى يُضِلُّ. فَقُلْنَا
 مَنْ تُرَى نَظْمَ الْمَعَاشِ لَمَّا
 مَنْ تُرَى طَهَّرَ النُّفُوسَ اللُّوَاتِي
 مَنْ تُرَى أَلَفَ الْقُلُوبَ عَلَى الْحُبِّ وَكَانَتْ شَتَّى بِهَا الْأَهْوَاءُ؟

○ ○ ○

زَعَمَ النَّاسُ أَنَّهُمْ خَوْفُونَا
 نُصِبَ الْفَخُّ لِلطُّيُورِ وَنَادَوْا
 بَعَثُوا الْمُغْرِبَاتِ فِي كُلِّ أَفْقٍ
 فَإِذَا بَعْضُهَا تَرَاوَجَ لِأَلْفَقٍ
 قَدَمَتُهُ سَفَاهَةٌ الرَّأْيِ صَيْدًا
 أَفَكَانَ الرَّجْعِيُّ أَفْضَلَ رَأْيًا
 أَنَا أَرْضَى الرَّجُوعُ فَلْيَشْتُمُونِي

حِينَ قَالُوا: رَجْعِيَّةٌ حَمَقَاءُ
 هَا هُنَا رَوْضَةُ النَّدَى الْغَنَاءُ
 وَمِنَ الطُّيْرِ عَرْشُهُ الْعَلِيَاءُ
 عِدَّةُ الصَّيْدِ خُدَعَةٌ وَدَهَاءُ
 أَمْ أَنْاسٌ دَهَتُهُمُ الدَّهْيَاءُ
 بِرُجُوعٍ فِيهِ الْهُدَى وَالْعَلَاءُ

لَا دَهَانِي تَقْدُمُ لِهَلَاكِ
بُسَ رَأْيَا ذَاكَ التَّقْدُمُ فِينَا
بَلْ حَمَتْنِي رَجْعِيَّةٌ وَإِبَاءُ
وَلِنِعْمَتِ رُجْعِي هِيَ اسْتِعْلَاءُ

○ ○ ○

نَفَدَ الصَّبْرُ بَيِّدَ أَنِّي أَرْضَى
إِنَّ صَبْرًا عَلَى الْهَوَانِ مَلِيًّا
فَقُلِ الْحَقُّ مَا يَضُرُّكَ أَنْ تَسْتَكَّ مِنْهُ مَسَامِعُ بَلْهَاءُ
وَأَمِلَا الْكَوْنَ بِالْإِنْدَاءِ فَمَا لَمْ
إِنَّ فِينَا لَأَنْفُسًا تَتَسَامَى
إِنَّا أُمَّةٌ الْجِهَادِ لِيَرْضَى
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ هُبُوا بِعَزْمٍ
إِنَّ هَذِي أَمَانَةَ الدِّينِ فِيكُمْ
أَوَلَيْسَ الْقُرْآنُ أَقْوَمَ قِيلًا
إِنْ أَرَادُوا فِينَا رَشَادًا وَعَدْلًا
أَوْ أَرَادُوا فِينَا انْحِلَالًا وَفَوْضَى
نَأْخُذُ الْمَالَ عَنَوَةً وَنَرِيقُ الدَّمَ ظُلْمًا. وَهَكَذَا الْأَقْوِيَاءُ
أَنَا أَوْ أَنْتَ لَيْسَ يَضْبُطُ نَفْسَيْنَا نِظَامٌ تَخْتَارُهُ الْأَهْوَاءُ
إِنَّمَا يَضْبُطُ الْعَوَالِمَ دِينٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ رَهْبَةٌ وَرَجَاءُ

○ ○ ○

أَعْلَنُوهَا: «فَدِينُ دَوْلَتِنَا الْإِسْلَامُ» يَا قَوْمَ لَيْسَ عَنْهُ التَّوَهُُّ
إِنَّ هَذِي جَزِيرَةَ الْعُرْبِ عَصْمَاءُ. وَفِيهَا شَرِيعَةٌ عَصْمَاءُ
فَلْيَكِدْ كَيْدَهُ الْعَدُوُّ سَيَبْقَى بِحِمَى اللَّهِ أَمْنُنَا وَالرَّخَاءُ

(٧٨ بيتاً)

دمشق، في ١٥/٤/١٣٦٩ هجرية

في قلة من المدارس الشرعية، وضعف في الدراسات الدينية، وخلو المدارس الحكومية الرسمية من الدراسة الدينية، بتأثير الاستعمار الفرنسي لسورية، بدأ والذي رحمه الله يؤسس مدرسته الشرعية الخاصة منذ بداية شبابه، وكانت في أول أمرها حلقات من طلاب العلم، الذين لهم أعمال يتكسبون منها، أولهم مِهْنٌ وصناعات يتعلمونها على أربابها من الصنّاع عُمَلاً تحت أيديهم، كعادة جيل ذلك العهد.

وكانت هذه الحلقات تُحدّد لها أوقات الصباح والمساء، قبل أن يذهب المنتظمون فيها إلى أعمالهم، وبعد أن يرجعوا منها، كوقت ما بعد صلاة الفجر إلى الضحى، ووقت ما بين العشاءين، ووقت ما بعد العشاء.

وكان مركز نشاط أبي رحمه الله جامع منجك في حي الميدان من أحياء دمشق، حيث سَكَنُ عَائِلَتِهِ، وقد اتخذ له في هذا الجامع غرفة للتعلّم والتعليم والإقامة، كعادة معظم أهل العلم وطلابه المتفرّغين له، إذ كانت لهم غرف في المساجد التي تجاور مساكنهم، أو تقع في أحيائهم.

ثم رغب بعض طلاب هذه الحلقات في الانقطاع عن عمله في كسب المال ليتفرّغ لدراسة علوم الدين واللغة العربية، وما يرتبط بها من علوم، فكان من أوائلهم عمي شقيق أبي الشيخ صادق حبنكة الميداني الذي لم يلتحق أصلاً بعمل تكسّبي، ثم الشيخ حسين خطّاب «شيخ قراء الشام فيما بعد» وقد كان صانع دولات نحاسية، فحفظ كتاب الله وهو عامل في هذه الصناعة، ودون الرابعة عشرة من عمره، ومنهم الشيخ نعيم شقير، والشيخ خير ياسين، والشيخ

محمد الفراء، ثم الشيخ محمد خير العليبي، والشيخ مصطفى سعيد الخن (دكتور في الشريعة من الأزهر فيما بعد)، وتتابع بعدهم الطلاب المتفرغون للدراسة.

فترك هؤلاء أعمالهم أو لم يكن لهم أعمال أصلاً، ولزموا الجامع، ليوظبوا على حضور الدروس النهارية على الشيخ، ثم رأوا أنّ نومهم في بيوتهم قد يفتور عليهم حضور دروس الصباح والمساء والليل، فصاروا ينامون في الجامع مثل أهل الصفة.

فسعى الوالد رحمه الله لبناء غرف لهم على أروقة الجامع من الخشب واللبن والطين.

فمدّ بعض المحسنين يد المساعدة، فاشتريت الأخشاب وبعض وسائل البناء البدائية، وحضر بعض العمال الذين يحضرون دروس الموعدة العامة ودروس الصباح والمساء، فساهموا في أعمال البناء بأجور يسيرة، وهم فقراء، وكان جدّي والد أبي رحمهما الله تعالى له همة عالية، وممارسات في أعمال البناء، وله تقوى ورغبة في الخير، فأخذ يعمل في بناء غرف الطلبة بيده، واشترك الطلبة أنفسهم في أعمال البناء كلّ منهم على قدر خبرته، فتمّ بذلك بناء غرفة كبيرة للشيخ وغرف صغرى للطلاب المنقطعين للدراسة.

وكلّمّا زاد عدد هؤلاء الطلاب المتفرغين للدراسة، دعت الحاجة لبناء غرف أخرى على أروقة الجامع، حتى صارت بالفعل مدرسة داخلية، لها كلّ وسائلها، ولكن بصورة متواضعة ليس عليها أي مظهر من مظاهر النعمة والرفاهية.

وكانت نفقات هذه المدرسة تجمع من المحسنين، فقد انتدب بعض أهل الخير والتقوى، من الذين يحضرون دروس الوالد الليلية والصباحية، ودروس الموعدة، فكوّنوا لجنة لجمع التبرعات من التجار وغيرهم من المحسنين، وكان منهم المرحوم الحاج عيد البهرة، والحاج عوض البغا، والحاج عبدالغني الشربجي. والسّادة: عبدالجليل الشيخ سالم، شفيق حالول، توفيق الشربجي، وغيرهم.

وقسم الشيخ الوالد رحمه الله طلاب هذه المدرسة الداخلية الشرعية إلى حلقات، وجعل مهمة تعليم الطلاب المستجدين على قدماء طلبة الحلقات الأولى، مع استمرار حضورهم في حلقات الشيخ الوالد التي يقرؤون فيها الكتب الكبرى.

وكان صغار الطلبة الموزعون في الحلقات يحضرون بعض حلقات الشيخ أيضاً، في غير مواعيد دروسهم المقررة، التي يتلقونها على مشايخهم من تلاميذ الشيخ، وكنت ممن تعلم على تلاميذ أبي، ثم صرت أستاذ حلقات من دوني.

وقد أفاد هذا الأسلوب جداً في تكوين أساتذة يعلمون طلابهم، ويتلقون على شيخهم في الوقت نفسه، ويحضرون بعض الدروس مع طلابهم على الشيخ في دروس جامعة.

ثم رأى الوالد رحمه الله أن يجعلها مدرسة نظامية مرخصة رسمياً، وأطلق عليها اسم «معهد التوجيه الإسلامي»، وأسس لها جمعية باسم «جمعية التوجيه الإسلامي».

وأهم الله محسنين ثريين شريكين في الأعمال التجارية، أن يقوموا على نفقتهما ببناء الرواق الشرقي من الجامع بناء حديثاً بالأسمنت المسلح، لاثقاً بمدرسة شبه نظامية، وكان أبي متشوقاً لهذا العمل، ويتحدث به، ويتمنى أن يتمكن من بنائه، فقام هذان المحسنان رحمهما الله تعالى ببنائه على نفقتهما، وهما: المرحوم «سلطان العجمي» والرحوم «عزت الدبس» وهما من أهل حي الميدان، ولكن جمعا ثرواتها من خارج البلاد العربية، بصبر وكفاح، وقد شجعهما على هذا العمل الخيري الحاج عبدالغني الشربجي أحد أعضاء جمعية التوجيه الإسلامي، ومن تلاميذ الوالد ومحبيه، وكانت له صلة بالحاج سلطان العجمي.

وبعد أن تم البناء، رأى الوالد رحمه الله، وإخوانه أعضاء الجمعية، إقامة احتفال فيه تكريماً للمحسنين، وإشادةً ببناء المدارس الشرعية، وتشجيعاً لأهل الخير والبر، أن يساهموا في بناء المدارس وتمويلها والإنفاق عليها.

وقد تمّ ترتيب الاحتفال على أن يشترك فيه عدد من الخطباء من تلاميذ الوالد، وكنت واحداً منهم، وقد أعددت له قصيدة مناسبة لموضوعه، وألقيتها فيه فعلاً.

وكان ذلك في سنة ١٣٧٠ هجرية و ١٩٥٠ ميلادية.

وهي هذه القصيدة، وهي بعنوان:

«بمناسبة الاحتفال ببناء معهد التوجيه الإسلامي في جامع منجك»

بمناسبة الاحتفال ببناء معهد التوجيه الإسلامي في جامع منجك

عَجَبُ لِلنُّجُومِ فَوْقَ الْهَضَابِ وَغَرِيبُ تَسْيَارُهَا فِي الرِّحَابِ
خَلِيًّا سَاحَةَ الطَّرِيقِ فَهَذَا مَوْكِبُ الْأُفُقِ دَافِعًا فِي الشَّعَابِ
مَوْكِبُ الْأَنْجَمِ الرَّفِيعَةِ يَحْتِثُ مَطَايَاهُ دُونَ هَذِي الرِّوَابِ
لِلْعَظِيمِ الْعَظِيمِ لِلْكَوْكَبِ السَّارِي وَلَكِنْ عَلَى أَدِيمِ التُّرَابِ
كَوْكَبُ يَفْعَلُ الَّذِي يَفْعَلُ النَّاسُ وَيَبْنِي فِي الْأَرْضِ يَا لِلْعَجَابِ
كَوْكَبُ مِنْ بَنِي مَعَدٍ بَنٍ عَدْنَا نَ وَأَكْرَمَ بِخَيْرَةِ الْأَنْسَابِ
يَحْمِلُ اللَّبَنَ صَدْرُهُ وَهُوَ يَسْعَى فَوْقَ حَرِّ الرِّمَالِ دُونَ اكْتِثَابِ

○ ○ ○

يَا رَسُولَ الْهُدَى وَيَا سَيِّدَ النَّاسِ تَرَفَّقْ. نَكْفِيكَ كُلَّ طِلَابِ
يَا حَبِيبًا مَا ذَلِكَ اللَّبَنُ الْقَا سِي عَلَى صَدْرِكَ الرَّفِيعِ الْجَنَابِ!؟
أَفْتَبْنِي دَارًا لِتَسْكُنَ فِيهَا أَفْتَبْنِي نَوَادِي الْأَصْحَابِ!؟
لَيْسَ دَارًا وَلَا نَدِيًّا وَلَكِنْ مَسْجِدٌ لِلْجِبَاهِ وَالْأَلْبَابِ
مَجْمَعٌ لِلْهُدَى وَمَعْهَدٌ تَهْذِيبٍ وَعِلْمٍ وَمَنْبَرٌ لِحُطَابِ
ذَاكَ مَا طَاطَأَتْ نُجُومُ السَّمَاوَاتِ. وَأَخْنَتْ لَهُ إِلَى الْأَعْتَابِ

○ ○ ○

رُوحُ هَذِي الْحَيَاةِ عِلْمُ كِتَابِ اللَّهِ رُشْدِ الْأَسْلَافِ وَالْأَعْقَابِ
إِنَّ كُوحًا فِي الْأَرْضِ زَيْنُهُ الْعِلْمُ كَبْدَرِ أَضَاءِ كُلِّ الرِّحَابِ

○ ○ ○

أَيْنَ عِلْمِ السَّمَاءِ وَالْهَفِ نَفْسِي لَا تَكْفِي يَا عَيْنُ عَنْ تَسْكَابِ
 إِنَّ عِلْمَ الْقُرْآنِ وَالَّذِينَ فِيْنَا فِي ضِيَاعٍ وَفِي ضَنَى وَاعْتِرَابِ
 كُلُّ عِلْمٍ لَهُ تَخْصُّصٌ قَوْمٌ غَيْرَ عِلْمِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ
 غَيْرَ عِلْمِ السَّمَاءِ عِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ فَضْلُ الْهُدَى وَفَضْلُ الْخِطَابِ
 هُوَ عَقْلُ الْعُلُومِ مَهْمَا تَرَقَّتْ وَهِيَ مِنْ دُونِهِ أَدَاةُ خَرَابِ
 فَازْدِيَادُ الْعُلُومِ دُونَ رَشَادِ كَارِزِيَادِ الْقَوَى لِذَيْبِ الْغَابِ

○ ○ ○

كُتِبَ خُطٌّ فَوْقَهَا: قِيَمَاتٌ وَعَلَى جِلْدِهَا غِلَافٌ تُرَابِي
 نَاطِقَاتٌ بِخَافِتٍ مِنْ أُنِينَ إِنَّ نُورِي وَقِيَمَتِي عِلْمٌ مَا بِي
 إِنَّ كَنْزَ الْعُلُومِ بَيْنَ دُفُوفِ الْكُتُبِ فَقُرْ الْهُدَى لَدَى الْحُسَابِ
 إِنَّهَا فِي رُفُوفِهَا تَتَشَاكِي أَلَمْ السَّجْنِ أَوْ جَفَا الْأَحْبَابِ
 أَسْطَرُّ كُنَّ مُشْبِهَاتٍ سَوَادِ الْعَيْنِ تَبْيَضُ مِنْ أَسَى وَاكْتِثَابِ
 يَا كِتَابَ الْهُدَى وَسِقْرِ الْمَعَالِي يَا حَبِيسَ الرُّفُوفِ وَالْأَبْوَابِ
 دَمَعَتِي مَا تَزَالُ تَنْزِفُ حُزْنَأً أَوْ أَلَايِكَ بُغْيَةَ الطَّلَابِ
 مَا لَهُمْ يَعْشَقُونَ بَارِقَةَ الْقَشْرِ فَتَنْسِيهِمُو نَفْسَ اللَّبَابِ
 هَجَرُوا مَوْرِدًا خِضْمًا فَرَاتًا وَتَغْنَوُا بِجَرْعَةٍ مِنْ شَرَابِ

○ ○ ○

كُتِبَ الدِّينِ قَدْ أَظْلَكَ يَوْمٌ أَنْتِ مِنْهُ مَقْطُوعَةُ الْأَسْبَابِ
 أَنْتِ فِي مُتَحَفِ الْأُولَى سَبَقُونَا فِي قَدِيمِ الْعُصُورِ وَالْأَحْقَابِ
 مَعَ حِنْتٍ وَذَاتِ نَقْشٍ قَدِيمٍ حَفِظُوهَا لِنَظَرَةِ الْإِعْجَابِ
 بَيْنَمَا أَنْتِ أَنْجَمٌ مُزْهِرَاتٌ تَزْدْهِي دَائِمًا بِنُورِ الشُّبَابِ
 قَبَسٌ أَنْتِ لَا تُؤَيَّرُ فِيهِ هَائِجَاتٌ مِنَ الرِّيَّاحِ الْغِيْصَابِ
 حَفِظْتَهُ الْأَبْطَالُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَمَتُهُ مِنْ غُصْبَةِ الْأَوْشَابِ

قَدْ حَسِبْنَاكَ شَيْبَتٍ لَمَّا خَرِفْنَا وَسَبَّحْنَا الْأَيَّامَ غَضَّ الْإِهَابِ

○ ○ ○

أَيَّنَ مَنْ شَادَ لِلشَّرِيعَةِ حِصْنًا عَبَقَرِي الْأَوْتَادِ وَالْأَسْبَابِ
يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْ مَدَاهُ حَسِيرًا لَمْ يُطَاوِلْهُ. بَلَّهْ جُنْحَ الْعُقَابِ
نَاطِحَاتُ السَّحَابِ لَوْ أَبْصَرْتُهُ أَبْصَرْتُ فِيهِ هَازِنًا بِالسَّحَابِ
كَسَرْتُ قَرْنَهَا وَكَانَ قُصَارَى مَدِّ هَامَاتِهَا إِلَى الْأَبْوَابِ
أَيَّنَ أَبَاؤُنَا الَّذِينَ أَقَامُوا كُلَّ صَرْحٍ لِلَّذِينَ رَحِبَ الْجَنَابِ
بَذَلُوا الْمَالَ مِثْلَمَا يُبْذَلُ الْمَا ءُ عَلَى جَانِبِ الْخِصَمِ الْعَبَابِ

○ ○ ○

قِيلَ: إِنَّ الْأَمْوَالَ مَجْدٌ وَعِزٌّ وَبَلَغَ الْمُنَى وَفَكَ الرِّقَابِ
بَيَدَ أَنَّ الْغِنَى بِغَيْرِ غِنَى الْأَنْفُسِ بِالْجُودِ شَرُّ مَا فِي الْمُصَابِ
كَمْ غِنِيٍّ لَا يَحْرُسُ الْجُودَ مَالًا عِنْدَهُ. نَفْسُهُ انْطَوَتْ بِعَذَابِ
رُبِّ ذِي جَنَّةٍ تَفِيضُ ثَمَارًا وَيَرَاهَا تَحْتَالُ مِنْ إِتْرَابِ
جَاءَهَا فِي صَبَاحِ يَوْمٍ فَأَلْفَى كُلَّ رِزْقٍ فِيهَا حُطَامَ التَّهَابِ

○ ○ ○

حَسِبْنَا اللَّهَ مِنْ أَنْاسٍ سَقَتَهُمْ رَاحَةَ الْكَافِرِينَ شَرَّ شَرَابِ
كَانَ مَكْرُ الْغُرَاةِ فِيهِمْ شَنِيعًا مُفْسِدًا لِلنُّفُوسِ وَالْأَلْبَابِ
فَسَعَوْا نَحْوَ إِرْثِهِمْ ذِي هِدَاهُمْ وَعُلاَهُمْ لِدَسِّنِهِ فِي التُّرَابِ
فَكَأَنَّ الْهَدْيَ الَّذِي نَظَّمَ الْعَا لَمْ دَهْرًا أُسْطُورَةً مِنْ كِذَابِ
وَكَأَنَّ الْغَيْثَ الَّذِي غَمَرَ الْأَرْجَاءَ فِي أَغْصَرِ خَيَالِ سَحَابِ
وَكَأَنَّ الشَّمْسَ الَّتِي قَدْ مَلَكْنَا فِي قَرِيبِ الْعُصُورِ حُلْمِ شَبَابِ
إِنْ يَمَسَّ الْفَسَادُ فِكْرَ ذَوِي الْفِكْرِ فَيَا وَيْلَتَا لِهَذَا الْمُصَابِ
أَشْنَعُ الْغَزْوِ مُفْسِدُ الْفِكْرِ مِنَّا فَاحْذَرُوا، وَاحْرِصُوا عَلَى الطُّلَابِ

○ ○ ○

كَمْ غَيُورَ اللِّسَانِ يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْهُدَى نَحْلَةً بِغَيْرِ ثَوَابٍ
يَدَّعِي الْفَضْلَ وَهُوَ لَا خَيْرَ فِيهِ
يَنْدُبُ النَّاسَ لِلْهُدَى وَيُنَادِي
نَحْنُ أَهْلُ الْهُدَى وَأَهْلُ الْكِتَابِ
فَإِذَا جِئْتَ طَالِباً مِنْهُ هَدِيّاً
لَمْ تُصَادَفْ غَيْرَ الرَّدَى وَالْكَذَابِ
رُبُّ مَنْ يَدَّعِي هُدًى وَصَوَاباً
هُوَ خِلَافُ الْهُدَى وَالصَّوَابِ
وَمُنَادٍ إِلَى غَدِيرٍ ظَمَاءٍ
عَرَفَ الْحَقَّ فِيهِ غَدَرَ السَّرَابِ

○ ○ ○

لَوْ فَفَقِهْنَا الْإِسْلَامَ حَقًّا حَمَلْنَا
فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ كُلَّ الصَّعَابِ
وَأَبَيْنَا لَيْنَ الزَّرَابِيِّ حَتَّى
نَنْسُجَ السُّحْبَ مِثْلَ نَسْجِ الزَّرَابِيِّ (١)
وَأَبَحْنَا أَكْبَادَنَا لِجِهَادٍ
صَادِقِ الْبَأْسِ ثَابِتٍ لِلْجِرَابِ
وَتَبَتْنَا بِحِكْمَةٍ كَالرُّوَاسِي
وَانْتَفَضْنَا إِلَى الْقَنَاءِ وَالْغِلَابِ
وَاجْتَذَبْنَا الزَّمَانَ نَحْوَ الْمَعَالِي
وَعَدَوْنَا (٢) عَوَادِي الْإِسْهَابِ
فَاجْتَذَبْنَا نَوَاصِي الْأَرْضِ قَسْراً
بِالنَّدَى وَالْهُدَى وَكُلَّ شِهَابِ
وَمَلَأْنَا الدُّنْيَا نِظَاماً وَعَدْلاً
إِذْ مَلَأْنَا النُّفُوسَ فِي الْمِحْرَابِ
فَإِذَا نَحْنُ بَيْنَ حُسْنِ ابْتِدَاءٍ
قَدْ ظَفَرْنَا وَبَيْنَ حُسْنِ مَآبِ

○ ○ ○

يَا هُدَاةَ الرِّكَابِ خِطُّوكُمُ الْيَوْمَ
مَ سَبِيلَ الرِّشَادِ خِطُّهُ الرِّكَابِ
لَا تَكُونُوا لَنَا إِذَا حَصَّصَ الْحَقُّ أُولَى ضَلَّةٍ (٣) وَأَهْلَ خِلَابِ

○ ○ ○

أَيُّهَا النَّاسُ دِينُ أَحْمَدَ حَقٌّ
وَصَرِيحٌ فَحَسْبُنَا مَا نَحَابِي

(١) الزرابي: النمارق والبُسط أو كل ما بُسط واتكئ عليه مفردها زُرْبِي.

(٢) عَدَوْنَا: أي تجاوزنا وتعدينا.

(٣) ضَلَّة: حَيْرَة.

لَوْ تَدَارِي أُسْدُ الشَّرَى ثَغْلَبَ الرُّوضِ تَمَطَّى لِكَيْدِهَا فِي الْغَابِ

○ ○ ○

أَيُّهَا الْعَامِلُونَ لَا تَسْتَكِينُوا إِنَّمَا الضَّعْفُ شِيْمَةُ الْمُرْتَابِ
إِنْ ضَعُفْتُمْ يَضْعَفُ بِكُمْ جِيلُ قَوْمِي فَهُوَ فِي الْجِدِّ وَاهِنُ الْأَعْصَابِ
وَاحْذَرُوا بَيْنَ حِكْمَةٍ وَأَنَاءٍ أَنْ يَجُوسَ الْعَدُوُّ تَحْتَ حِجَابِ

○ ○ ○

أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ لَا تَتَوَانُوا فَالْتَّوَانِي وَسِيلَةٌ لِلتَّبَابِ^(١)
وَإِذَا الْمُصْلِحُونَ فِي الْقَوْمِ نَامُوا نَهَضَتْ بَيْنَهُمْ جُيُوشُ الْخَرَابِ

○ ○ ○

إِنَّ هَذِي قَصِيدَتِي فَاسْمَتْنِي بَعْضَ نَفْسِي وَفِكْرَتِي وَطِلَابِي
مَا عَلَى الْعَاجِزِينَ مِثْلِي سِوَى الْقَوْلِ فِذِي عُذَّتِي وَهَذَا جِرَابِي

(٨١ بيتاً)

دمشق، في سنة ١٣٧٠ هجرية

(١) التَّبَابُ: النقص والخسران.

في سنة ١٣٧٣ هجرية أقام أبي رحمه الله احتفالاً توجيهاً في مسجده الجامع بحي الميدان بدمشق، اشترك في الخطابة فيه عدد من طلابه، منهم المقرئ الجامع للقراءات العشر الشيخ حسين خطاب، والمقرئ الجامع للقراءات العشر الشيخ محمد كريم راجح، وكلاهما قد جمعا القراءات العشر من طريق الشاطبية والدررة على المقرئ الجامع الشيخ محمد الحلواني، ثم ولده العبقري المقرئ الجامع الشيخ أحمد الحلواني. ومن طريق طيبة النشر على المقرئ الجامع الشيخ عبدالقادر قويدر العربي.

وكنتم أعددت لهذا الاحتفال هذه القصيدة، وألقيتها فيه، وهي بعنوان:

«مشرق شمس الإسلام»

مَشْرِقُ شَمْسِ الْإِسْلَامِ

وَمِنْ وَشُوشَاتِ النَّحْلِ مَا انْتَحَلَ الشِّعْرُ؟
إِذَا كَانَ هَذَا السِّحْرُ لَا عُدَمَ السِّحْرِ
كَسِرْبِ ظَبَاءٍ رِيحٌ يَدْفَعُهُ النَّفْرُ
وَلَكِنْ حَدِيثُ الرَّمْلِ أَغْلَبُهُ سِرٌّ
فَأَذَّنَ فِي الْوَادِي وَلَدَّ لَهُ النَّشْرُ
فَصَفَقَتِ الْأَغْصَانُ وَارْتَعَشَ الطَّيْرُ
بِأَعْذَبِ نَجْوَى اثْنَيْنِ مَا بِهِمَا حِذْرُ
وَأَدْرَكَ مَا فِي الْأَمْرِ فَابْتَسَمَ الزَّهْرُ
بِسِحْرِ مِنَ الْأَلْحَانِ بَشَّ لَهُ الدَّهْرُ
وَمَا حَدَّهَا وَصَفٌ وَلَمْ يَعْهَا فِكْرُ
لِمَشْرِقِ شَمْسِ الْمُصْطَفَى وَانْتَهَى الْأَمْرُ

○ ○ ○

أَمِنْ هَمَسَاتِ الْمَاءِ مَا شُجِنَ الصَّدْرُ
وَلِلنَّهْرِ سَجْعٌ لَا يُمَلُّ سَمَاعُهُ
وَسَالَ عَلَى حَصْبَاءٍ مُنَحَدِرِ اللَّوَى^(١)
وَلِلرَّمْلِ عِنْدَ الشَّاطِئَيْنِ حَدِيثُهُ
وَصَاقَ وَعَاءُ الطَّيْرِ عَنْ كَتَمِ سِرِّهِ
وَأَبْدَعَ عُذْرِيَّ النَّسِيمِ مُجُونَهُ
وَحَدَّثَتِ الرِّيحَانَةُ الْوَرْدَ سَاعَةً
وَأَغْضَتِ عُيُونَ النَّزْجِسِ الْغَضَّ عَنْهُمَا
وَتَمَّمَ أَنْوَاعَ الْجَمَالِ مُغَرِّدُ
أَحَاسِيسٍ عِنْدَ الْمُرْهَفِينَ لَذِيذَهُ
وَمَا هِيَ إِلَّا مِثْلُ وَمُضٍ شُعَاعَةٍ

فَعَمَّ عَلَى الْأَرْجَاءِ مِنْ عِطْرِهِ عِطْرُ
يَبْعَثُهُ مَنْ جَاءَ الْهَدَى فِيهِ وَالطُّهْرُ
سَمَاءٍ سَمَتْ فِيهَا كَوَاكِبُهَا الزَّهْرُ
فَلَا بَزَعَتْ شَمْسٌ وَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ
وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ آيَاتُهُ غُرٌّ

○ ○ ○

أَيَا عَهْدَ إِشْرَاقِ الْهَدَى فَاحَ نَشْرُهُ
يُذَكِّرُنَا عَصْرًا لَيْالِيهِ نَوْرَتْ
أَيَا مَشْرِقًا فِي الْأَرْضِ شَرَفَتْهَا عَلَى
إِذَا لَمْ يَرَ الرَّاوُونَ نُورَ رَسُولِنَا
فَوْحِي مِنَ الرَّحْمَنِ مَنبَعُ هَدْيِهِ

(١) اللَّوَى: مَا أَلْتَوَى مِنَ الرَّمْلِ.

يَتِيمَ قُرَيْشٍ يَا أَبَا النَّاسِ دَعْوَةً
وَمَا الَّتِي إِلَّا بَعْضُ مَا أَنْتَ ظَافِرٌ
فَلَا دَمَعَتْ عَيْنَا يَتِيمٍ مِنَ الْأَسَى

○ ○ ○

تَبَارَكْتَ رَبَّ الْعَرْشِ أَرْسَلْتَ أَحْمَدًا
أَكَانَ لِرَامَا فِي الْوَرَى أَنْ مَنْ دَعَا
نَعَمْ هُوَ شَأْنُ النَّاسِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ
فَصَبْرًا دُعَاةَ اللَّهِ إِنْ مَسَّكُمْ أَذَى
فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَسْوَةٌ مَنْ دَعَا

○ ○ ○

رَسُولَ الْهُدَى رِفْقًا بِنَفْسِكَ. إِنْ مَنْ
جَوَانِحُهُمْ يَغْلِي مِنَ الْبُغْضِ كَيْدَهَا
فَدَعُهُمْ. وَلَا تَذْهَبْ بِنَفْسِكَ حَسْرَةً
أَلَا خَبَرُونِي: هَلْ كَمِثْلٍ مُحَمَّدٍ

○ ○ ○

رَسُولَ الْهُدَى عَلَّمْتَنَا كَيْفَ نَرْتَقِي
وَأَنَّ طَرِيقَ الْمَجْدِ وَعَرٌّ وَإِنَّمَا
وَهَذَبْتَ بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ خَلَائِقًا
فَلَمْ تَرْضَ فِيهَا الذُّلَّ وَالضَّعْفَ وَالضَّنَى^(١)
وَهَلْ يُنْكِرُ النُّورَ الَّذِي جِئْنَا بِهِ
حَمَلْتَ لَنَا الْإِسْلَامَ دِينًا وَدَوْلَةً

إِلَى ذُرْوَةِ مَا مَسَّهَا أَمَلٌ بِكُرٍ
يُذِلُّهُ الْإِيمَانُ وَالْجِدُّ وَالصَّبْرُ
لَكُمْ أَشَقَّتِ الدُّنْيَا قَبَائِحُهَا الْكَثْرُ
وَسَاءَكَ مِنْهَا الظُّلْمُ وَالْبَغْيُ وَالْغَدْرُ
مِنَ اللَّهِ إِلَّا الْجَاهِلُ الْجَاهِدُ الْغُمُرُ^(٢)
وَعِلْمًا وَتَطْيِيقًا. وَكُلُّ لَهُ قَدْرٌ

(١) الضَّنَى: المرض المزمن.

(٢) الْغُمُرُ: الغِر الذي لم يجرب الأمور.

هُوَ الدِّينُ والدُّنْيَا . هُوَ الْحَقُّ وَالْهُدَى
هُوَ الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ . وَالصَّبْرُ وَالرِّضَا
هُوَ السَّلَامُ وَالْقُرْآنُ . وَالْحَرْبُ وَالْقَنَا (١)
هُوَ الْجِدُّ فِي الْأَعْمَالِ وَالْكَذْحُ فِي الْهُدَى
هُوَ الْوَحْدَةُ الْكُبْرَى . هُوَ الشَّمْسُ لِلْوَرَى

هُوَ الْمَجْدُ وَالْعَلِيَا . هُوَ الْخَيْرُ وَالْبِرُّ
فَلَا السُّخْطُ مَوْجُودٌ . وَلَا نَشِبَ الْفَقْرُ
هُوَ الْقُوَّةُ الْعُظْمَى . هُوَ الصِّدْقُ وَالطُّهْرُ
هُوَ الْبَأْسُ وَالْإِقْدَامُ . وَالرَّأْيُ وَالْحِجْرُ
بِهِ الْأُمَّةُ الْمُثَلَّى . بِهِ الْخَيْرَةُ الْغُرُ

○ ○ ○

إِلَّا حَبْدًا الْإِسْلَامُ أَمْنَعُ وَحْدَةٍ
وَلَا حَبْدًا مَنْ ضَيَّقَ الْفَضْلُ فِي الْوَرَى

تَضُمُّ شَتَاتَ النَّاسِ مَا اخْتَلَفَ النَّجْرُ (٢)
لَقَدْ ضَاقَ فِيهِ الْعَدْلُ وَالرَّأْيُ وَالصِّدْرُ

○ ○ ○

إِذَا سَأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي مُسْلِمٌ
فَلَا الْعُرْبُ تَحْلُو فِي الْفَخَارِ لِمَنْ دَرَى
وَكُلُّ بِلَادٍ اللَّهُ أَرْضِي إِذَا انْتَهَى

أَفَاحِرُ بِالْإِسْلَامِ مَا لَدَّ لِي الْفَخْرُ
وَلَا غَيْرُهَا يَحْلُو إِذَا صَدَقَ الْخُبْرُ (٣)
إِلَى الدِّينِ فِيهَا الْحُكْمُ وَالنَّهْيُ وَالْأَمْرُ

وَلَوْ صَارَ ظَهْرُ الْبَحْرِ دُنْيَا عَقِيدَتِي
وَلَا لَدَّ لِي فِي الْبَرِّ أَمَّنٌ مُحَبَّبٌ
وَلَا مَكَّةُ إِذْ ذَاكَ أَرْضُ رَغِيبَةٍ

لَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا لَدَيَّ هِيَ الْبَحْرُ
وَلَا كَانَ لِي فِيهِ جَمَالٌ وَلَا سِحْرُ
وَلَا الشَّامُ شَامٌ فِي الْفُؤَادِ وَلَا مِصْرُ

○ ○ ○

أَرَى النَّاسَ صِنْفًا مَآكِراً مُتَلَوْنًا
وَأَمَّا رِجَالُ الْحَقِّ فَالْحَقُّ فِيهِمْ
لَقَدْ وَرِثُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ وَرِاثَةٌ

وَأَخَرُ غِرًّا جَاهِلًا أَنَّهُ غِرُّ
ضَعِيفٌ تَهَادَاهُ الْمَطَامِعُ وَالْحِذْرُ
أُولَئِكَ قَوْمٌ لَا يَشُدُّ بِهِمْ أَرْزُ

○ ○ ○

(١) القنا: الرِّمَاح جمع قناة.

(٢) النَّجْر: الأصل.

(٣) الْخُبْر: بضم الخاء اختبار الشيء وامتحانه.

أَخِي دِينَنَا الْإِسْلَامُ وَاللَّهُ رَبُّنَا
وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ آيَاتُهُ الضُّحَى
وَقَبْلَتُنَا الْبَيْتُ الْحَرَامُ وَفَجَّرْنَا
سِيَاسَتَنَا التَّوْحِيدُ. وَالْعَدْلُ حُكْمُنَا
لَنَا الشَّمْسُ أَخَفَتْ كُلَّ نُورٍ بِضَوِّيْهَا

وَدُسْتُورُنَا نَهْيٌ مِنَ اللَّهِ أَوْ أَمْرٌ
إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَحْدَاثُ أَوْحَلَكَ الدَّهْرُ
رِسَالَةُ عِلْمٍ لَا يُدَاخِلُهُ شَرٌّ
وَتَارِيخُنَا أَفَقٌ بِهِ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ
فَطَابَ لَهُ فِي الْأَرْضِ أَنْ يُسَدَلَ السِّتْرُ

دمشق في ١٢/٣/١٣٧٣ هجرية

(٥٥ بيتاً)

في احتفالٍ توجيهي لجماهير المسلمين، ضمن الاحتفالات التوجيهية التي كان أبي رحمة الله عليه يقيمها، ويؤازره في إقامتها تلاميذه وإخوانه ومحبيه، أُلقيت هذه القصيدة، التي نظمها لألقيها فيه. وهي بعنوان:

«يا أرض مكة»

وقد نالت هذه القصيدة استحساناً، وأخذ منها المنشدون أبياتاً لحنوا بعضها تواشيح، وأنشدوا كثيراً منها قصائد في مناسبات متعددة.

وقد أعدت إلقاءها في احتفالات أخرى، وأول احتفال أُلقيتها فيه كان في جامع منجك بحيّ الميدان من مدينة دمشق الشام، حيث معهد التوجيه الإسلامي، معهد أبي الشرعي، وذلك في ربيع الأول من سنة ١٣٧٥ هجرية. وقد نشرت مقطعاً من هذه القصيدة بديواني: «ترنيمات إسلامية» وفيها هنا بعض تعديلات وتنقيحات.

يا أرض مكة

يَا أَرْضَ مَكَّةَ مَا هَذَا الْبَدْيُ الْعَطْرُ مَا ذَلِكَ النَّورُ فِي قُطْرَيْكَ مُتَشِيرُ؟!
مَا ذَلِكَ السَّعْدُ فِي وَادِيكَ مُنْبِعُثُ بِطَاحِكِ الْغُبْرِ فِيهَا يَبْسُمُ الْحَجَرُ؟!
○ ○ ○

أَرَيْتُ بِطَحَاءِكَ الْقَفْرَاءَ ضَاكِكَةً كَأَنَّ فِيهَا جَنَّانَ الْخُلْدِ تَزْدَهَرُ
وَذَلِكَ الْجَبَلُ السَّامِيُّ بِقِمَّتِهِ يُرِيدُ نُطْقًا وَلَكِنْ لَيْسَ يَقْتَدِرُ
○ ○ ○

سَأَلْتُكَ الْحَقَّ. وَالْدُّنْيَا مَعِيَ سَأَلْتُ هَلْ جَدَّ عِنْدَكَ أَحْدَاثُ لَهَا خَطَرُ?
○ ○ ○

إِنَّ الَّتِي قَدْ دَعَوْنَاهَا بِأَمْنَةٍ تَمَخَّضَتْ عَنْ وَلِيدِ وَجْهِهِ الْقَمَرُ
○ ○ ○

مُحَمَّدُ. أَنْتَ مَا أَحْلَاكَ تَسْمِيَةً اللَّهُ سَمَّاكَهَا. وَالْحَمْدُ مُتَتَّظَرُ
اللَّهُ رَبَّاكَ. لَا تَحْتَاجُ تَرْبِيَةً مِنْ وَالِدٍ. فَبِتَاجِ الْيَتَمِ تَفْتَخِرُ
○ ○ ○

شَبَّ الْفَتَى. وَسَمَتْ فِيهِ خَلَائِقُهُ قَالُوا: الْأَمِينُ. وَقَالُوا: الصَّادِقُ الْخَفِرُ
حَدِيثُهُ الْحَقُّ جَذَابٌ بِحِكْمَتِهِ مَا السِّحْرُ مِنْ لَفْظِهِ؟! مَا الطَّلُّ؟! مَا الدَّرَرُ?
الْحَقُّ أَيْدُهُ. وَالْخُلُقُ زِينُهُ وَاللَّهُ بَارَكُهُ. مَا مِثْلُهُ بَشَرُ
○ ○ ○

يَهْفُو لِغَارِ حِرَاءٍ فِي دُجَّتِهِ فِي الْغَارِ سِرٌّ لِهَذَا الْكَوْنِ مُسْتَرُّ
غَارٌ تَلَمَّسَ فِيهِ الْغَيْبُ مُحْتَجِبًا فَعَاشَ فِيهِ اللَّيَالِي وَهُوَ يَقْتَكِرُ

سَعَى إِلَى الْغَيْبِ حَتَّى كَادَ يَلْمُسَهُ
إِذْ ذَاكَ وَافَاهُ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ بِهِ

○ ○ ○

مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ وَكَادَ السِّرُّ يَنْحَسِرُ
فَلَأَمَسَ الْغَيْبَ مِنْهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

عَادَ الرُّسُولُ وَاللُّوْحَ الْغُيُوبِ عَلَى
هَذَا مِنَ اللَّهِ تَنْزِيلٌ وَمُعْجِزَةٌ
قَالُوا - وَقَدْ دَهَشُوا -: سِحْرُ أَلَمَ بِهِ

○ ○ ○

لِسَانِهِ. وَكَلَامُ اللَّهِ يَزْدَهَرُ
كُبْرَى. وَآيَاتُهُ الْأَحْكَامُ وَالْعِبْرُ
وَمَا دَرَوْا أَنَّهُمْ فِي رَأْيِهِمْ سُجِرُوا

أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَذْنِينَ وَادْعُهُمْ
فَمَا لِعَمَّتِهِ الْقُرْبَى وَلَا ابْتِغَاهُ
وَهَذِهِ دَعْوَةُ الرُّسُلِ الْكِرَامِ فَذَا

○ ○ ○

وَاهْجُرْ مِنَ الْقَوْمِ مَنْ لَمْ تُغْنِهِ النُّذُرُ
بِالْقُرْبِ عَنْ عَمَلِ الْخَيْرَاتِ مُعْتَذِرُ
نُوحٍ وَمَا لِابْنِهِ مَنْجَى وَلَا وَرَرُ

قَالُوا: مُحَمَّدٌ دَعَا أَمْرًا أَتَيْتَ بِهِ
أَغْرَوُهُ بِالْمُلْكِ وَالتَّيْجَانِ مُغْرِيَةً
فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا عَمَّاهُ لَوْ وَضَعُوا
أَخْطَأْتُمُوهُمْ نَفْسِي إِنِّي بَشَرٌ
أَمَالُ نَفْسِي بِهِدْيِ النَّاسِ عَلَّقَهَا

○ ○ ○

نَمْنَحَكَ مَالَكَ فِيهِ عِنْدَنَا وَطَرُ
لَوْ أَنَّ دَاعِيَهُمْ يَسْعَى لِمَا ذَكَرُوا
لِي الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ مَا أَغْرَتْنِي الصُّورُ
وَمَا بِنَفْسِي إِلَى أَوْطَارِكُمْ نَظَرُ
رَبِّي. وَبِالْخُلْدِ حَيْثُ السَّعْدُ وَالظَّفَرُ

الْمُصْلِحُونَ أَمَانِيهِمْ خَوَالِدُ إِذْ
الْمُصْلِحُونَ مَتَى مَالُوا لِفَانِيَةٍ
وَالْفَانِيَاتُ لِقَلْبِ الْمَرْءِ قَاتِلَةٌ

○ ○ ○

تَفَنَّى الْأَمَانِي. وَتَفَنَّى الْأَرْضُ وَالْعَصْرُ
مَاتُوا. وَلَمْ يَبْقَ مِنْ إِصْلَاحِهِمْ أَثَرُ
وَالْمُغْرِيَاتُ عَلَى طُولِ الْمَدَى كَثُرُ

فِذَاكَ يَا دَاعِي الرَّحْمَنِ أَفْئِدَةٌ
صَحَّحَتْ لِلنَّاسِ أَفْهَامًا مُزَيَّفَةٌ
الْخَيْرُ عِنْدَكَ مَوْفُورٌ لِعَالَمِنَا

فِيهَا مِنَ الْحُبِّ وَالْإِيمَانِ مُسْتَعِيرُ
وَجِئْتُهُمْ بِحَيَاةٍ جَوْهَا عَطِرُ
لَا يُنْكَرُ الْفَضْلُ إِلَّا جَا حِدُّ أَشْرُ

حَمَلَتْ لِلْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ مُحْكَمَةً
فَسَوَّتِ النَّاسَ فِي دُنْيَا مَفَاخِرِهِمْ
لَا فَضْلَ لِلْعَرَبِ مِنْ أَجْلِ الْعُرُوبَةِ. لَا
لَا فَضْلَ بِالْجِسْمِ مَا فَاقَتْ مَحَاسِنُهُ
الْفَضْلُ بِالْعَمَلِ الْمُرْضِيِّ. وَأَكْرَمُنَا
لَا رَيْبَ فِيهَا هِيَ الْآيَاتُ وَالسُّورُ
شُعُوبُهُمْ شَرَعَ إِذْ كُلُّهُمْ بَشَرُ
عُنْصُرِيَّاتٍ بَيْنَ النَّاسِ تَفْتَخِرُ
بِشُرْعَةِ اللَّهِ. لَا بَدْوُ وَلَا حَضَرُ
عِنْدَ الْمُهَيِّمِينَ اتَّقَانَا. فَلَا بَطْرُ^(١)

○ ○ ○

الْمُسْلِمُ الْحَقُّ دُنْيَا دِينِهِ وَطَنُ
يَعِيشُ فِي جَوْهٍ جَمِّ الرِّضَا جَدَلًا
سَعَادَةُ الرُّوحِ مِنْ عَلَيْهِ تَنْهَمُرُ
بِمُؤْنَسٍ مَا بِهِ مُرٌّ وَلَا كَدَرُ

○ ○ ○

الْمُسْلِمُ الْحُرُّ مِثْلُ الطَّيْرِ مَبْدُوهُ
فَأَيُّمَا بَلَدٍ فِيهَا هَوَى كِبْدِي
هَذَا الَّذِي نَشَرَ الْإِسْلَامَ رَأَيْتُهُ
كَانَتْ لَدَيْنَا تَفَاهَاتٌ مُفَرِّقَةٌ
عِمَادُهَا عَصِيَّاتٌ مُنَوَّعَةٌ
هَذَا بِمُقْلَتِهِ الْعَوْرَاءِ مُفْتَخِرُ
فَوَحَّدَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ أُمْتَنَا
فَهَلْ لِيَوْحِدَةِ هَذَا الدِّينِ مِنْ شَبِّهِ
الْأَرْضُ لِلَّهِ أَنَّى طَرْتُ لِي وَطَرُ
فَأَيُّهَا وَطَنِي بِالْمَجْدِ يَزْدَهَرُ
فِي عَالَمٍ كَانَ بِالْبَغْضَاءِ يَسْتَعِرُ
كُنَّا بِهَا كَالشَّطَايَا حِينَ تَنْشُرُ
مِنْ كَاذِبَاتِ الرُّؤْيَى وَالْوَهْمِ تَعْتَصِرُ
وَذَاكَ بِالْأُذُنِ الصَّمَاءِ يَفْتَخِرُ
وَالْتَمَّ شَمْلُ وَجَاءِ النَّصْرِ وَالظَّفَرُ
فِي عَالَمِ الْحِسِّ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

○ ○ ○

هَذَا الَّذِي قَدْ هَجَرْنَاهُ لَتَبِهَا
قُومُوا بِهَا وَحِدَةً كُبْرَى مُشَبَّكَةً
بِالْقُوَّةِ الْحَقُّ تَسْتَعْلِي مَبَادِئُهُ
وَأُحْنِنَا. أَيْنَ مِنَّا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
الْحَقُّ يَدْعُمُهَا. وَالْمِدْفَعُ الْخَطَرُ
وَالْحَقُّ مِنْ دُونِهَا فِي صِدْقِهِ نَظَرُ

○ ○ ○

(١) البطر: الكبر وكفر النعمة والطغيان.

عُلُومٌ مَنْ كَفَرُوا جَاءَتْ بِمَا طَعَنْتَ
خَلَّتْ مِنَ الْعُنْصُرِ السَّامِيِّ لِعَالَمِنَا
إِنَّا نَعِيشُ حَضَارَاتٍ مُشَوَّهَةً
أَنْيَابُهَا مِنْ صَوَارِيخِ الرَّدَى صُنِعَتْ

○ ○ ○

قَدْ كَانَ لِلْعَدْلِ أَحْكَامٌ مُطَبَّقَةٌ
إِنَّا عَدَلْنَا بِهِمْ عَدْلًا نَبِيِّهِ بِهِ
وَإِنَّهُمْ حِينَ جَاءَتْنَا جُمُوعُهُمْ
وَاسْتَعْمَرُونَا فَكَانَ الْهَدْمُ دَيْدَنَهُمْ
أَهْؤُلَاءِ نُرِيدُ الْعَدْلَ عَنْدهُمْ
لَا يُنْقِذُ الْحَقَّ يَوْمًا مِنْ بَرَائِنِهِمْ
مَنْ يَنْذِرِ النَّفْسَ لِلْقَهَارِ حَرَرُهُ

○ ○ ○

نَحْنُ الْأُولَى نَرْتَقِي مَجْدَ الذُّرَى أَبَدًا
وَيُسْتَذَلُّ جَبَانُ النَّفْسِ خَائِرُهَا

○ ○ ○

آتِ مَتَى شَاءَ رَبِّي يَوْمَ عِزَّتِنَا
يَوْمَ نُعِيدُ بِهِ حُكْمَ الْكِتَابِ إِلَى
يَوْمٍ نَجْمَعُ فِيهِ شَمْلَ أُمَّتِنَا
وَلَا يُفَرِّقُنَا لَوْنٌ وَلَا بَلَدٌ
وَلَا تَبَاعِدُنَا الْأَبْحَارُ مَا اتَّسَعَتْ

وَإِنْ تَعَاسَرَتِ الْأَحْوَالُ وَالْغَيْرُ^(١)
حَيَاتِنَا وَبِهِ تُسْتَجْمَعُ الْقُدْرُ
فَلَا يُفَرِّقُنَا صَفْوٌ وَلَا كَدْرٌ
وَلَا يُبَدِّدُنَا ضِيقٌ وَلَا بَطَرٌ
الْحُبُّ دَانٍ وَإِنْ شَطَّتْ بِنَا الْجُرُورُ

(١) الْغَيْرُ: أحوالُ الدَّهْرِ المتغيرة.

وَتُصْبِحُ الدُّوْلُ الْكُبْرَى مُسَالِمَةً
وَمَكْرُ صِهْيَوْنَ يَسْتَخْذِي لِقُوَّتَنَا
إِذْ يَسْتَجِيبُ لِمَا نَدْعُو بِهِ الْقَدَرُ
وَيَهْزِمُ الْجَمْعَ نَصْرُ اللَّهِ وَالظَّفَرُ

دمشق في ربيع الأول ١٣٧٥ هجرية

(٧٠ بيتاً)

وفي سنة ١٣٨١ هجرية و١٩٦١م أقام أبي رحمه الله تعالى احتفالاً توجيهياً عاماً، دعا إليه جمهوراً كبيراً من الناس، وكانت الدعوة عامة كعادته في كل الاحتفالات التوجيهية الإسلامية التي كان يقيمها، وقد ضم هذا الاحتفال جمهوراً غفيراً.

تحدث في هذا الاحتفال عدد من تلاميذ أبي الخطباء، أمثال الشيخ حسين خطاب، والشيخ كريم راجح، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. وكنت واحداً منهم إذ شاركت فيه بإلقاء هذه القصيدة التي كنت أعددتها له، وهي بعنوان:

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم»

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم

الْبَيْتُ وَالْحَرَمَانِ هَزَّهُمَا الطَّرْبُ وَنَخِيلٌ يَثْرِبُ مَسَّهَا الشَّوْقُ اللَّجْبُ^(١)
وَجِرَاءُ خَفَاقُ الْفُؤَادِ بِشَوْقِهِ كَلِفٌ عَلَى وَشَكِّ اللَّقَاءِ لِمَنْ يُحِبُّ
وَأَقَامَ حُرَّاسُ الْعِنَايَةِ وَالرِّضَى فِي غَارِ ثَوْرٍ يَهْزُؤُونَ بِمَنْ طَلَبَ

○ ○ ○

لِمَنْ الْبِلَادُ بِطُولِهَا وَبِعَرَضِهَا لَمَعَتْ ضَوَاحِكُهَا عَلَى حُلٍّ قُشْبُ^(٢)
وَبَدَتْ بِكُلِّ غَرِيْبَةٍ وَعَجِيْبَةٍ وَسَعَى الْخَلَائِقُ يَسْأَلُونَ عَنِ السَّبَبِ

○ ○ ○

فَإِذَا الَّذِي أَخْفَاهُ فِي أَسْتَارِهِ جُودُ الْقَضَاءِ هُوَ النَّبِيُّ مِنَ الْعَرَبِ
هُوَ ذَا الْوَلِيدِ بِيْطْنِ مَكَّةَ مُشْرِقُ هُوَ ذَا الْيَتِيمِ حَفِيدُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ
أَحْوَالُهُ فِي يَثْرِبٍ وَعَمُوْدُهُ بَعْمُودِ إِسْمَاعِيلَ مُتَّصِلُ النَّسَبِ
وَضَعَتْهُ أَمْنَةُ الطَّهْوَرُ وَمَا دَرَتْ أَنَّ الْوَلِيدَ هُوَ الرَّسُولُ الْمُرْتَقَبُ

○ ○ ○

بَسَمَ الْوَلِيدُ مُحَمَّدٌ فِي مَكَّةَ فَإِذَا بِقَاعِ الْأَرْضِ يَغْمُرُهَا الطَّرْبُ
أَتَتْ الْمَرَاضِعُ يَتَتَقِينَ ذَوِي الْغِنَى فَزَهْدُنَ بِالْطِّفْلِ الَّذِي فَقَدَ النَّشْبُ^(٣)
أَمَّا حَلِيمَةُ فَهِيَ دُونَ رِفَاقِهَا جَلَبَتْ بِهِ خِصْبَ الْمَرَاعِ وَالْحَلْبُ

(١) اللَّجْبُ: ذو الأصوات المختلطة لكثرة وتحركه.

(٢) قُشْبُ: جمع قُشِبٍ وهو الجديد، وقد يطلق على البالي فهو من الأضداد.

(٣) النشب: المال الأصيل من الناطق والصامت.

وَتَرَعَّرَ الْطِفْلُ الْيَتِيمَ وَمَا يَرَى
لَكِنْ رَبَّ النَّاسِ أَدَبَهُ فَيَا
أُمًّا تُدَاعِبُهُ وَلَا يُدِينُهُ أَبٌ
نَعَمَ الْمُؤَدِّبُ لِلْيَتِيمِ وَنَعَمَ رَبٌّ

○ ○ ○

نَشَأَ الْفَتَى فِي بَطْنٍ مَكَّةَ طَاهِرًا
أَمْرُ الْفَتَى عَجَبٌ فَلَا هُوَ حَافِلٌ
عَفٌّ كَرِيمٌ مَاجِدٌ وَمُهَذَّبٌ
أَتْرَابُهُ يَتَقَلَّبُونَ مَعَ الْهَوَى
فَإِذَا رَأَهُمْ يَسْقُطُونَ تَرَفَعَتْ
زَانَتْ فَضَائِلُهُ الْأَمَانَةُ وَالْحِجَا
بَعَثَتْهُ تَاجِرَةُ الْحِجَازِ بِمَالِهَا
وَرَأَتْ بِهِ الشَّهْمَ الْعَفِيفَ الْمُتَقَى
فَسَعَتْ لِخِطْبَتِهِ وَكَانَتْ قَبْلَهُ
فَلَنَعَمَ عَقْلٌ خَدِيجَةٌ فِي قَوْمِهَا

○ ○ ○

أَيُّ الشَّبَابِ شَبَابٌ أَطْهَرَ مَاجِدٍ!
جُمِعَتْ لَهُ غَايَاتُ كُلِّ فَضِيلَةٍ
زَوْجٌ وَمَا عَرَفَ النِّسَاءُ نَظِيرَهُ
فَاقَ الرِّجَالَ كَرَامَةً وَحَصَافَةً
وَسَمَتْ بِهِ النَّفْسُ الرَّفِيعَةُ لِلْعُلَا(٤)
مَا نَدَّ عَنْهُ عَظِيمٌ خُلِقَ أَوْ حَسَبَ(٢)
أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ مِنْهُ فَضْلًا أَوْ أَحَبَّ؟
بِكَرِيمٍ عِشْرَتِهِ وَوُدٍّ أَوْ حَدَبٍ
قُزْمٌ(٣) لَدَيْهِ الْعَبَقْرِيُّونَ النُّجُبُ
وَأَتَى حِرَاءَ يَهْزُ أَطْرَافَ الْحُجُبِ

(١) النُّوبُ: جمع نائبة وهي النازلة من حوادث الدهر والمصيبة.

(٢) الْحَسَبُ: يطلق على ما يعده الإنسان من مفاخره، وعلى الكرم والدين والمال ونحو ذلك.

(٣) قُزْمٌ: جَمْعُ قَزَمَ، ويجمع أيضاً على أَقْزَامَ.

(٤) الْعُلَا: جَمْعُ الْعَلَاءِ.

إِنْ سَاجِداً لِلَّهِ أَوْ مُتَفَكِّراً فِي الْكَوْنِ فِي الْأَفْلَاقِ عَبْرَ الْمُحْتَجَبِ
فِي الصُّبْحِ. فِي الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ. فِي الضُّحَى

فِي الظَّلِّ. فِي النُّوَارِ^(١). فِي الرَّعْدِ اللَّجْبِ

فِي النَّخْلِ يَسْمُقُ. فِي النَّضِيدِ يَطْلُعُ مُتَأَمِّلاً فِي نَفْسِهِ مُتَطَلِّعاً
فَإِذَا الْغُيُوبُ يُزَاحُ مِنْ أَسْتَارِهَا وَآتَى إِلَى صَدْرِ الْحَبِيبِ يَضُمُّهُ
أَمَحْمَدُ: أَقْرَأ. وَهُوَ لَيْسَ بِقَارِئٍ هُوَ نَفْسُهُ نَامُوسُ عَيْسَى قَبْلَهُ

○ ○ ○

رَجَعَ النَّبِيُّ لِرِزْوَجِهِ يَحْكِي لَهَا أَلْقَتْ عَلَيْهِ دُثُورَهَا وَحَنَتْ عَلَى
قَالَتْ: حَبِيبِي لَا تَخَفْ وَاللَّهِ لَنْ اللَّهُ رَبُّكَ لَنْ يَضُرَّكَ طَارِقُ

○ ○ ○

وَتَبَاطَأَ الْوَحْيُ الْكَرِيمُ وَشَيَّعُوا وَاشْتَدَّ شَوْقُ الْمُصْطَفَى حَتَّى عَلَا
هُوَ حُبُّهُ لِلَّهِ أَشْعَلَ قَلْبَهُ وَالْحُبُّ يَفْتَرِسُ الْقُلُوبَ بِمِخْلَبِ

○ ○ ○

(١) النُّوَار: الزهر.

(٢) الْأَرْب: البصير العاقل الماهر.

(٣) وَجَبَ الْقَلْبُ يَجِبُ وَجْباً وَوَجِيباً: إِذَا خَفَقَ.

لَا وَالضُّحَى، مَا كَانَ رَبُّكَ قَالِيًا لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ حَبٌّ نَسْلُ حَبِّ

○ ○ ○

فَمُ وَادَّعُ لِلدِّينِ الْقَوِيمِ بِحُكْمَةٍ مَا أَنْتَ إِلَّا رَحْمَةٌ لِمَنْ اقْتَرَبَ
مَا أَنْتَ إِلَّا خَاتَمُ الرُّسُلِ الَّذِي عَمَّتْ رِسَالَتُهُ الْخَلَائِقَ وَالْحَقَبَ

○ ○ ○

أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْقَرِيَّةَ وَاصْطَبِرْ مَهْمَا لَقِيتَ مِنَ الْعِدَا فَلَكَ الْغَلَبُ
فَلَرُبَّمَا قَالُوا: امْرُؤٌ ذُو جِنَّةٍ وَلَرُبَّمَا اتَّهَمُوا حَدِيثَكَ بِالْكَذِبِ
وَلَرُبَّمَا زَعَمُوا بِأَنَّكَ سَاحِرٌ أَوْ شَاعِرٌ أَوْ أَنْتَ تَطْمَعُ بِالذَّهَبِ
أَوْ رَاغِبٌ بِكَرِيمَةٍ فَتَّانَةٍ فِي حُسْنِهَا أَوْ طَالِبٌ مُلْكِ الْعَرَبِ
وَلَرُبَّمَا أَلْقَوْا عَلَيْكَ مِنَ الْأَذَى وَرَمَوْا دُرُوبَكَ بِالْحِجَارَةِ وَالْحَطَبِ
فَاصْبِرْ عَلَى ظُلْمِ الْأَقَارِبِ وَاحْتِمِلْ مِنْ قَوْمِكَ الْأَذْنِينَ قَاسِيَةَ الْكُرْبِ
وَالْجَأْ إِلَى الْمَوْلَى بِقَلْبٍ طَاهِرٍ فَالْنَصْرُ عُقْبَى الصَّابِرِينَ عَلَى النُّوبِ
الصَّبْرُ خَيْرٌ وَسِيلَةٍ يُجْنِي بِهَا حُلُوَ النِّجَاحِ كَجَنِيِّ عُقُودِ الْعِنَبِ

○ ○ ○

أَنْتَ الرُّسُولُ الْمُصْطَفَى بِرِسَالَةٍ تَأْتِي بِأَشْتَاتِ الشُّعُوبِ إِلَى كِتَابِ
لَا فَضْلَ فِي أَلْوَانِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ كُلٌّ لِأَدَمَ وَالتُّرَابِ وَخَلَقِ رَبِّ
الْفَضْلُ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى وَفِي عَمَلٍ بِهِ فِي النَّاسِ تَخْتَلِفُ الرُّتَبُ

○ ○ ○

وَقَفَ النَّبِيُّ عَلَى الصِّفَا وَدَعَا إِلَى دِينِ الْمُهَيِّمِينَ لَا لِمَجْدٍ أَوْ نَسَبِ
يَبْسُوعَ رَحْمَتِهِ تَفَجَّرَ دَافِعًا كَيْ يَهْتَدُوا. كَيْ يَتَّقُوا ذَاتَ اللَّهِبِ
قَدْ كَادَ تَذْهَبُ نَفْسُهُ حِرْصًا عَلَى إِسْلَامِهِمْ مِمَّا لَدَيْهِ مِنْ حَدَبِ
هَيَّا أَقْبِلُوا دِينًا بِهِ كُلُّ الْهَدَى إِنِّي أَنَا شِدُّكُمْ بِإِخْلَاصٍ وَحُبِّ
دِينًا بِهِ لِلنَّاسِ كُلِّ قَوِيمَةٍ وَبِهِ لِأَدْوَاءِ الْخَلَائِقِ كُلِّ طَبِّ

○ ○ ○

مَا قَالَ إِلَّا صَادِقًا وَمُبَلِّغًا
وَلَرُبَّ آذَانٍ تَصُمُّ عَنِ الْهُدَى
فَأَجَابَهُ الرَّجُلُ اللَّيْمُ أَبُو لَهَبٍ
مِنْ أَجْلِ دَا جَمَعْتَنَا وَدَعَوْتَنَا
تَاللَّهِ بَلْ تَبَّتْ يَدَاكَ أبا لَهَبٍ

○ ○ ○

عَنْ رَبِّهِ. مَا قَطُّ حَرَفَ أَوْ كَذَبَ
وَلَرُبَّ أَجْسَادٍ تُشَابِهُهَا الْخُشْبُ
تَبَّتْ يَدَاكَ: أَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْعَجَبُ؟
هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْهُرَاءُ وَذَا الْكَذِبُ
وَصَلِيَّتُهُ يَا زَوْجَ حَامِلَةِ الْحَطَبِ

وَسَعَى رَسُولُ اللَّهِ يَنْشُرُ دِينَهُ
عَادَاهُ أَقْرَبُ قَوْمِهِ وَتَجَمَّعُوا
لَا يَبْتَغِي الدُّنْيَا وَلَا أَحْسَابَهَا
عُرِضَتْ عَلَيْهِ عُرُوشُهَا فَأَذَلَّهَا
وَإِذَا أَنَاهُ الْمَالُ جَادَ بِهِ كَمَا
النَّفْسُ إِنْ عَظُمَتْ تَصَاغَرَتْ الدُّنْيَى
قَادَ الْكَتَائِبَ لِلْعُلَا وَبِهَا امْتَطَى
نَصَرَ الْإِلَهِ مُحَمَّدًا وَأَعَزَّهُ
لَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ أَكْرَمَ مَحْتَدًا
هَزَبُوا بِكُلِّ كَرِيهَةٍ نَدَبُوا لَهَا
وَفَدَوْا نَبِيَّهُمْ بِكُلِّ رَغِيبَةٍ
أَسَوَّوْهُمْ تَبَعٌ لَهُ فِي أَمْرِهِ
إِنْ يَرْغَبُوا فَلِأَنَّهُ هُوَ رَاغِبٌ
صَبَرٌ عَلَى خَوْضِ الْمَكَارِهِ أَنْفُسُ
فَكَأَنَّهُمْ قِطْعُ الْحَدِيدِ يَسُوقُهَا الْقَدَرُ الْعَظِيمُ فَلَيْسَ يُوْهِنُهَا الرَّهْبُ

جَلَدًا صَبُورًا فِي الْأَذْيَةِ وَالنَّصَبِ
لِقِتَالِهِ وَلَكُمْ أَهْيَنَ وَكَمْ كُذِبَ
وَلَرَّبِّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ قَدْ رَغِبَ
بِإِبَائِهِ وَأَبَى الزُّعَامَةَ وَالذَّهَبَ
صَبَّتْ حُمُولُهَا فَافْرَغَتْ السُّحْبُ
فِي عَيْنِهَا وَبَدَتْ لَهَا مِثْلُ الْحَصْبِ
صَهَوَاتِهَا وَعَفَا وَلَانَ وَمَا غَضِبَ
بِالْخَيْرَةِ الْأَطْهَارِ مِنْ عَرَبٍ نُجِبَ
مِنْهُمْ وَلَا أَمْضَى إِذَا حَمَلُوا الْقُضْبُ^(١)
فِي اللَّهِ وَاسْتَحَلُّوا عَلَى الْكُرْهِ الْعَطْبُ^(٢)
وَحَبِيبَةٍ مِنْ أَنْفُسٍ أَوْ مِنْ نَشَبٍ^(٣)
أَوْ نَهْيِهِ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّبَبِ
أَوْ يَغْضَبُوا فَلِأَنَّهُ هُوَ قَدْ غَضِبَ
لَا تَسْتَكِينُ. وَأَعْظُمُ لَا تَضْطَرِبُ
يُوْهِنُهَا الرَّهْبُ

(١) الْقُضْبُ: جمع القضيب، وهو السيف اللطيف الدقيق.

(٢) العطب: الهلاك.

(٣) النشب: المال الأصيل من كل ناطق وصامت.

إِنْ تَلَقَّ وَاحِدَهُمْ تَجِدْهُ بِمَسْجِدٍ
حَرَسُوا رِسَالَةَ رَبِّهِمْ بِنُفُوسِهِمْ
حَمَلُوا بِأَيْدِيهِمْ وَثَائِقَ نَصْرِهِمْ
طَلَبُوا النَّوَاصِي فَاتَّحِينَ بِعَدْلِهِمْ
فَإِذَا جُيُوشُ عَدُوِّهِمْ بَدَدُ بِهِمْ
وَإِذَا بِفَارِسَ فِي شَوَامِخٍ مُلْكُهَا
وَالرُّومُ أُمْسَتْ فِي تَلِيدِ عُرُوشِهَا
مَا كَانَ مِنْ غَلَبٍ وَنَصْرٍ حَاسِمٍ

○ ○ ○

نَحْنُ الْأُولَى حَمَلُوا الْمَكَارِمَ وَالْهُدَى
دُسْتُورُنَا مِنْ رَبِّنَا وَكِتَابُنَا
فِيهِ الْبَيَانُ وَفِيهِ غُنْيَةٌ كُلِّ مَنْ
مَرَّتْ عَلَى الدُّنْيَا مَبَادِيءُ جَمَّةٌ
ثُمَّ اسْتَبَانَتْ لِلْعُقُولِ زُيُوفُهَا
وَالْفَخْرُ فِي الْإِسْلَامِ أَنْ كِيَانُهُ
لَكِنْنَا لَمَّا هَجَرْنَا دِينَنَا
وَتَحَكَّمَ الْبَاغُوتُ فِي أَرْجَائِنَا
فَالشَّيْبُ فِي عَزَمَاتِنَا وَكِيَانِنَا

لِلنَّاسِ بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَبِالْأَدَبِ
قَوْلُ مِنَ الرَّحْمَنِ قُرْآنٌ عَجَبٌ
طَلَبَ السَّعَادَةَ ثُمَّ سَارَ لِمَا طَلَبَ
وَتَقَلَّبَتْ فِيهَا بِأَثْوَابٍ قُشِبَ
فَمَضَتْ غُثَاءً لَيْسَ يُمَسِّكُهَا سَبَبٌ
أَبَدًا بِرِيعَانِ الشَّبَابِ الْمُلتَهَبِ
شَابَتْ عَزَائِمُنَا وَهَدَدْنَا الْحَرْبُ (٢)
وَتَقَاسَمُوا الْأَشْلَاءَ مِنَّا وَالسَّلْبَ
وَقُلُوبَنَا وَالذِّينَ شَرَّخَ (٣) لَمْ يَشِبْ

(١٠١ أبيات)

دمشق في ربيع الأول ١٣٨١ هجرية

(١) الكُتُب: جمع كُتِبَ، وهو الكوم من الرمل الناعم.

(٢) الحرب: السَّلْب، يقال: حَرَبَهُ حَرْبًا إِذَا سَلَبَهُ مَالَهُ.

(٣) الشَّرَّخ: أول الشباب.

وفي احتفال توجيهي دعا إليه أبي رحمة الله عليه ومغفرته ورضوانه في
سنة ١٣٨٢ هجرية و١٩٦٢م تحدّث عدد من تلاميذ أبي الخطباء، وكنت
واحداً منهم إذ أعددت له القصيدة التالية، التي ألقيتها فيه، وهي بعنوان:
«رسول ورسالة ومستجيبون»

رَسُولٌ وَرِسَالَةٌ مُسْتَجِيبُونَ

سَيِّدُ الْخَلْقِ وَفَخْرُ الْمَشْرِقِ وَضِيَاءُ زَانَ وَجْهِ الْأُفُقِ
 وَهَدَى النَّاسَ لِأَخْلَاقٍ غُرُرَ
 وَلِمَجْدٍ صَيْنَ فِي كَفِّ الْقَدَرِ
 لَمْ يُبَحْ إِلَّا لِسَادَاتٍ دُرَرُ
 حَمَلُوا الْقُرْآنَ حَمْلَ الْمُدَكِّرِ
 وَمَشَوْا كَالظِّلِّ فِي رَكْبِ النَّبِيِّ
 أَشْرَفَ الْخَلْقِ وَخَيْرِ الْعَرَبِ
 سَيِّدِ النَّاسِ كَرِيمِ النَّسَبِ
 خَاتَمِ الرُّسُلِ عَظِيمِ الْأَدَبِ
 مَنْ حَبَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ أَرْفَعَ الْمَجْدِ وَأَسْمَى الْخُلُقِ

○ ○ ○

يَا رَسُولًا جِئْتَ بِالنُّورِ الْعَظِيمِ فِي ضِيَاءٍ أَحْرَقَ اللَّيْلَ الْبَهِيمِ
 فِي نِظَامٍ بَدَّدَ الشَّرَّ الْجَسِيمِ وَمَحَا مِنْ أَرْضِنَا الْجَهْلَ الْمُقِيمِ
 وَضَلَّالَ الرَّأْيِ وَالْفِعْلَ السَّقِيمِ وَفَسَادَ الْحُكْمِ وَالْعِزَّ الْأَثِيمِ
 وَتَقَالِيدَ كَاكُومِ الْهَشِيمِ وَحَمَى النَّاسَ مِنَ الظُّلْمِ الْقَدِيمِ
 وَنَفَى تَضْلِيلَ شَيْطَانٍ رَجِيمِ

○ ○ ○

فَهَفَا الْعَالَمُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ مَصْدَرِ النُّورِ وَنَبْعِ الْفَلَقِ
 فِي سَبَاقِ الْعِلْمِ لِلْعِزِّ الْأَغْرَ
 لِحَضَارَاتٍ بِهَا مَجْدُ الْبَشَرِ

لِسَلَامٍ وَلِعَدْلٍ مُزْدَهَرٍ
لِإِخَاءٍ بَيْنَ بَدْوٍ وَحَضَرٍ
لِامْتِزَاجِ الْعُجَمِ ضَمَّنَ الْعَرَبِ
وَحَدَّةً تَسْعَى لِأَعْلَى الرُّتَبِ
إِخْوَةً يَجْمَعُهُمْ حُبُّ النَّبِيِّ
فَغَدَا تَارِيخُهُمْ فِي الْحَقَبِ
وَعَدَّتْ أَمْجَادُهُمْ بَيْنَ الْبَشَرِ مِلءُ أَكْبَادٍ وَمِلءُ الْحَدَقِ

○ ○ ○

يَا نَبِيَّأَ أَنْتَ ذُو الْخُلُقِ الْعَظِيمِ
قُمْتَ تَدْعُو لِصِرَاطٍ مُسْتَقِيمِ
بِجَمِيلِ الْوَعْظِ وَالْقَوْلِ الْحَكِيمِ
لِيُنْ طَبَعَ دُونَهُ مَرُّ النَّسِيمِ
طَهَّرَ نَفْسٍ ضَمْنَهَا قَلْبٌ حَلِيمِ
دُرُّ أَخْلَاقِكَ فِي عَقْدِ نَظِيمِ
كُلُّ مَا فِيهِ فَرِيدٌ وَكَرِيمِ
طَوَّقَ الْإِنْسَانَ بِالْمَجْدِ الْعَظِيمِ

○ ○ ○

رَبَّنَا اخْتَارَكَ فِي حِكْمَتِهِ لَتَوْمَ النَّاسَ فِي شَرَعَتِهِ
شَرَعَةَ الْإِسْلَامِ دِينَ الْمُرْسَلِينَ
جَامِعِ الْخَيْرِ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ
كُلُّ مَا يَحُوبُهُ حَقٌّ وَيَقِينُ
لَا هَوَى فِيهِ. بَلِ الْعَدْلُ الْمُسِينُ
إِنَّهُ الْإِسْلَامُ مُحْيِي الْأُمَمِ
مُكْرِمُ السَّافِرِ بِهِمْ وَالْقَلَمِ
بَاعَثَ الْعَقْلَ لِفَهْمِ الْحِكْمِ
مُجْزِلُ الْمَجْدِ لِمَاضِي الْهِمَمِ
مَنْ رَأَى الْعِلْمَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ فَدَرَى الصَّانِعَ مِنْ صَنَعَتِهِ

○ ○ ○

إِنَّهُ الْإِسْلَامُ حَقٌّ لَا يَحُورُ سَامِقُ الْبُرْهَانِ فِي كُلِّ الْعُصُورِ
 نَهْرٌ يَدْفُقُ بِالْخَيْرِ الْغَزِيرِ رَوْضَةٌ تَشْرَحُ بِالنَّفْحِ الصُّدُورِ
 رُبَّمَا قَدْ جَرَّبَ النَّاسُ الْكَثِيرُ مِنْ قَوَانِينَ عَلَى كَرِّ الدُّهُورِ
 فَإِذَا صَارُوا إِلَى حَقِّ خَطِيرِ شَاهَدُوا الْإِسْلَامَ فِي ذَاكَ الْمَصِيرِ
 إِنَّهُ تَنْزِيلُ ذِي الْعَرْشِ الْقَدِيرِ

○ ○ ○

يَا نَبِيًّا كَانَ فِي أُمَّتِهِ مِثْلَ بَذْرِ التِّمْرِ فِي طَلْعَتِهِ
 قُدَّتْ جَيْشُ اللَّهِ جَيْشَ الْمُتَّقِينَ لِحِجَادِ الْكُفْرِ بَيْنَ الْكَافِرِينَ
 وَكِفَاحِ الظُّلْمِ عِنْدَ الظَّالِمِينَ وَإِقَامِ الْعَدْلِ بَيْنَ الْعَالَمِينَ
 وَلَمَحُو الْجَهْلِ بَيْنَ الْأُمَمِ وَلِإِيْمَانِ بِرَبِّ النَّسَمِ
 وَلِتَوْحِيدِ وَكَسْرِ الصَّنَمِ وَلِسَحْقِ الشَّرِّ تَحْتَ الْقَدَمِ
 وَلِتَحْرِيمِ الرَّبَا فِي الْمُسْلِمِينَ وَلِحِفْظِ النَّاسِ مِنْ شِقْوَتِهِ

○ ○ ○

وَلَمَنْعِ النَّاسِ مِنْ شُرْبِ الْخُمُورِ وَلِطَرْدِ الْفُحْشِ عَنَّا وَالْفُجُورِ
 وَلِإِبْعَادِ الرِّزَايَا وَالشُّرُورِ وَلِهَدْمِ الْعُجْبِ فِينَا وَالْغُرُورِ
 وَلَمَنْعِ الشَّتْمِ وَالْقَذْفِ الْحَقِيرِ وَلِكَشْفِ الْبُؤْسِ عَنْ كُلِّ فَقِيرِ
 وَلِإِسْعَافِ ذَوِي الضَّرِّ الْمَرِيرِ وَلِفَرَضِ الْحَقِّ فِي كُلِّ الْأُمُورِ
 وَلِمَلْءِ الْأَرْضِ بِالْعِلْمِ الْمُنِيرِ

○ ○ ○

تَاجَ مَجْدٍ لِلنُّجُومِ الْأَوَّلِ رُفْقَةَ الْمُخْتَارِ خَيْرِ الرُّسُلِ

قَادَةَ الزَّحْفِ إِلَى عَالِي الْقِمَمِ
سَادَةَ الْإِصْلَاحِ مِنْ بَيْنِ النَّسَمِ
كُلُّ أَهْلِ الْأَرْضِ قُرْبَى وَرَجَمَ
عِنْدَهُمْ مَا بَيْنَ عُرْبٍ وَعَجَمَ

كُلُّهُمْ يُنَمَى لِأَدَمِ الْأَبِ
وَهُوَ بِالتُّرْبِ عَرِيقُ النَّسَبِ
ثُمَّ هُمْ لِلتُّرْبِ فِي الْمُرْتَقَبِ
ثُمَّ هُمْ لِلَّهِ فِي الْمُنْقَلَبِ

إِنَّهُ يُجْزِي بِعَدْلٍ وَكَرَمٍ زِنَةَ الْقَوْلِ وَكُفَاءَ الْعَمَلِ

○ ○ ○

هَجَرُوا الدُّنْيَا لِحَنَاتِ الْخُلُودِ	سَادَةَ مِنْ عَرَبِ سُمَرِ الْجُلُودِ
فَمَضَوْا كَالشُّهْبِ فِي كُلِّ الْحُشُودِ	آمَنُوا بِالْحَقِّ وَالْحُكْمِ الرَّشِيدِ
كَمْ سَطَا فِي الْأَرْضِ بِالْقَهْرِ الشَّدِيدِ	وَأَزَاحُوا كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدِ
وَاسْتَبَدَّتْ يَدُهُ فِيمَا يُرِيدُ	سَاقَ مَنْ فِي حُكْمِهِ سَوْقَ الْعَبِيدِ

وَطَغَى طُغْيَانُ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ

○ ○ ○

غَامَرُوا فِي كُلِّ خَطْبٍ جَلَلٍ أَنْجَبُوا كُلَّ عَظِيمٍ بَطَلٍ

حَمَلُوا دَعْوَتَهُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ
دَعْوَةَ الْقُرْآنِ قُدْسِي الْكَلِمِ
دَعْوَةَ السِّلْمِ إِذَا الْحَقُّ حَكَمَ
دَعْوَةَ السَّيْفِ إِذَا الشَّرُّ جَثَمَ. أَوْ هَجَمَ

وَسَعَوْا فِي جَمْعِ شَمْلِ الْعَرَبِ
 بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ بِالْقُضْبِ
 بِجَمِيلِ الْهَدْيِ أَوْ بِالْغَلْبِ
 بَعْدَ تَمْزِيقِ مِنَ الْمُغْتَصِبِ
 كَانَ فِيهِ الْعَرَبُ نَهْبًا لِلْأَمَمِ مِزْقًا مَقْدُوفَةً فِي الْوَحْلِ

○ ○ ○

فَالْتَقَوْا فِي وَحْدَةٍ تَنْفِي الْخُدُودَ قَدْ سَقَاهَا اللَّهُ مِنْ مَاءِ الْخُلُودِ
 وَأَقَامُوا دَوْلَةَ الدِّينِ الرَّشِيدِ دَوْلَةَ الْقُرْآنِ وَالْحُكْمِ السَّعِيدِ
 دَوْلَةَ بَارَكَهَا الرَّبُّ الْمَجِيدُ
 وَمَشَوْا فَاتَّسَحَوْا كُلَّ السُّدُودِ وَرَمَوْا فِي الْبَحْرِ أَغْلَالَ الْعَبِيدِ
 بَعْدَ حُكْمِ الرُّومِ فِي مَاضِي الْعُهُودِ بَعْدَ سُلْطَانِ مِنَ الْفُرْسِ مَدِيدِ
 وَعَلَى سُورِهِمَا أَحْبَاشُ سُودِ

○ ○ ○

لَمْ يَقُولُوا: أَنَا مَكِّيَّ جَلِي أَنَا مِنْ يَثْرِبَ فِي عِزِّ عَلِيٍّ
 أَنَا فِي مَجْدِي مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ
 أَنَا مِضْرِيٍّ فَخُورٍ بِالْوَطَنِ
 أَنَا مِنْ نَجْدٍ عَرِيقٍ بِالْفِطَنِ
 أَنَا مِنْ شَامٍ وَيَغْدَانِ وَمِنْ..

مَا تَعَزَّوْا بِعَزَائِ جَاهِلِيٍّ
 مَجْدُهُمْ قَدْ كَانَ بِالْفَضَائِلِ
 إِنَّ مَجْدَ الْعِرْقِ مَجْدُ الْجَاهِلِ
 فَكُؤُوسُ السَّبْقِ لِلْأَوَائِلِ
 إِنَّ دِينَ اللَّهِ قَدْ عَلَّمَهُمْ أَنَّ كَسْبَ الْمَجْدِ صَيْدُ الْعَمَلِ

○ ○ ○

هَكَذَا كَانَتْ مَفَاهِيمُ الْعَرَبِ حِينَ قَادُوا جَحْفَلَ الْحَقِّ اللَّجْبِ
 حِينَ سَاسُوا خَيْرَ سُلْطَانٍ غَلَبَ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ مَقْتُولِ الطُّنْبِ
 رَاسِخِ الْأَرْكَانِ مَعْقُودِ الْقُبْبِ إِذْ أَقَامُوا دَوْلَةً فِيهَا الرِّعْبُ
 وَبِهَا لِلْمُعْتَدِي سَيْفٌ رَهْبٌ وَبِهَا عَدْلٌ وَإِنْصَافٌ وَحُبٌ
 وَأُصُولُ الْحُكْمِ فِيهَا شَرْعُ رَبِّ

○ ○ ○

فَتَحُوا الدُّنْيَا بِعَزْمٍ أَكْمَلَ وَبِفَضْلٍ وَيَخْلُقِ أَمْثَلَ
 وَأَجَادُوا عَرْكَ هَامَاتِ الزَّمَنِ وَاعْتَلَوْا صَهْوَةَ قَرْنٍ بَعْدَ قَرْنٍ
 وَالْآنُوا كُلَّ قَاسٍ لَمْ يَلِنْ وَبِعَزْمٍ طَوَّعُوا أَعْصَى الْفِتَنِ
 كُلُّهُمْ يَرْقُبُ مَكْرَ الصَّائِلِ نَاطِرِ الْغِرَّةِ فِي الْمَعَاوِلِ
 يَخْدَعُ الْحُرَّاسَ بِالتَّغَافُلِ ثُمَّ يَرْمِي السَّهْمَ فِي الْمَقَاتِلِ
 خَائِنًا يَخْدُمُ بِالْمَالِ الْغَفِينَ غَايَةً فِي نَفْسِ عَادِي الدُّوَلِ

○ ○ ○

ثُمَّ دَارَ الدَّهْرُ دَوْرَاتٍ أَسَى قَدْ أَحَاطَتْنَا بِلَيْلٍ أَلِيلِ
 دَاوُنَا أَنَّا تَرَكْنَا دِينَنَا وَانْخَدَعْنَا بِخَيْثِ الْحِيلِ
 وَاسْتَجَبْنَا لِخِدَاعِ الدُّوَلِ
 فِي دِيَارِ الْكُفْرِ مَكْرٌ مُحْتَجِبٌ رُبَّمَا نَفَّذَهُ بَعْضُ الْعَرَبِ
 رُبَّمَا أَيْدَهُ بَاغِي الدَّهَبِ رُبَّمَا أَلْقَى عَلَى النَّارِ الْحَطَبِ

رُبَّمَا مَسْجِدُ ضُرٍّ قَدْ نُصِبَ بِإِدِّ الْإِثْمِ لِغَدْرِ مُرْتَقَبٍ
لِيَسُودَ الْكُفْرُ أَقْطَارَ الْعَرَبِ يَا عَيْدَ الْكُفْرِ مِنْ أَجْلِ الذَّهَبِ
إِنَّ دَاءَ الْكُفْرِ مِنْ دَاءِ الْكَلْبِ

دمشق في سنة ١٣٨٢ هجرية

(١٢٤ بيتاً)

استشرت النزعة القومية المسرفة في البلاد الشامية، وأخذت طريقاً علمانياً، وأعلنت حرباً ظالمة ضدّ طائفةٍ من المبادئ الإسلامية، لاسيما فكرة وحدة الأمة الإسلامية.

ولما استطاع القوميون الظفر بالسلطة أخذوا ينكّلون بالمستمسكين بمبادئهم الإسلامية.

ورأى دعاة القومية بعد الاستيلاء على السلطة أن القومية فارغة من المحتوى الصالح لأن يكون منهج حياة، أو يكون عقيدة عن الوجود والكون والحياة والنشأة والمصير، فاتجهوا يستوردون المبادئ والمذاهب الفكرية والاجتماعية من الشرق ومن الغرب، ويطاردون الفكر الإسلامي والمبادئ الإسلامية بعنف وقسوة وديكتاتورية صارمة، وفي هذه المعركة كان الإسلاميون يناضلون نضالاً فكرياً لا يملكون معه سلطة ولا سلاحاً، وكانت وسيلتهم مجرد إقناع الجماهير بالإسلام، وبفساد هذه النزعة القومية المسرفة، حفظاً لهم من التأثير بالوافادات الفكرية المفروضة عليهم.

وفي احتفال توجيهي أقامه أبي رحمة الله عليه سنة ١٣٨٣ هجرية و١٩٦٣م وخطب فيه عدد من تلاميذه، ألقى هذه القصيدة إذ كنت أعدها له، وهي بعنوان:

«قومي والإسلام»

قومي والإسلام

قَدْ سَادَ أَمْرُ خَطِيرُ تَضَيَّقُ مِنْهُ الصُّدُورُ
يَسْرِي بِكُلِّ عَجِيبٍ مِنْ بَاطِلٍ وَيَسِيرُ
مَكْرُ بِقَوْمِي خَبِيثٌ وَشَرُّهُ مُسْتَطِيرُ
صَاغَتْهُ أَيْدِي الْأَعَادِي حَيْثُ الرَّدَى وَالْفُجُورُ
لِيَعْزِلُوا الدِّينَ عَنَّا فَلَا يُجِيرَ مُجِيرُ
قَوْمِيَّةً صَنَعُوهَا كَيْ يُفْتَنَ الْمَغْرُورُ
أَرْكَانَهَا بِاخْتِبَارٍ وَهُمْ وَزَيْفٌ وَزُورُ

○ ○ ○

عُدْ بِالْعُصُورِ لَعَلَّ الْعُصُورَ رَجَعَا تُدُورُ
وَقِفْ بِتَارِيخِ قَوْمِي فَلِلتَّوَارِيخِ نُورُ
وَانْظُرْ بِكُلِّ أَنَاةٍ شِعَارُكَ التَّحْرِيرُ
هَلْ فِي الْعُصُورِ لِقَوْمِي مَجْدٌ عَظِيمٌ خَطِيرُ؟
قَبْلَ الرَّسُولِ: وَأَوْغَلْ مَهْمَا تَكْرُ الْعُصُورُ
وَاقْرَأْ صَحَائِفَ قَوْمِي يَزِينُهَا التَّخْبِيرُ
وَاصْدُقْ حَدِيثَكَ فِيهَا لَا يَخْدَعَنَّكَ غُرُورُ
فَأَكْرَهُ الْأَمْرَ عِنْدِي تَعْصُبُ مَنْكُورُ
وَابْحَثْ سَتَرِجُعَ حَتْمًا وَالطَّرْفُ مِنْكَ كَسِيرُ

○ ○ ○

قَوْمِي حَيَارَى سُكَارَى تَقُولُ: كَيْفَ الْمَصِيرُ
تَخَبَّطَ النَّاسَ مَسٌّ كَمَا أَذْلَهَمَتْ شُرُورُ

أَصْدَاءُ فِي كُلِّ سَمْعٍ كَأَنَّهُنَّ صُخُورٌ
نُوحُ الثَّكَالِي أَلِيمٌ يَغْلُوهُ صَوْتُ نَكِيرٍ
وَنَابِجٌ مُتَعَدِّ وَنَائِحٌ مُسْتَجِيرٌ
وِظَالِمٌ مُسْتَبِيدٌ وَعَاجِزٌ مَدْعُورٌ
وَالْكُفْرُ فَوْقَ الرُّوَابِي وَفِي السُّهُولِ يَسِيرٌ
لَهُ نُيُوبٌ حِدَادٌ فِيهِنَّ سُمٌّ كَثِيرٌ
أَنْفَاسُهُ يَتَلَطَّيْ شَهِيقُهَا وَالزَّفِيرُ

○ ○ ○

أَيْنَ الْقَطِيعُ يَسِيرُ وَمَا يَكُونُ الْمَصِيرُ
مَنْ لِلضَّعِيفِ ظَهيراً وَأَيْنَ يُلْقَى النَّصِيرُ
دَرَاكِ رَبِّ الْبَرَايَا أَنْتَ الرَّحِيمُ الْقَدِيرُ
هَذِي قَبَائِلُ قَوْمِي صَغِيرُهَا وَالْكَبِيرُ
تَفَرَّقُوا مَفَاسِدُ وَشُرُورُ
تَقَاتِلُوا تَحَاسُدُ وَنُفُورُ
أَخُو ثَرَاءٍ عُتْلُ وَحَاكِمُ مَأْجُورُ
وَذُو تَعَالٍ غَبِيٌّ وَجَاهِلُ مَغْرُورُ
وَمَاكِرُ ذُو افْتِرَاسٍ وَحَاقِدُ مَوْتُورُ
نَهَايَةُ الْفَخْرِ فِيهِمْ «عَنَاتِرُ» وَ «زُيُورُ»
وَرُبُّ وَائِدٍ بِنْتٍ مُفَاخِرُ مَخْمُورُ
وَبَعْضُ مَا هُوَ فَخْرٍ فِيهِمْ رَذِيلُ حَقِيرُ
وَكَمْ مَزَاعِمٍ مَجْدٍ هُنَّ احْتِيَالُ وَزُورُ
إِلَّا مَكَارِمَ إِرْثَاءٍ وَهُنَّ نَذْرُ يَسِيرُ

○ ○ ○

حَتَّى أَتَاهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ بِشِيرٍ نَذِيرٌ

لِلنَّاسِ . نِعَمَ السَّفِيرُ	سَفِيرُ رَبِّ الْبَرَآيَا
مُكَلَّفٌ . مَأْمُورٌ	دَاعٍ إِلَى اللَّهِ هَادٍ
وَهُوَ السِّرَاجُ الْمُنِيرُ	هُوَ الْأَثِيرُ لَدَيْهِ
قَدْ اصْطَفَاهُ الْقَدِيرُ	وَحَاتَمَ الرُّسُلِ جَمْعًا
وَفِيهِ هَدْيٌ وَنُورٌ	كِتَابُهُ قَوْلُ رَبِّي
وَالْكُفْرُ دَاءٌ عَسِيرٌ	فَطَارَدَ الْكُفْرَ فِيهِمْ
وَهَزَّةٌ التَّذْكِيرُ	فَعَزَّ مَنْ لَانَ مِنْهُمْ
وَبِالسُّرُورِ يَسِيرُ	وَوَظَلَ بِالسَّعْدِ يَسْعَى
لَا مَنْ فِيهِ . وَفِيرُ	وَفِي الْمَعَادِ نَعِيمٌ
وَذَلَّ جَافٍ كَفُورٌ	وَهَانَ قَاسٍ غَلِيظٌ
أَوْ لَذَّةٌ وَفُجُورٌ	أَشَقَاهُ كِبَرٌ وَعُجْبٌ
وَحَسْرَةٌ وَسَعِيرُ	وَفِي الْمَعَادِ عَذَابٌ

○ ○ ○

لَمَّا أَتَانَا الْبَشِيرُ	وَأَنْقَذَ اللَّهُ قَوْمِي
مَرَّتْ عَلَيْهِ دُهُورٌ	وَلَمَّا مِنْ شَتَاتٍ
نِ ذُو غِنًى وَفَقِيرُ	فَقَامَ فِي الصَّفِّ سَيًّا
وَحَامِلٌ مَغْمُورٌ	وَنَابَهُ ذُو فَخَارٍ
وَأَجِيرُ وَحَاكِمٌ	وَسَيِّدٌ وَمَسُودٌ
وَبَادَرَ السَّبْقَ لِلْخَيْرِ رَاشِدٌ وَصَغِيرُ	وَبَادَرَ السَّبْقَ لِلْخَيْرِ رَاشِدٌ وَصَغِيرُ
وَكَانَ مِنَّا الْأَمِيرُ	فَكَانَ مِنَّا الْمُجَلِّي
وَالْقَائِدُ الْمَنْصُورُ	وَكُلُّ فَارِسٍ حَرْبٍ
وَالْعَالِمُ النِّحْرِيرُ	وَكُلُّ حَبْرٍ حَكِيمٍ
وَالنَّصْرُ جَاءَ يَطِيرُ	وَجَاءَنَا الْفَتْحُ يَغْدُو
ه . إِنَّ رَبِّي قَدِيرُ	مَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ يَنْصُرْ

وَعَدُ مِنَ اللَّهِ حَقٌّ تَجْرِي عَلَيْهِ الْأُمُورُ
 قَدْ جَاءَنَا مَا وَعَدَنَا وَفَوْقَهُ مَوْفُورُ
 وَبَاتَ فِي أَيْدِينَا حُكْمُ الشُّعُوبِ يَدُورُ
 تَا اللَّهُ مَا كَذَبْتَنَا الْأَحْدَاثُ وَهِيَ تَسِيرُ

○ ○ ○

أَذَاكَ فَضْلٌ لِقَوْمِي لَهُ الزَّمَانُ أَسِيرُ
 أَمْ ذَاكَ فَضْلٌ لِدِينٍ بِهِ يَطِيبُ الْمَصِيرُ
 بِهِ يَعِزُّ ضَعِيفٌ بِهِ يَجِلُّ الْحَقِيرُ
 تَاللَّهِ مَا فَضْلُ قَوْمِي بَلْ فَضْلُ دِينِي الْخَطِيرُ
 مَا كَانَ قَوْمِي مُلُوكًا حَتَّى أَتَى الْإِكْسِيرُ
 فَاسْتَبَدَلْتُ بِصُخُورٍ كَوَاكِبُ وَبُدُورُ
 وَاسْتَبَدَلْتُ بِدَنَايَا فَضَائِلُ وَخُيُورُ

○ ○ ○

إِنْ تَبَتَّغِ الْمَجْدَ حَقًّا فَذَا الصِّرَاطُ الْمُنِيرُ
 إِسْلَامُنَا وَتُقَانَا هُمَا الْمَلَاذُ الْكَبِيرُ
 مِنْ كُلِّ مَا نَحْنُ فِيهِ مَهْمَا تَجِدُ عُصُورُ
 فَإِنْ نَبَذْنَا هَدَانَا فَشَرْنَا مُسْتَطِيرُ

○ ○ ○

يَا رَبِّ أَنْتَ الْمُجِيرُ قَدْ مَسَّنَا مَا يَضِيرُ
 فَلَا تَدْعُنَا لِقَوْمٍ فِيهِمْ تَمَادَى الْفُجُورُ
 وَالْفِسْقُ قَدْ صَارَ فِيهِمْ فَنَّا لَهُ تَيْسِيرُ
 أَمَّا التَّقِيُّ الْمُعَافَى فَدُونَهُ التَّعْسِيرُ
 وَلِلرَّبِّ أَلْفُ بَابٍ يَمُرُّ مِنْهَا الْكَثِيرُ
 خَزَائِنُ الرِّزْقِ صَارَتْ يُشْرَى بِهَا التَّكْفِيرُ
 وَالْعِلْمُ صَارَ شَبَاكًا تُصَادُ فِيهِ الشُّرُورُ

فَالشِّرْكَ أَمْرٌ طَفِيفٌ وَالْكُفْرُ أَمْرٌ يَسِيرُ
أَمَّا الْمَعَاصِي فَصَارَتْ هِيَ الْغِذَاءُ الْوَفِيرُ
أَخْلَقْنَا الْيَوْمَ سُودٌ ظَلَمٌ وَإِفْكَ وَزُورُ
تَشَاجِرٌ وَسَبَابٌ تَنَابُزٌ وَفُجُورُ
وَلَا تَنَاصَرَ فِيْنَا إِذَا اذْلَهَمَّتْ أُمُورُ
وَالسِّرُّ فِيْنَا مُشَاعٌ إِلَى الْعَدُوِّ يَطِيرُ

○ ○ ○

هَٰذَا رَزَايَا جَنَّتْهَا قَوْمِيَّتِي وَالنَّصِيرُ
رَحًا لِّطَحْنِ بِلَادِي يَدُورُ فِيهَا الْأَجِيرُ

○ ○ ○

فَهَلْ يَجُوزُ سُكُوتٌ أَوْ يُسْتَسَاغُ النَّمِيرُ^(١)
أَخْيَارَ قَوْمِي اسْتَعْدُوا وَجَابِهُوا وَأَغِيرُوا
وَجَاهِدُوا وَاسْتَجِيرُوا بِاللَّهِ فَهُوَ الْمُجِيرُ
الْخَطْبُ خَطْبٌ عَظِيمٌ وَالْأَمْرُ أَمْرٌ خَطِيرُ
لِكُلِّ أَمْرٍ طَرِيقٌ بِهِ يَهْوَنُ الْعَسِيرُ
وَذِي فَلَسْطِينُ تَبْكِي رِمَالُهَا وَالصُّخُورُ
وَكُلُّ قَطْرَةٍ دَمْعٍ تَقُولُ أَيْنَ الْمَصِيرُ
إِنَّا بِأَمْثَالِ بَدْرِ أَيَّامُنَا تَسْتَنِيرُ

○ ○ ○

يَا رَبَّ أَنْتَ الْمُرَجِي أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَدِيرُ
مَهْمَا نَكُنْ قَدْ عَصَيْنَا فَأَنْتَ رَبُّ غُفُورٍ

دمشق في سنة ١٣٨٣ هجرية

(١) النمير: الزكي من الماء.

(١٠٣ أبيات)

وفي أحد الاحتفالات التوجيهية من سنة ١٣٨٤ هجرية ١٩٦٤م والتي كان يدعو أبي رحمه الله إليها تحدث عدد من تلاميذه الخطباء، وكنت واحداً منهم، وكنت أعددت لهذا الاحتفال هذه القصيدة بعنوان:

«الرسول العظيم في سورة الضحى»

وهي هنا منقّحة.

الرسول العظيم في سورة الضحى

والضُّحَى

هِيَ الشَّمْسُ تَمْتَدُّ عِنْدَ الضُّحَى فَتَمَلَأُ أَفْيَاءَنَا بِالضِّيَاءِ
 وَتَجْرِي بِدَوَرَاتِهَا كَالرَّحَا وَتُثَبِّتُ أَمْجَادَهَا فِي السَّمَاءِ
 وَتَجْعَلُ مِنْ أَرْضِنَا مَسْرَحًا لِأَنْوَارِهَا سَاقِيَاتِ الرُّوَاءِ
 وَتُخْجِلُ فِي الرُّوضِ مَا أَصْبَحَا وَلِيداً وَذَا نَسَبٍ بِالْحَيَاءِ
 فَتَضْبُغُهُ بِوِشَاحِ الدِّمَاءِ
 أَيَا مُصْطَفَى قَسَماً بِالضُّحَى لَأَنْتَ الصَّفِيُّ وَأَنْتَ الْحَبِيبُ
 وَلَمْ يَقْلِكَ الرَّبُّ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿والليل إذا سَجَى﴾

وَفِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سِرُّ الْعَدَمِ نُلَامِسُهُ فِي ظِلَالِ الْوُجُودِ
 وَنَعْلَمُ كَيْفَ سَتَفَنَى الْأَمَمَ وَتُجْمَعُ أَحْفَادُهَا وَالْجُدُودُ
 وَفِي اللَّيْلِ سِتْرٌ لِسَعْيِ النَّسَمِ وَفِيهِ السُّكُونُ وَفِيهِ الرُّقُودُ
 وَيَقْتَسِمُ اثْنَانِ فِيهِ الْقِسَمِ نَجِيُّ الْيَقَا. وَنَجِيُّ الصُّدُودِ
 فَأَعْظُمُ بِهِ قَسَماً مِنْ «وَدُودِ»
 وَلَيْلٍ بِهِيمٍ إِذَا مَا سَجَى لَأَنْتَ الصَّفِيُّ وَأَنْتَ الْحَبِيبُ
 وَلَمْ يَقْلِكَ الرَّبُّ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾

أَتَى الْوَحْيُ يَعْصِرُهُ فِي حِرَاءَ فَلَاقَاهُ لُقْيَا بِهَا رَوْعَهُ
فَأَنَسَهُ بِحَدِيثِ السَّمَاءِ فَحَمَلَهُ ثِقَلًا زَعَزَعَهُ
فَأَبْطَأَ عَنْهُ وَكَمْ مِنْ دَوَاءِ جَدِيرٌ - وَإِنْ مَرَّ - أَنْ يَكْرَعَهُ
فَرُوجَ مَنْ أَشْرَكُوا فِي غَبَاءِ فَقَالُوا: إِذْنِ رَبُّهُ وَدَّعَهُ
لَقَدْ كَذَبُوا فَهُوَ دَوْمًا مَعَهُ

فَلَا وَالضُّحَى ثُمَّ لَيْلٍ سَجَى لَأَنْتَ الصَّفِيُّ وَأَنْتَ الْحَبِيبُ
وَلَمْ يَقُلِكَ الرَّبُّ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

لَكَ الْقُرْبُ فِي هَذِهِ وَالسُّرُورُ لَكَ الْمَجْدُ وَالشَّرَفُ الْمُكْتَمَلُ
بِخَيْرِ الْعَطَايَا اصْطَفَاكَ الْقَدِيرُ وَأَعْلَى مَقَامِكَ بَيْنَ الرُّسُلِ
وَسَعْيِكَ لِلنَّصْرِ سَعْيٌ قَصِيرُ وَلَكِنْ سَتَبْلُغُ فِيهِ الْأَمَلُ
وَأَخْرَاكَ مَجْدٌ وَخَيْرٌ كَثِيرُ سَتَبْلُغُ فِيهَا الْمَقَامَ الْأَجَلُ
سَتُعْطَى فَتَرْضَى وَيَعْيَا الْأَمَلُ

لَأَنْتَ الصَّفِيُّ وَأَنْتَ الْحَبِيبُ وَأَنْتَ الْأَثِيرُ وَأَنْتَ الْقَرِيبُ
وَلَمْ يَقُلِكَ الرَّبُّ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى؟﴾

أَلَمْ يَرْعَ شَأْنَكَ رَبُّ رَحِيمٍ فَأَوْتَكَ الْلطَافَةَ فِي حِمَاهُ
فَأَكْرَمَ يُثَمِّكَ بَيْتَ كَرِيمٍ فَكُنْتَ الْأَثِيرَ لَدَى مَنْ رَعَاهُ
وَصَانَكَ رَبُّكَ وَهُوَ الْعَظِيمُ وَأَلْقَى عَلَيْكَ سَنَى مِنْ سَنَاهُ
وَأَنْشَرَ حُبَّكَ بَيْنَ النَّسِيمِ فَكُنْتَ حَبِيبَ مُحِبِّ الْإِلَهِ
فَلَا تَخْشَ يَا مُصْطَفَى مِنْ قِلَاهُ

لَأَنْتَ الصَّفِيُّ وَأَنْتَ الْحَبِيبُ وَأَنْتَ الْأَثِيرُ وَأَنْتَ الْقَرِيبُ
أَمْؤُوبُكَ يَقْلِيلُكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾

أَمَّا كُنْتُ فِي حَيْرَةٍ جَاهِلًا صِرَاطَ النِّجَاةِ وَمَجْدِ الْحَيَاةِ
هُنَا أَوْ هُنَا كَمْ تَرَى بَاطِلًا فَتَسْأَلُ كَيْفَ يَكُونُ الْهُدَاةُ
وَتَشْهَدُ ذَا نَزْغَةٍ مَائِلًا فَتَبْحَثُ عَنْ خِطَّةٍ لِلدَّعَاةِ
وَتَشْهَدُ مَا فِي الدُّنَى زَائِلًا فَتَسْأَلُ مَاذَا وَرَاءَ الْمَمَاتِ
وَمَا هُوَ فِي النَّاسِ نَهْجُ التُّقَاةِ
فَأَنْزَلَ رَبُّكَ نَفْحَ الْهُدَى عَلَيْكَ وَجَاءَكَ عِلْمُ الْغُيُوبِ
أَهَادِيكَ يَقْلِيلُكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾

أَمَّا كُنْتُ مِنْ قَبْلُ فِي عَيْلَةٍ فَأَغْنَاكَ مِنْ فَضْلِهِ ذُو الْغِنَى
وَمَا كُنْتُ تَمْلِكُ مِنْ حِيلَةٍ لِحَلْبِ الطَّلَابِ وَدَفْعِ الْقَنَا
فَسَاقَ إِلَيْكَ أَخَا خِلَةٍ وَسَاقَ الْحَلِيلَةَ تَسْقِي الْهَنَا
وَلَمَّا تَبَرَّأْتَ مِنْ عِلَّةٍ تَأْمَلْتَ فِي الْكُونِ عِلَّ السَّنَا
يُرِيكَ مَعَارِفَ خَلْفِ الدُّنَى
فَأَعْطَاكَ رَبُّكَ فَيْضَ الْمُنَى وَجَاءَكَ مِنْ غَيْبِهِ نَفْحُ طَيْبِ
أَمْغْنِيكَ يَقْلِيلُكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾

فَمَنْ يُؤَوِّهِ اللَّهُ مِنْ يَتَمِّهِ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا يَقْهَرَنَّ

فَجِرْمَانُهُ قَبْلُ مِنْ أُمِّهِ
وَمَنْ يُغْنِيهِ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
فَمَا كَانَ قَدْ ذَاقَ مِنْ فَقْرِهِ
وَيَجْعَلُهُ نَازِلًا لِلْمَنْنِ

فِيَشْكُرُ بِالْجُودِ رَبَّ الْوَرَى
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَا
وَأَمَّا السُّؤُولَ فَلَا تَنْهَرَا
وَإِنَّا اضْطَفَيْنَاكَ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

هُوَ الْعِلْمُ مَجْدٌ وَفَضْلٌ جَلِيلٌ
يُقَسِّمُهُ اللَّهُ قَدْرَ الْعُقُولِ
وَهَلْ فِي الْوَرَى قِيَمَةٌ لِلْجُهُولِ
وَلَوْ كَانَ يَمْلِكُ مِلْءُ السُّهُولِ
وَلَوْ كَانَ فِي الْحُسْنِ مِثْلُ الْقَمَرِ

فَبِالْعِلْمِ نَعْرِفُ أَكْوَانَنَا
وَبِالْعِلْمِ نَجْتَازُ أَجْوَاءَنَا
وَبِالْعِلْمِ نَدْعُمُ إِيْمَانَنَا
وَبِالْعِلْمِ نَدْعُمُ إِسْلَامَنَا
وَمَا فِيهِ مِنْ مُسْعِدَاتِ الْبَشَرِ

وَبِالْعِلْمِ نَعْرِفُ قُرْآنَنَا
وَنَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي جَاءَنَا
وَتَبَدُّو بِهِ مَعْجِزَاتٍ لَنَا
بِهِ شَرَعَ اللَّهُ مِنْهَا جَنَّا
كِتَابًا بِهِ هَدَى مَنْ يَذْكُرُ
بِهِ مُرْسَلٌ صَادِقٌ فِي الْخَبَرِ
نَرَاهَا بِآيَاتِهِ وَالسُّورِ
لِنَسْلُكُهُ فَنَنَالَ الظَّفَرِ

وَنُبْعِدَ عَنْ نَافِثَاتِ الْخَطَرِ
وَأَعْلَى الْعُلُومِ عِلْمُ السَّمَاءِ حَبَانَا بِهَا اللَّهُ كَيْ نَعْتَبِرَ
عِلْمُ أَتَتْنَا بِهَا الْأَنْبِيَاءُ وَمِسْكُ الْخِتَامِ الرَّسُولُ الْأَبْرَ
وَمَنْ يُؤْتِ نِعْمَةً هَذِي السَّمَاءِ فَوَاجِبُهُ نَقْلُهَا لِلْبَشَرِ
إِذَا سِيقَ ظَالِمُهُمْ لِلْجَزَاءِ فَلَنْ يَلْقَ عُذْرًا بِهِ يَعْتَذِرُ
فَبِالذِّكْرِ يَنْتَفِعُ الْمُدَّكِرُ
وَبِالْوَعْدِ يَنْتَفِعُ الْمُعْتَبِرُ
فَحَدِّثْ بِنِعْمَةِ وَحْيِ السَّمَاءِ إِلَيْكَ وَبَلِّغْ حَدِيثَ الْغُيُوبِ
فَإِنَّكَ أَنْتَ الصَّفِيُّ الْحَبِيبُ
عَلَى ذُرْوَةِ الْمَجْدِ يَا أَحْمَدُ

○ ○ ○

دمشق في ربيع الأول سنة ١٣٨٤ هجرية

(٨٢ بيتاً)

وفي احتفال توجيهي دعا إليه أبي - رحمه الله وأجزل مثوبته - عام ١٣٨٥هـ و ١٩٦٥م ضمّ جمهوراً غفيراً، وتحدث فيه عدد من تلاميذ أبي الخطباء، وكنت واحداً منهم، إذ شاركت فيه بإلقاء هذه القصيدة المنوعة الأوزان والقوافي، والتي أعدتها له، وفيها تعرض لمشكلات فكرية معاصرة لزمن كتابتها، وإشارة إلى فئات معادية للدين أو منحرفة أو ممالئة للأعداء، وهي بعنوان:

رضيت بالله تعالى ربّاً وبالإسلام ديناً
وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً

رَضِيتُ بِاللَّهِ تَعَالَى رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا
وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا

رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا	وَدِينَهُ لِي دِينًا
رَضِيتُ طَهَ نَبِيًّا	وَمُرْسَلًا وَأَمِينًا
وَقَائِدًا	وَخَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ
وَسَيِّدًا	فِي الْعَالَمِينَ هُدِينًا
رَضِيتُ تَنْزِيلَ رَبِّي	لَنَا كِتَابًا مُبِينًا
وَحَيًّا وَنُورًا عَظِيمًا	يَهْدِي وَحِصْنًا حَصِينًا
وَمَرْجِعًا أَتَقَصَّى	أَحْكَامَهُ تَبِينًا
فَمَا حَوَى مِنْ مَعَانٍ	تَسْرِي لِقَلْبِي يَقِينًا
فِيهِ نَقَاوَةٌ وَحْيٍ	الرَّحْمَنِ لِلْأَوَّلِينَ
تَنْزِيلَ رَبِّ الْبَرَايَا	وَمُعْجِزُ الْعَالَمِينَ
حَمَاهُ رَبِّي تَعَالَى	وَزَادَهُ تَمْكِينًا
هَذِي أَصُولُ اعْتِقَادِي	تَضُمُّ كَنْزًا ثَمِينًا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهِذَا قُولُوا: رَضِينَا رَضِينَا

○ ○ ○

هُوَ الدِّينُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ يَجْفُهُ غَوَى
فَمَا بَعْدَهُ إِلَّا الضَّلَالَةُ وَالْهَوَى

هُوَ الدِّينُ تَنْزِيلُ الْحَكِيمِ لِخَلْقِهِ
عَلَى عَبْدِهِ شَمْسُ الْهُدَى صَفْوَةُ الْوَرَى
هُوَ الدِّينُ فِيهِ كُلُّ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ
تَقَدَّسَ تَنْزِيلُ الرَّحِيمِ وَمَا حَوَى
وَهَلْ بَعْدَ نُورِ اللَّهِ نُورٌ لِمُهْتَدٍ؟
وَهَلْ بَعْدَ هُدَى اللَّهِ هُدًى فَيُقْتَنَى؟
مُلَاحِظُ مَجْدِ الْخُلْدِ فِي طَاعَةِ الْهَوَى
كَطَالِبِ أَوْصَافِ الضِّيَاءِ مِنَ الْعَمَى
فَمُعْظَمُ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ قَرِينَةٌ
لِوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ فِي الْغَيِّ وَالرَّدَى
وَمَا اجْتَمَعَ فِي النَّاسِ إِلَّا لِيُهْلِكَ
«وَمَا اجْتَمَعَ الدَّاءُ إِلَّا لِيَقْتُلَا»
وَيَنْقَادُ لِلشَّيْطَانِ مُتَّبِعُ الْهَوَى
يَكْدُ لِيَرَوْى. وَالشَّقَا غَايَةُ الْخُطَا
كَذَلِكَ يَسْعَى لِلشَّقَاءِ ذَوُو الْهَوَى
إِذَا تَرَكُوا الْإِسْلَامَ وَالنُّورَ وَالْحِجَابَ
وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ يَظْفَرُ بِمَجْدِهِ
وَمَنْ يَرْضَ بِالْإِسْلَامِ فِي أَمْرِهِ نَجَا
رَضِينَا بِهَذَا الدِّينِ دِينًا مُقَدَّسًا
هُوَ الْحَقُّ وَالتَّبَيُّانُ لِلْخَيْرِ وَالْهُدَى
تَحْمَلُهُ الْأَطْهَارُ مِنْ كُلِّ حَقْبَةٍ
وَصَانُوهُ بِالْأَرْوَاحِ مِنْ شَرِّ مَنْ بَغَى
فَمَنْ يَرْضَهُ دِينًا فَلِلَّهِ سَعْيُهُ
وَلِلْجَنَّةِ الْكُبْرَى وَأَنْعَمَ بِمَا سَعَى

وَمَنْ يَرْضَ دِيناً غَيْرَهُ أَوْ يُجَافِهِ
فَلِلنَّارِ مَسْعَاهُ وَأَتَعَسَ بِمَا ارْتَضَى
وَمَنْ يَأْبَ دِينَ اللَّهِ وَهُوَ لِخَيْرِهِ
فَذَاكَ سَفِيهِ الرَّأْيِ فِي هُوَةٍ هَوَى
وَهَلْ يَرْفُضُ الْجَنَّاتِ مَنْ هُوَ عَاقِلٌ؟!
وَهَلْ يَرْفُضُ الْمَجْدَ الْعَظِيمَ ذُووُ النَّهْيِ؟!
مَتَى جَحَدَ اللَّهُ امْرَأً بَعْدَ هَدْيِهِ
تَسْفَلَ عَنْ دَرَكِ الْبَهَائِمِ فِي الدُّنَى

○ ○ ○

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَا	إِلَى الصِّرَاطِ هُدِينَا
إِذْ ارْتَضَيْنَا إِلَهًا	فَرْدًا وَدِينًا مَتِينًا
قَدْ صِينَ مِنْ كُلِّ زَيْفٍ	بِالْحَقِّ صَوْنًا مَكِينًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَا	مِنْ ثَلَاةِ الْمُؤْمِنِينَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَا	مِنْ زُمْرَةِ الْمُسْلِمِينَ
نُكْرِمُ الرُّسُلَ جَمْعًا	كَمَا هَدَى بَارِينَا
وَدِينُنَا نَسْتَقِيهِ	مِنْ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ
مُحَمَّدٍ خَيْرِ رُسُلِ	الرَّحْمَنِ حَقًّا يَقِينَا
بِهِ تَكَامَلُ دِينُ	الْإِسْلَامِ لِلْعَالَمِينَ
وَكُلُّ دِينٍ سِوَاهُ	لَمْ يَبْقَ كَالْأَصْلِ دِينَا
أَتْبَاعُهُ ضَيَّعُوهُ	وَصَدَّقُوا الْكَاذِبِينَ
كَمْ لَفَقَتْ أَيْدِيهِمْ	فِي الدِّينِ كِذْبًا مُبِينَا
كَمْ حَرَّفُوا مِنْ أَصُولٍ	أَتَى بِهَا الصَّادِقُونَ

○ ○ ○

رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَدِينَهُ لِي دِينًا
رَضِيتُ طَةَ نَبِيًّا وَمُرْسَلًا وَأَمِينًا
رَضِيتُ تَنْزِيلَ رَبِّي لَنَا كِتَابًا مُبِينًا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهَذَا قُولُوا: رَضِينَا رَضِينَا

○ ○ ○

وَمِنْ قَبْلِ طَةَ جَاءَ رُسُلٌ كَثِيرَةٌ
دَعَتْ لِآلِهِ وَاحِدٍ مِثْلَمَا دَعَا
أُصُولُ دِيَانَاتِ السَّمَاءِ بِأَسْرِهَا
تَسِيرُ مَعَ الْإِسْلَامِ فِي الْحَقِّ وَالْهُدَى
وَكَانَ يَقُولُ الرُّسُلُ لِلنَّاسِ أَسْلِمُوا
إِلَى اللَّهِ يُسْعِدْكُمْ وَيَمْنَحْكُمْ الرِّضَى
وَدِينُهُمُ الْإِسْلَامُ لَكِنْ لَاحِقًا
بِهِمْ قَدْ بَنَى تَكْمِيلَ مَا سَابِقُ بَنَى
وَحِينَ اسْتَعَدَّ النَّاسُ أَنْ يَتَقَبَّلُوا
جَمِيعَ تَعَالِيمِ الْمُهَيِّمِينَ لِلْوَرَى
تَجَلَّى عَلَى الدُّنْيَا يَتِمَّةُ دَهْرِهِ
مُحَمَّدٌ بِالْإِسْلَامِ مُكْتَمِلَ السَّنَى
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْأَنْامِ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ الْغُرِّ مَا كَافِرٌ طَغَى
وَصَانَ لَهُ الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ عَابِثٍ
وَسَاقَ لَهُ الْأَصْحَابَ مِنْ أُسْرِ الْعِدَا
فَخَاضُوا غِمَارَ الْمَوْتِ وَالطُّهْرِ حَاجِزُ
مَسِيرَتِهِمْ عَنْ أَنْ يَمِيلُوا مَعَ الْهَوَى

وَبَاْعُوا إِلَى اللَّهِ النُّفُوسَ لِيَشْتَرُوا
رِضَاهُ وَكَمْ كَانُوا لِدِينِهِمْو الْفِدَا
وَسَارَ بَعَيْنِ اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ
مَصُونًا بِنُورِ الْحَقِّ كَالشَّمْسِ فِي الضُّحَى
وَأَمَّا النَّصَارَى وَالْيَهُودُ فَحَرَّفُوا
تَعَالِيمَهُمْ وَاسْتَبَدَّلُوا الْكُفْرَ بِالْهُدَى
فَمِنْ أَيْنَ جَاؤُوا بِالْمُثَلَّثِ عَنْدهُمْ
وَكَيْفَ دَعَوْا عِيسَى إِلَهًا لَهُ الْبَقَا
وَأُولَى أَصُولِ الدِّينِ: «اللَّهُ وَاحِدٌ»
وَاتَّبَاعُ مُوسَى أَيُّ عُذْرِ يَقِيهِمْو
وَقَدْ كَذَّبُوا رُسُلًا أَتَوْا بَعْدَ مَنْ مَضَى
وَمُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ كُلُّهُمْ
دَعَوْا لِإِلَهِ وَاحِدٍ جَلٍّ وَاعْتَلَى
وَلَوْ أَنَّ آيًّا مِنْهُمْو عَاشَ بَعْدَهُ
لَكَانَ لَهُ أَزْرًا وَكَانَ بِهِ اقْتَدَى
إِلَى اللَّهِ نَشْكُو الْعَابِثِينَ بِدِينِنَا
وَنَشْكُو الَّذِينَ اسْتَخْدَمُوا الدِّينَ لِلدُّنَى

○ ○ ○

لِلَّهِ نَشْكُو أَنْسَاءً سَارُوا مَعَ الْعَابِثِينَ
تَحَدُّوا الدِّينَ حِينًا وَخَادَعُوا الدِّينَ حِينًا
وَأَخْرَيْنَ اسْتَدَلُّوا مَشَاعِرَ الْمُسْلِمِينَ
وَأَخْرَيْنَ تَعَدَّوْا الظَّالِمِينَ
وَأَخْرَيْنَ اسْتَكَانُوا وَمَالُوا الطَّاغِينَ

وَنَشْتَكِي مِنْ نُفُوسٍ
لِلَّهِ لِلَّهِ نَشْكُو
أَصَابَهَا الضَّعْفُ فِينَا
أَحْوَالَنَا أَجْمَعِينَ

○ ○ ○

حَاشَا طَلَائِعَ كَانُوا
مَشُوا بِصِدْقٍ وَعَزْمٍ
رَضُوا بِكُلِّ بَلَاءٍ
وَيَنْصُرُوا دِينَ رَبِّي
كَمْ أُنْذِرُوا بِمَنُونٍ
قَالُوا: إِذَا كَانَ فِيهِ
فَالْمَوْتُ آتٍ إِلَيْنَا
كَمْ بِالْمَطَامِعِ أُغْرُوا
فَإِنْ تَسَلَّ عَنْ أَسْوَدٍ
فَاخْتَرُ مَسَاجِدَ كَانَتْ
وَابْحَثْ تَجِدْ فِي الزَّوَايَا
وَمِنْ مَفَاخِرِ دِينِي
مَنْ أَبْرَزَ اللَّهَ فِيهِمْ
لِرَبِّهِمْ مُخْلِصِينَ
عَلَى الْهُدَى ظَاهِرِينَ
لِيَقْمَعُوا الْمُفْسِدِينَ
وَيَحْمِلُوهُ مُبِينًا
فَلَمْ يَهَابُوا الْمَنُونَا
رَضَى إِلَاهِ رَضِينَا
جَمِيعَنَا مَا حَايِنَا
فَاسْتَسَخَفُوا الْمُغْرِينَ
الْإِسْلَامَ يَوْمَ ابْتُلِينَا
تَعَجُّ بِالْمُتَّقِينَ
مِنْهَا عَرِينَا عَرِينَا
أَنْ كَانَ فِي الْآخِرِينَ
نَمَازِجَ الْأَوَّلِينَ

○ ○ ○

رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا
رَضِيتُ طَهَ نَبِيًّا
رَضِيتُ تَنْزِيلَ رَبِّي
وَدِينَهُ لِي دِينَا
وَمُرْسَلًا وَأَمِينَا
لَنَا كِتَابًا مُبِينَا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهَذَا؟ قُولُوا: رَضِينَا رَضِينَا

○ ○ ○

عَجِبْتُ لِهَذَا الدِّينِ مَا أَرْدَاَتِ الْقُوَى
لِتَهْدِيَمِهِ إِلَّا تَمَكَّنَ وَاعْتَلَى
تَكَاثَرَ فِي كُلِّ الْبِلَادِ خُصُومُهُ
يَكِيدُونَهُ بِالْحَرْبِ وَالشَّتْمِ وَالْفِرَى
يَجِدُّ شَيْطَانُ الْيَهُودِ حَبَالَهُ
لِيَمْكُرَ بِالْإِسْلَامِ يَبْغِي بِهِ الرَّدَى
وَتَقْذِفُهُ الصُّلْبَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَتَطْعَنُهُ حُمُرُ الْعَقَائِدِ^(١) فِي الدُّجَى
وَتَنْخَرُهُ مِنْ دَاخِلِ الصَّفِّ حَرْبُهُ
مُسَخَّرَةٌ مِنْ خَارِجِ الصَّفِّ بِالرُّشَا
وَيَتَكَبَّرُونَ الْمَكْرَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
وَقَدْ جَنَدُوا مِنْ حَوْلِهِ مُعْظَمَ الْقُوَى
وَلَكِنَّهُمْ مَهْمَا اسْتَعَدُّوا لِحَرْبِهِ
يَخِيضُوا فَإِنَّ الْحَقَّ مَنْزِلُهُ الْعُلَا
وَمَا بَعْدَهُ إِلَّا الضَّلَالَةُ وَالرَّدَى
سَيَقْفَى مَدَى الدُّنْيَا وَلَوْ كَرِهَ الْعِدَا
تَمَسَّكَ بِدِينِ اللَّهِ يَا طَالِبَ الْهُدَى
وَقُمْ وَادْعُ لِلْإِسْلَامِ وَلْيَعُوْ مَنْ عَوَى
فَلَوْ جَمَعَ الْأَعْدَاءُ كُلَّ قَوَاهِمُو
عَلَيْنَا فَنَحْنُ الْغَالِبُونَ بِلَا مِرَا
لَيْنَ غَلَبُوا مِنَّا الْجُسُومَ فَحَقُّنَا
هُوَ الْغَالِبُ الْمَنْصُورُ بِالْفِكْرِ وَالْحِجَا

(١) أي: أصحاب العقيدة الشيعية.

وَكُلُّ خُطَاٍ يَجْتَازُهَا الْعِلْمُ فِي الْوَرَى
سَتَشْهَدُ لِلْإِسْلَامِ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى
سَتَظْهَرُ فِي الدُّنْيَا عَجَائِبُ جَمَّةُ
تُؤَكِّدُ أَنَّ الدِّينَ حَقٌّ مِنَ السَّمَاءِ

○ ○ ○

اللَّهُ جَلَّ سَنَاهُ فِي كَوْنِهِ سِيرِينَا
بِأَنَّهُ الْحَقُّ جَلَّتْ آيَاتُهُ تَبَيَّنَا
مَهْمَا ارْتَقَيْنَا رَأَيْنَا آيَاتِهِ تَهْدِينَا
نَرَى بِهِنَّ جَلَالَ الرَّحْمَنِ حَقًّا يَقِينَا
وَفِي النُّفُوسِ سَنَلْقَى أَدِلَّةَ اللَّهِ فِيْنَا
سَيَعْلَمُ النَّاسُ عِلْمَ الْيَقِينِ مَنْ بَارَيْنَا
سَيَعْلَمُونَ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ عَزَّ دِينَا
وَأَنَّ طَهَّ نَبِيٍّ وَخَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ
وَأَفْضَلَ الرُّسُلِ طَرًّا وَسَيِّدُ الْعَالَمِينَ

○ ○ ○

رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَدِينَهُ لِي دِينَا
رَضِيتُ طَهَّ نَبِيًّا وَمُرْسَلًا وَأَمِينَا
رَضِيتُ تَنْزِيلَ رَبِّي لَنَا كِتَابًا مُبِينَا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهَذَا؟ قُولُوا: رَضِينَا رَضِينَا

○ ○ ○

فَدَيْتُكَ يَا إِسْلَامُ بِالْجَاهِ وَالرُّتْبِ
وَبِالْمَنْصِبِ الْأَعْلَى وَمَا فِيهِ مِنْ أَرْبٍ

فَدَيْتُكَ بِالدُّنْيَا وَمَا أَرْدَانُ مِنْ نَشَبٍ
 فَدَيْتُكَ بِالْغَالِينَ بِالْوَلَدِ الْأَحَبِّ
 بِرُوحِي أَنْ تَضَوِّيَ وَتَلَمَّسَكَ النُّوبُ
 فَلَسْتُ أُبَالِي إِنْ سَلِمْتَ بِمَنْ عَطَبُ
 ○ ○ ○

فَدَيْتُكَ يَا دِينِي وَمَجْدِي وَقَائِدِي
 بِنَفْسِي وَأَعْلَى كُلِّ مَا مَلَكَتْ يَدِي
 وَصُتُّكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ
 وَدُمْتُ عَزِيزاً بِالْأَسْوَدِ الْأَمَاجِدِ
 ○ ○ ○

أَعِيدُكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ ذِي حَرَبٍ
 وَمِنْ شَرِّ ذِي شَرِّ خَبِيثٍ إِذَا وَقَبُ
 يُعَادِيكَ لِلشَّيْطَانِ بِالظُّلْمِ وَالْكَذِبِ
 وَيَقْذِفُ فِي مَسْرَاكِ بِالشُّوْكِ وَالْحَطَبِ
 يُطْفِئُ نُورَ اللَّهِ مُنْفَجِرُ الْحَبِّ
 أَيَكْتَبُ لِلدُّخَانِ نَصْرٌ عَلَى الشُّهْبِ؟
 أَتَغْلِبُ نُورَ الشَّمْسِ ثَلْجِيَّةُ الْحُجْبِ؟
 أَيَنْسِفُ مَاءَ الْبَحْرِ كَفٌّ مِنَ اللَّهْبِ؟
 ○ ○ ○

مَعَادَ إِلَهِ الْعَرْشِ أَنْ يُخْذَلَ الْهُدَى
 وَيُطْفِئَ نُورَ اللَّهِ مَنْ ضَلَّ وَاعْتَدَى

(١) الْحَبُّ وَالْحَبَابُ: قد يطلق على فقايع الماء ونفاخاته التي تطفو عليه وتنفجر. وهو أيضاً طرائق الماء وتكسراته.

سَيَتَصِرُ الْإِسْلَامُ نَصْرًا مُخْلَدًا
وَيَبْقَى عَزِيزًا فِي الْأَنْامِ مُمَجَّدًا
وَيُكْبَرُ كُلُّ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدًا
وَيَتَّبِعُهُ مَنْ صَدَقَ الْحَقَّ وَاهْتَدَى

○ ○ ○

رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَدِينَهُ لِي دِينًا
رَضِيتُ طَهَ نَبِيًّا وَمُرْسَلًا وَأَمِينًا
رَضِيتُ تَنْزِيلَ رَبِّي لَنَا كِتَابًا مُبِينًا

○ ○ ○

فَهَلْ رَضِيتُمْ بِهَذَا قُولُوا: رَضِينَا رَضِينَا

(١٣٢ بيتاً)

دمشق في سنة ١٣٨٥ هجرية

هذه القصيدة نظمته في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٨٦ هجرية الموافق لشهر تموز ١٩٦٦م وألقيتها في احتفال توجيهي كبير بجامعة منجك في حي الميدان من دمشق الشام. وكنت يومها منقولاً من مدير التعليم الشرعي في وزارة الأوقاف، إلى عضو بحوث في وزارة التربية إبعاداً لي عن التعليم الشرعي وإدارته.

على إثر إلقائها استدعاني وزير التربية الدكتور مصطفى حدّاد، إلى جلسة تحقيق في الوزارة، وأطلعني على خطاب من رئيس مجلس الوزراء إليه، فيه أنني تهجمت في الحفل المذكور على نظام الحكم القائم.

وبدأت جلسة التحقيق، بحضور مفتش إداري في الوزارة، اسمه: «نسيب سعيد».

وكان السؤال: يقول التقرير إنك ألقى قصيدة تهجمت فيها على نظام الحكم القائم، فما تقول؟.

فأجبت: لقد اعتاد الناس أن يسمعوا مني قصيدة جديدة في كلّ شهر ربيع الأول من كلّ عام، وفي هذه السنة ألقى قصيدة جديدة بعنوان:

«الصراع بين الحق والباطل»

تناولت فيها فكرة الصراع بين الحق والباطل، وأنصار الحق وأنصار الباطل، دون التحدّث عن نظام حكم قائم، أو ماضٍ، في سورية أو في غيرها، وقد اشتملت هذه القصيدة على أفكار أوّمن بها أصابت من أصابت، وأخطأت من أخطأت.

سأل الوزير: هل القصيدة موجودة عندك؟

قلت: نعم.

قال: إذن أحضرها، فإذا جئت بها فلا داعي لاستكمال التحقيق، وكان الوزير في تحقيقه مهذباً معي.

قلت: وهو كذلك.

وانفضت جلسة التحقيق، وأحضرت له في اليوم التالي نسخة منها، ودفعت بها إليه عن طريق مدير مكتبه.

ومضت مدة شهر أو أكثر لا أذكر، فاستدعاني أمين عام الوزارة. وقد كان يومها الأستاذ محمود الأيوبي، الذي صار في أدوار لاحقة رئيساً لمجلس الوزراء.

فدخلت إليه، وترّيت في إبلاغي كلاماً كأنه يريد أن لا يبلغني به، ثم حدّثني بشأن القصيدة حديث منبه محذّر، يشعرني بأنني إذا عدت إلى إلقاء قصيدة أخرى مماثلة عوقبت بالتسريح.

فقلت بإشارة اليد والشفّتين: تفعلون ما تشاؤون، فالرزق على الله، ولم أُبِدْ اهتماماً لهذا التحذير، ثم سُرّحتُ بعد نحو ثمانية شهور، يوم تسريح أبي وعمي وفريق من إخوانه، ومصادرة جمعيته ومدرسته الشرعية الخاصة، وإلقاء القبض على أبي وعمي وأخي، وجمهور كبير من المسلمين في سورية، وكان وزير التربية يومئذ الأستاذ «سليمان الخش» فطاف على مكاتب الوزارة، ودخل إلى المكتب الذي كنت فيه، وقال للموظفين: «حبّكة» التقط. وكان مثلج الصدر بهذا النبأ، لأنه كان قد استدعاني وعرض عليّ الإشراف على وضع مناهج جديدة للتربية الإسلامية وبعث إلى المفتش الأستاذ «أحمد القادري» يغريني بإدخال المفاهيم الاشتراكية في مادة التربية الإسلامية، وكان الوزير قد أطمعني بمنصب كبير إذا أنا استجبت لرغبته.

فلم يجد استجابة لديّ، وعلم أنّي أماطل، بعد أن كتبت له تقريراً بصلاحيّة المناهج القائمة، التي كان قد أشرف على وضعها المفتش المؤمن الغيور

الأستاذ عبدالرحمن الباني، وذكرت في تقريرى أنها تحتاج إلى زيادة بعض عناصر أخرى، لكنّ ذلك يحتاج إلى زيادة عدد ساعات التربية الإسلامية إلى ثلاث ساعات أسبوعياً، بدل ساعتين.

لقد ساء الوزير هذا الأمر، فنقلني من عضو بحوث، إلى موظف عاديّ في الإشراف، واستدعى غيري لتغيير المناهج.

ثم كان التسريح، وكانت الملاحقة، وكانت الأحداث الجسام، وحلّت هزيمة السادس من حزيران ١٩٦٧م. وطاف «سليمان الخش» على مكاتب الوزارة يقول: إنّ إسرائيل لم تحقّق أهدافها بإسقاط الحكم، وتغيير النظام، أمّا استيلاؤها على الأرض فأمره يسير، ثم جاءت تصحيحات داخل النظام، واقتيد «الخش» إلى السجن، وفيما يلي نصّ القصيدة منقحةً بعض التنقيح:

الصراع بين الحق والباطل

إِذَا اضْطَرَعَ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ

فَمَنْ مِنْهُمَا الصَّائِلُ الْجَائِلُ؟

وَمَنْ مِنْهُمَا الْبَاطِلُ الْبَاسِلُ؟

وَمَنْ مِنْهُمَا الظَّافِرُ الْعَادِلُ؟

وَأَيُّهُمَا الْمَاكِرُ الْخَاتِلُ؟^(١)

وَأَيُّهُمَا الْفَاجِرُ الْفَاشِلُ؟

وَأَيُّهُمَا الْعَرَضُ الزَّائِلُ؟

○ ○ ○

وَكُلُّ لَهُ نَاصِرٌ يَعْمَلُ

وَذَلِكَ فِي كَدْحِهِ يَسْفُلُ

وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ يَفْصِلُ^(٢)

نَعِيمٌ وَنَارٌ. فَمَا الْأَفْضَلُ؟^(٣)

دَقِيقٌ. وَمُخْتَبَرٌ أَمْثَلُ

وَلَكِنْ شَرِيفٌ وَمُسْتَرْذَلُ

وَمَنْ فِي ضَلَالَتِهِ يَنْزِلُ

إِذَا جَارَ ذَاكَ فَذَا يَعْدِلُ

خَصِيمَانِ كُلُّ لَهُ غَايَةٌ

خَصِيمَانِ: هَذَا هُدًى صَاعِدٌ

قَدْ اقْتَسَمَا مِنْهَجِي دَهْرِنَا

هُمَا الْخَيْرُ وَالشَّرُّ. نَجِدَاهُمَا

هُمَا لِإِرَادَتِنَا كَاشِفٌ

فَرِيقَانِ كَدْحُهُمَا دَائِمٌ

وَشَتَّانِ مَنْ فِي الْهُدًى يَعْتَلِي

وَجُنْدَاهُمَا يَحْمِلُونَ الْقَنَا^(٤)

(١) الخاتل: المخادع، الصياد المتخفي لصيده.

(٢) البرزخ: الحاجز بين الشيئين.

(٣) نجداهما: النجد هو الطريق الواضح، قال الله تعالى: ﴿وَهْدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

(٤) القنا: الرماح.

سَجَايَاهُمَا مِثْلُ نَجْدَيْهِمَا
سِلَاحُ ذَوِي الْحَقِّ فِي غَمْدِهِ
يُسْنُ وَلَا يَعْتَرِيهِ الصَّدَا
بِأَيْدِي ثِقَاةٍ لُيُوثِ الْوَعَى
وَأِنْ عَزَلُوا عَنْ سِلَاحِ الْوَعَى
وَحِينَ تُشَاهِدُهُمْ قِلَّةٌ
وَمَا لَيْسَ فِي طَبْعِهِ فَضْلُهُ
كَرَامُ الْجَوَاهِرِ إِذْ تُنْتَقَى
وَقِيَمَةُ كُلِّ امْرِيٍّ عَامِلٍ
وَعُدَّةُ ذِي الشَّرِّ مَسْمُومَةٌ
بِأَيْدِي بُغَاةٍ تُعَابِسُونَهُمْ
وَتَمْلَأُ بِالْحَقْدِ أَنْيَابَهَا
فَإِنْ لَمْ تُطِقْ قَتْلَ أَعْدَائِهَا

○ ○ ○

إِذَا اضْطَرَعَ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ

فَمَنْ مِنْهُمَا الصَّائِلُ الْجَائِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الْبَاطِلُ الْبَاسِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الظَّافِرُ الْعَادِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْمَاكِرُ الْخَاتِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْفَاجِرُ الْفَاشِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْعَرَضُ الزَّائِلُ؟

○ ○ ○

خَصِيمَانِ: هَذَا إِلَى يَمْنَةٍ وَفِي نِيَرَاتِ الْهُدَى يَعْمَلُ

وَذَلِكَ يَخْبُطُ^(١) فِي يَسْرَةٍ وَفِي ظُلُمَاتِ الْهَوَى يُوْغَلُ

○ ○ ○

فَأَهْلُ الْيَمِينِ دُعَاةُ الْهُدَى
هُمْوَأَنْجُمُ الْعِلْمِ أَهْلُ الثَّقَى
لَهُمْ كُلُّ مَجْدٍ رَفِيعِ الدَّرَى
وَأَهْلُ الشِّمَالِ دُعَاةُ الرَّدَى
وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ أَصْلَحُوا
هُمْوَالْمُعْتَدُونَ طُغَاةُ الْوَرَى
عُدَاةُ الْكَمَالِ عُدَاةُ السَّنَى
وَفِي الشَّرْقِ مَأْوَى لَهُمْ يُرْتَجَى
وَيَحْزَنُهُمْ سَيِّدٌ مُذْبِرٌ
وَيَقْتَادُهُمْ مِنْ هُنَا بَاذِلٌ
ظُهُورُهُمْوَلِبْغَايَا الْعِدَا

○ ○ ○

فَرِيقَانِ كُلُّ لَهُ خِطَّةٌ
نَقِيزَانِ مَا اتَّخَفَا طَرْفَةً
وَبَيْنَهُمَا الْحَرْبُ لَا تَنْتَهِي
فَيُوقَدُ بِالْكَيْدِ نِيرَانُهَا
مَقَالَتُهُ مَا بَغَى أَوْ طَغَى

○ ○ ○

وَيَذْفَعُ ذُو الْحَقِّ شَرَّ الْعِدَا
مَقَالَتُهُ مَا عَلَا فِي الْوَرَى

(١) يخبط: الخبط الضرب والوطء الشديد.

عَنِ الْمَجْدِ وَالرُّشْدِ لَا يَنْزِلُ
وَعَنْ طَاعَةِ اللَّهِ لَا يَرْحَلُ

○ ○ ○

وَذَاكَ شَيَاطِينُهُ تَنْسِلُ
وَسَارُوا الْهُوَيْنَى وَمَا اسْتَعَجَلُوا
تُضِيءُ وَتَهْدِي وَلَا تَأْفِلُ
فَفِي الْخُلْدِ مَطْلَعُهَا الْأَكْمَلُ
إِذَا مَسَّهُ مُفْسِدٌ يُقْتَلُ
فَهُنَّ قَوَاتِلُ مَنْ يَخْتَلُ

○ ○ ○

وَمِثْلُ الْجَرَائِمِ لَا تَعْقِلُ
فَتَشْمَلُ بِالْفَتْكِ مَنْ تَشْمَلُ
هُنَا أَفْسَدُوا وَهُنَا قَتَلُوا
فَهُمْ بِأَضَالِيلِهَا حُفِلُ
وَأَعْسَلُ غَيْرُهُمْو حَنْظَلُ
لَهُ حَشْدُوا وَلَهُ كَتَلُوا
وَمِنْ دُونِ مَا مُفْزِعِ هَوَّلُوا^(١)
وَأَشْبَاحُ أَرْوُسِهِمْ تَعْمَلُ
وَأَوْهَامُ أَنْفُسِهِمْ تَغْزِلُ
وَحَيْرُ رَقِيبِ لَهُمْ أَحْوَلُ
نَمَا فِيهِمْو الْأَمْنُ وَاسْتَبَسَّلُوا
وَأَنْفُسُهُمْ مِنْ رِضَى تَنْهَلُ

حَصِيفُ الْفَوَادِ عَفِيفُ الْهُوَى
مُقِيمٌ بِحُبِّ رَسُولِ الْهُدَى

خَصِيمَانِ: هَذَا لَهُ جُنْدُهُ
فَجُنْدُ الْهُدَى بَايَعُوا رَبَّهُمْ
وَأَعْظَمُ بِجُنْدِ الْهُدَى أَنْجَمًا
وَأِنْ غَرَبَتْ عِنْدَ مَرَأَى الْوَرَى
رَوَاصِدُ فِي الْأَفْقِ حُرَاسُهُ
فَلَا تَعْجَبَنَّ لِشُهْبِ هَوَتْ

وَجُنْدُ الضَّالَّةِ عُمَى الْهُوَى
تَسِيرُ بِلَا غَايَةٍ تُرْتَجَى
شَيَاطِينُ مِثْلُ الْوَبَا وَالرَّدَى
وَأِنْ تَتَحَرَّكَ بِهِمْ شَهْوَةٌ
فَحَنْظَلُهُمْ عَسَلٌ فَاحِرُ
وَكَمْ شَبَحَ صُنْعِ أَوْهَامِهِمْ
وَعَجُّوا وَضَجُّوا بِلَا مُقْتَضَى
لَكُمْ أَرْعَدُوا. وَلَكُمْ أَوْعَدُوا
وَتَنْسَجُ أَنْمُلُهُمْ كَيْدُهُمْ
وَكَمْ يَنْشُرونَ رَقِيبًا لَهُمْ
وَجُنْدُ الْهُدَى كُلَّمَا أُرْجِفُوا
وَزَادُوا ثَبَاتًا وَزَادُوا هُدَى

(١) هَوَّلُوا: خَوْفُوا بشدة.

أَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ مَنْ يَجْتَبِي وَيَعْلَمُ مَنْ هُلْكُهُ أَوَّلُ؟!
فَكَيْفَ يَخَافُونَ مَنْ لَيْسَ فِي يَدَيْهِ نَجَاةٌ وَلَا مَقْتَلُ؟!
وَمَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ لَمْ يَخْشَ مِنْ سِوَاهُ وَلَوْ عَظَّمَ الْجَحْفَلُ

○ ○ ○

إِذَا اضْطَرَعَ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ

فَمَنْ مِنْهُمَا الصَّائِلُ الْجَائِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الْبَاطِلُ الْبَاسِلُ؟
وَمَنْ مِنْهُمَا الظَّافِرُ الْعَادِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْمَاكِرُ الْخَائِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْفَاجِرُ الْفَاشِلُ؟
وَأَيُّهُمَا الْعَرَضُ الرَّائِلُ؟

○ ○ ○

أَلَا فَاسْأَلِ الدَّهْرَ عَمَّا جَرَى
أَمَّا انْتَصَرَ الْحَقُّ لَمَّا انْجَلَى
أَمَّا ظَهَرَ الْحَقُّ لَمَّا أَتَى
مُحَمَّدٌ أَكْمَلَ كُلَّ الْوَرَى
بِهِ يَأْتِكَ النَّبَأُ الْأَمْثَلُ
بِدَعْوَةٍ مَنِ لِلْوَرَى أُرْسِلُوا؟
بِهِ خَاتَمَ الرُّسُلِ الْأَفْضَلُ؟
وَشَرَعَتْهُ الشَّرْعَةُ الْأَكْمَلُ

○ ○ ○

أَتَى النَّاسَ يَدْعُوهُمْو لِلْحَيَا
هَنَا مَجْدُكُمْ. وَهَنَا عِزُّكُمْ
يُبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ دِينَهُ
فَلَيْسَ بِمُسْتَبْدِلٍ كَلِمَةً
وَيَتَّبِعُ الْوَحْيَ فِي حُكْمِهِ
وَمَا أَسْوَأَ حَسَنَتٍ فِي الْوَرَى
يَقُولُ فَتَنْبُتُ مِنْ قَوْلِهِ
هَٰذَا هُذِي سَعَادَتُكُمْ فَاقْبَلُوا
وَبَادِخُ نِعْمَتِكُمْ. فَادْخُلُوا
كَمَا هُوَ مِنْ رَبِّهِ يَنْزِلُ
وَلَا يَسْتَزِيدُ وَلَا يَبْخُلُ
وَعَنْ مَنْهَجِ اللَّهِ لَا يَعْدِلُ
تُدَانِيهِ فِي كُلِّ مَا يَجْمُلُ
نُجُومٌ تُضِيءُ وَلَا تَأْفِلُ

لَهَا فِي الْأَثِيرِ مَسِيرُ الْهُدَى
يُصِيبُ الْقُلُوبَ بِمَاءِ الرِّضَى
فَمَنْ يَسْتَجِبْ يَرْتَشِفْ سَعْدَهُ

○ ○ ○

أَتَى النَّاسَ غَرْقَى بِآلَمِهِمْ
وَأَمَّا بَقَايَا الْهُدَى فِيهِمْ
فَبَصَرُهُمْ بِسَبِيلِ الْهُدَى

○ ○ ○

أَتَى النَّاسَ لَا يَنْتَهِي فُحْشُهُمْ
يُسِيمُونَ أَهْوَاءَهُمْ فِي الْخَنَا
وَتَوْبُ الرِّيَاءِ عَلَى مَا بَغَوْا
فَبَصَرَهُمْ. وَهَذَا هُمْ إِلَى

○ ○ ○

وَسَارَ الرَّسُولُ مَسِيرَ الضِّيَا
كَغَيْثٍ مُغِيثٍ عَظِيمِ السَّنَى
وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ جَمَّ الرِّضَى
وَأَلْزَمَ بِالْحَقِّ أَقْوَالَهُ
وَغَلَّفَ آلَامَهُ بِالرِّضَى
وَشَدَّ عَلَى الْعَزْمِ مَا يَرْتَجِي
وَعَالَجَ بِالْعَفْوِ مَرَّ الْأَذَى
وَبِالْجُودِ دَاوَى عِدَاءَ الْعِدَا
وَكَمَ مِنْ عَدُوٍّ بِوَفْرِ النَّدَى

وَوَابِلُ أَنْوَارِهَا يَهْطِلُ^(١)
وَيُوغِلُ كَالرُّوحِ إِذْ تُوْغِلُ
فَيُحْيِي الْفُؤَادَ بِمَا يَنْهَلُ

○ ○ ○

وَلَيْلُ ضَلَالَتِهِمْ أَلِيلُ
فَجَوْهَرُهَا ضَائِعٌ مُهْمَلُ
وَأَنْذَرَهُمْ إِنْ هُمُو أَهْمَلُوا

○ ○ ○

وَلَا بَغْيُهُمْ عَنْهُمْ يَرْحَلُ
وَنَبْعُ الشَّرُورِ لَهُمْ مَنْهَلُ
وَمَا أَفْسَدُوا مُسَدَّلَ مُسْبَلُ
حَمِيدِ الْخِصَالِ لِكَيْ يَجْمَلُوا

○ ○ ○

ءِ يَهْدِي. وَيَبْدُلُ مَا يَبْدُلُ
فَيَسْقِي وَيَهْدِي وَلَا يَبْخُلُ
وَلَمْ يَثْنِهِ مُعْتَدٍ مُبْطِلُ
وَبِالْعَدْلِ وَالْفَضْلِ مَا يَعْمَلُ
وَأَلْقَى عَلَى الصَّبْرِ مَا يَثْقُلُ
وَأَلْجَمَ بِالْحَزْمِ مَا يَأْمُلُ
وَقَابَلَ بِالْحِلْمِ مَنْ يَجْهَلُ
فَصَارَ رِضَى دَاوَاهَا الْمَعْضِلُ
تَحَوَّلَ ذَا خُلَّةٍ تُذْهِلُ

(١) الوابل: المطر الغزير.

وَذَاقَ مِنَ الْحَقِّ طِيبَ الْهَنَاءِ فَسَارَ إِلَى رَبِّهِ يَرْمُلُ
يَوْدُ الشَّهَادَةِ فِي اللَّهِ أَوْ يَرَى الْحَقَّ فِي عِزِّهِ يَرْفُلُ

○ ○ ○

وَسَارَ الرَّسُولُ مَسِيرَ الضِّيَاءِ ۚ يَهْدِي وَيَبْذُلُ مَا يَبْذُلُ
وَأَصْحَابُهُ أَنْجُمٌ يَهْتَدِي بِهِدْيَهُمُ النَّاسُ إِنْ يَعْقِلُوا
وَكَرَّ الْبُغَاةُ إِلَى حَرْبِهِمْ وَكَانَتْ مَنَآيَاهُمُ تُقْبِلُ
تَبْطِئُ فِيهِمْ ضَلَالَاتُهُمْ وَذُو الشَّرِّ مَهْمَاعِدَا فَسْكُلُ
تَمِيدُ بِهِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِهِ وَبِالشَّرِّ كَاهِلُهُ مُثْقَلُ
أَخُو الشَّرِّ فَأَرْجَبَانِ الْخَطَا يُنَافِقُ بِالْمَكْرِ أَوْ يَخْتِلُ
دَنِيءُ السُّلُوكِ إِذَا مَا اعْتَلَى يُهِنُ وَيَفْجُرُ أَوْ يَقْتُلُ

○ ○ ○

وَذُو الْخَيْرِ يُسْرِعُ فِيهِ الْهُدَى وَيَسْمُو بِهِ الْأَمْلُ الْمُخْضَلُ
شُجَاعُ الْفَوَادِ عَفِيفٌ إِذَا تَمَكَّنَ يَصْفَحُ أَوْ يَعْدِلُ

○ ○ ○

وَكَانَتْ حَيَاةُ نَبِيِّ الْهُدَى كَخَضِبِ الْحَيَاةِ لِمَنْ أَمَحَلُوا
وَكَالصُّبْحِ مِنْ بَعْدِ طُولِ الدَّجَى وَكَالزَّادِ وَالنَّاسُ قَدْ أَرْمَلُوا^(١)
وَمِثْلُ الشِّفَاءِ لِمَنْ عَمَّهُمْ وَبَاءَ إِذَا حَلَّ لَا يَرْحَلُ
وَكَانَتْ رِسَالَتُهُ لِلْوَرَى حَيَاةُ الْخُلُودِ لِمَنْ يَعْقِلُ

○ ○ ○

وَلَمَّا انْجَلَتْ غَزَوَاتُ الرَّسُو لَ تُوْجَ بِالنَّصْرِ مَنْ هَلَّلُوا
رَجَالٌ عَلَى الْعَهْدِ مِنْهُمْ قَضَى شَهِيداً وَيَأْقُونَ مَا بَدَّلُوا
وَسَارَ إِلَى الْفَتْحِ أَبْطَالُهُمْ سَحَابُهُمْ بِالنَّدَى تَهْطَلُ

(١) أرملا: نفر زادهم.

وَحَابَتْ أَمَانِي كُفَّارَهَا وَبَدَّدَهُمْ صَارِمٌ^(١) أَعْدَلُ
حَبَا اللَّهُ حُرَّاسَ قُرَّانِهِ مِنْ الْفَتْحِ فَوْقَ الَّذِي أَمَّلُوا

○ ○ ○

فَمَنْ يَا تُرَى بَعْدَ طُولِ الصَّرَا عِ يَعْلُو وَمَنْ يَا تُرَى يَسْفُلُ؟
وَمَنْ سَيَتَوَّجُ بَعْدَ الْقِرَا عِ تَاجِ النَّجَاةِ وَمَنْ يَفْشُلُ؟
أَدْوِ الْحَقِّ يُنْصَرُ بَعْدَ الْوَعَى وَيَجْنِي النَّجَاةَ أَمْ الْمُبْطِلُ؟

○ ○ ○

أَرَايُ مَا مَرَّ مِنْ أَعْصُرٍ وَأَسْأَلُ عَنْهُنَّ مَا أَسْأَلُ
فَتَذْهَبُنِي عَبْرُ جَمَّةٍ خَوَالِي الْعُصُورِ بِهَا تَحْفَلُ^(٢)
فَمَهْمَا اسْتَقَامَ دُعَاةُ الْهُدَى فَمَا لِلْعُلَا عَنْهُمْ مَعْدِلُ
وَمَهْمَا عَصَوْا فِي شُرُوطِ الْعُلَا وَإِنْ كَثُرُوا عَدَدًا يُخَذَّلُوا
وَإِنْ يَجْهَلُوا سِرَّ خِذْلَانِهِمْ فَحِكْمَةُ ذِي الْعَرْشِ لَا تَجْهَلُ
وَمَهْمَا يَعُودُوا إِلَى دِينِهِمْ يَعُدُّ لَهُمُ الظَّفَرُ الْأَوَّلُ
شَرِيعَتُهُمْ وَسَطٌ مُرْتَقٍ لَهُ مِنْهَجٌ قِيمٌ أَعْدَلُ
لَهُ شَاطِئًا قِمَّةٌ بَيْنَا نِ. وَرَاءَهُمَا شُبَّةٌ تَدْخُلُ
وَدُونَ الْيَمِينِ هَوًى قَاتِلُ وَدُونَ الشِّمَالِ هَوًى أَقْتَلُ
وَمَهْمَا بَغَوْا وَاسْتَلَذُّوا الْهَوَى وَرَاءَ الْيَمِينِ وَلَمْ يَعْدِلُوا
أَصَابَتْهُمْ مِنْ سَمُومِ الشِّمَا لِ رِيحٍ تُجَدِّلُ أَوْ تَقْتُلُ^(٣)
وَأَلْقَتْ بِهِمْ فِي طَرِيقِ الرَّدَى بِمُنْحَدَرٍ هُلُكُهُ مُشْمِلُ
وَمَهْمَا يَعُودُوا إِلَى دِينِهِمْ يَعُدُّ لَهُمُ السُّودُّ الْأَوَّلُ

(١٣٤) بيتاً

دمشق في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٦ هجرية

(١) صارم: سيف قاطع. (٢) تحفل: تجمع وتحوي. (٣) تُجَدِّلُ: تصرع.

الفصل الثاني

قصائد كتبها في موضوعات من
موضوعات الدعوة في ظروف مختلفة.

دعاء

يَا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا الزَّلَّاتِ وَاعْفُ فَمَا
يَا رَبِّ إِنَّ خَطَايَانَا لَقَدْ عَظُمَتْ
يَا رَبِّ واجْمَعْ شَتَاتَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
يَا رَبِّ إِنَّ شَيْئًا أَلْفَتَ الْقُلُوبَ فَلَا
وَأَيَّدِ الْحَقَّ وَأَنْصُرْ أَهْلَهُ وَأَقِمِ
اللَّهُ دَعْوَتَهَا. وَالْحَقُّ مَبْدُوهَا
وَشِرْعَةُ اللَّهِ بَيْنَ النَّاسِ شِرْعَتُهَا
وَنَيْلُ مَرْضَاةِ رَبِّ الْعَرْشِ غَايَتُهَا
وَالْعِلْمُ كَوَكْبُهَا. وَالْعَزْمُ مِنْكِبُهَا
وَالْعَوْنُ فِيهَا السَّدَى وَالْحُبُّ لِحْمَتُهُ

لِمُذْنِبٍ دُونَكَ اللَّهُمَّ مِنْ أَمَلٍ
وَبَعْضُ عَفْوِكَ يَمْحُو أَعْظَمَ الزَّلَلِ
رِضَاكَ فِي وَحْدَةِ الْأَقْوَالِ وَالْعَمَلِ
نُفُورَ فِيهَا. فَأَلَفَ بَيْنَهَا وَصَلَ
فِي الْأَرْضِ دَوْلَتَهُ الْكُبْرَى عَلَى الدُّوَلِ
وَالْعَدْلُ أَحْكَامُهَا. صَيَّنَتْ مِنَ الْخَطَلِ
وَهَدَيْتِ أَحْمَدَ يَحْمِيهَا مِنَ الزَّلَلِ
وَمَقْصِدُ الْخَيْرِ حَادِيهَا عَلَى السُّبُلِ
وَالْبَأْسُ مَرْكَبُهَا فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ
وَهَذِهِ فِي الْبَرَايَا دَوْلَةُ الرُّسُلِ

(١٠ أبيات)

بومبي في سنة ١٣٧١ هجرية

مع تنقيح يسير عند وضعها هنا.

في سنة ١٣٧١ هجرية قبيل موسم حج هذه السنة، زار الشيخ توفيق الهبري، وهو أحد أعيان لبنان ومن رجال بيروت ذوي المكانة، والذي في داره بحي الميدان من دمشق الشام، رحمهما الله، وجعلهما في عليين.

ونقل الشيخ توفيق لأبي رغبة الشيخ محمد علي زينل علي رضا، باستقدام أحد طلاب العلم من دمشق إلى بومباي لتعليم كريماته علوم الدين واللغة العربية.

وانتدبني أبي لهذه المهمة، وكنت يومئذ مسجلاً في كلية الشريعة بالأزهر، في السنة الرابعة منها، وكانت خطة الرحلة أن أسافر إلى الحجاز حاجاً، وأنزل ضيفاً على آل زينل، ثم أسافر بعد الحج على إحدى البواخر التي يحملون عليها الحجاج الهنود إلى بومباي.

وقبيل مقدم الشيخ توفيق رأيت رؤيَيْن:

الأولى: رأيت أي في مكان ما، وسمعت هاتفاً يقول لي: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» ولم يكن الحج في ذلك العام يخطر على بالي مطلقاً، وغير متيسر بالنسبة إليّ، وكانت هذه الرؤيا بشرى تحققت بما حدث بعدها.

الثانية: رأيت في حجرة المكتبة والدرس من بيت السكن الذي يُقيم فيه أبي هو وأسرته، سيدنا رسول الله ﷺ، على صورته وهيئته المذكورة في السمائل، ورأيتني قابضاً بكفّي على رسغي النبي ﷺ، ويداه مرتفعتان وكفاه مفتوحتان إلى السماء على هيئة الواقف موقف الدعاء، وأنا أقول له: يا رسول الله ادع لي، وهو يدعو لي، لكنني لم أعرف شيئاً مما دعا لي به.

وكانت هذه بشرى ثانية.

فلما قدم الشيخ توفيق الهبري، وعرض على أبي ما عرض وانتدبني أبي للمهمة، لم أتردد في الاستجابة للطلب، مع أنَّ السنة بالنسبة إليَّ سنة تحصيل الشهادة العالية من كلية الشريعة، وهي مرحلة مهمة بالنسبة إليَّ يومئذ.

وتعقدت إجراءات السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ثم لم تنحلّ المشكلات، ولم يتهيأ لي مقعد في طائرات الحج، إلّا في صباح يوم عرفة، وكان ذلك من مطار بيروت.

ووجدت نفسي في جدّة ضحى يوم عرفة، وحُمِّلنا على سيارات شحن إلى عرفات مباشرة، في شمس حارة، وفي شهرٍ من أشهر الصيف شديدة الحرّ.

وقضى الله لي حجاً بفضله وحمايته، وكنت أشاهد عشرات الحجاج يتساقطون أمامي من ضربات الشمس، وحماي الله، وآواني في منى ومكة عند إخوان من بلدي عرفوني.

ثم اتصلت بآل زينل، ونقلوني إلى بومباي على إحدى بواخرهم التي ينقلون عليها الحجاج الهنود.

ووصلت إلى بومباي، ووجدت الشيخ محمد علي زينل علي رضا يستقبلني هو وبعض إخوانه في الميناء، وانتقلت إلى ضيافته، وخصص لي مكاناً للإقامة.

وبدأت مهمتي، ونفسي معلقة بمصر، للحصول على شهادة كلية الشريعة.

وكتبت في هذه الأثناء، ذكرى رحلتي إلى الحجة الأولى من حجات عمري، وهذه هي بعنوان:

«ذكرى رحلتي إلى الحج»

ذكرى رحلتي إلى الحج

سَقَيْتَنِي الْوَجْدَ حَتَّى هَاجَنِي الْوَلَعُ
فَاسْقِ الْمَطَايَا شَرَابِي كَيْ تَمُرَّ بِنَا
طَافَ الْحَجِيجُ. وَثَنُوا بِالْوُقُوفِ فَيَا
فِي أَرْضِ لُبْنَانَ مَا زِلْنَا نُعَاتِيهَا
بِاللَّهِ رِفْقًا بِنَا. إِنَّا نَحَازِرُ أَنْ
وَقُلْتَ: هَيَّا. فَإِنَّ السَّفَرَ قَدْ هُرِعُوا
مَرَّ الْخِيَالِ. فَمَا فِي الصَّبْرِ مُتَّسِعُ
وَيَحِ الْمَشُوقِ عَلَى نَائِي إِذَا دَفَعُوا
لِأَنَّهَا أَخَّرْتَنَا وَالْهَوَى هَلِيعُ
نَحْجُ حَجَّ الْقَطَا وَالنَّاسُ قَدْ رَجَعُوا

○ ○ ○

أَعْظَمُ بِطَائِرَةٍ فِي الْجَوِّ تَنْقُلُنَا
كَخَاطِفِ السَّهْمِ سَبْحًا فِي الْفُضَاءِ بِنَا
وَعِنْدَ جَدَّةٍ أَهْبَطْنَا كَمَا هَبَطْتُ
بِسُرْعَةِ الصَّوْتِ. لَا يَتَّبَعُهَا ظَلْعُ^(١)
غُدُوها أَشْهُرُ السَّارِينَ لَوْ ذَرَعُوا
مَلَائِكُ اتَّزَرُّوا بِالسُّحُبِ وَالتَّفَعُّوا

○ ○ ○

هَيَّا اهْرَعُوا لِمَطَايَا الْأَرْضِ وَانْتَهَبُوا
جِدُّوا الْمَسِيرَ بِنَا وَاسْقُوا مَطِيئَكُمْ
سَيَرُوا بِنَا قَدْ دَنَتْ سَاعَاتُ مُتَعَتِنَا
هَٰذِي نَسَائِمُ بَيْتِ اللَّهِ تَنْفَحُنَا
هَٰذَا صَدَى الذَّاكِرِينَ اللَّهَ فِي أُذُنِي
هَٰذِي الشَّايَا الَّتِي مَرَّ الرَّسُولُ بِهَا
بِهَا الْبَطَاحُ. وَلَا تَأْلُوا. وَلَا تَدْعُوا
نَارًا. فَإِنَّ سُقَاةَ النَّارِ قَدْ بَرَعُوا
وَلَاخَ نُورٌ بِهِ الْإِيمَانُ وَالْوَرَعُ
فِي صَدْرِهَا عَنَبٌ فِي وَجْهِهَا لُحْمُ
يَعُجُّ حُلُوءًا بِمَا لَبَّوْا وَمَا ضَرَعُوا
فِي صَحْبِهِ فَاقْرُؤُوا فِيهَا الَّذِي صَنَعُوا

○ ○ ○

(١) ظلع: الظَّلْعُ العرج. وجاء فيه ظَلْعُ.

يَا عَيْنُ أَجْرِي النَّدَى وَاسْقِي الثَّرَى دِيمًا يَحْيَا بِهَا الْأَمْنُ . إِذْ يَقْضِي بِهَا الْجَزْعُ
يَا أَطْهَرَ الْأَرْضِ . يَا مَسْرَى الْهَدَى احْتَفِظِي

بِمَا بَكَيْتُ . فَلِي فِي حِفْظِهِ طَمَعُ
تَحْدِثِي يَوْمَ عَرَضِ النَّاسِ عَنْ خَبْرِي الدَّمْعُ مِنْهُمْ لُ . وَالْقَلْبُ مُنْصَدِعُ
إِنْ لَمْ أُبَلِّكَ مِنْ نَفْسِي بِمَعْرَكَةٍ فَرُبَّمَا نَابَ دَمْعُ عَابِدٍ هَمْعُ

○ ○ ○

يَا نَفْسُ هَذِي عِبَادَاتُ مُحِبَّةٍ فِيهَا لِأَرْوَاحِنَا مَهْوَى وَمُرْتَبَعُ^(١)
قَوْمِي انْظُرِي لِعِبَادِ اللَّهِ فِي طَرْبٍ كَأَنَّهُمْ فِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ قَدْ رَتَعُوا
هِيََا ادْخُلِي بَيْنَهُمْ بِالذَّلِّ وَانْشَرِجِي صَدْرًا بِمَا طَوْفُوا طَوْرًا وَمَا رَكَعُوا

○ ○ ○

دَوَامَةً حَوْلَ بَيْتِ اللَّهِ دَائِرَةً وَأَنْفُسُ فِي سَبَاقِ الْحُبِّ تَنْدَفِعُ
وَحَوْلَ رَحْمَةِ رَبِّ الْكَعْبَةِ أَرْدَحُمُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ سَاقَهُمْ وَلَعُ
نَادَى بِهِمْ صَوْتُ دَاعِي الْحَقِّ فَاسْتَمِعُوا وَأَذَعْنُوا لِنِدَاءِ الْحَقِّ وَاتَّبِعُوا
لِلَّهِ مَا جَاهِدُوا . لِلَّهِ مَا ظَمُّوا لِلَّهِ مَا عَبْدُوا . لِلَّهِ مَا خَضَعُوا
قَدْ أَلْفَتْهُمْ يَدُ الْإِيمَانِ فَاتْلُقُوا وَجَمَعَتْهُمْ يَدُ الرَّحْمَنِ فَاجْتَمِعُوا
فَمَا يُفَرِّقُهُمْ لَوْ نَ لَا نَسَبُ وَلَا يُبَاعِدُهُمْ خَوْفٌ وَلَا طَمَعُ
أُخُوَّةٌ نَسَجَ الْإِيمَانُ وَحَدَّتْهَا قُوَّةٌ . إِذْ وَهَتْ مِنْ دُونِهَا بَدْعُ

○ ○ ○

يَا رَبِّ لَبَّيْكَ جِئْنَا هَارِبِينَ . عَلَى
لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ . هَذَا الْخَوْفُ وَالطَّمَعُ
لَبَّيْكَ لَا عِزَّةَ . لَبَّيْكَ لَا صَلْفُ
لَبَّيْكَ لَا دُوْ غِنَى زَانَتْهُ حُلَّتُهُ

(١) المرتب: المنزل الذي ينزل فيه وقت الربيع .

لَبَّيْكَ. قَدْ مَاتَ الْأَلْقَابُ أَجْمَعُهَا
لَبَّيْكَ. أَلْسُنَا ذَكَرُ. وَأَدْمَعْنَا
لَدَيْكَ. لَبَّيْكَ هَذَا حَالُنَا شَرَعُ^(١)
ذُلٌّ. وَأَكْبَدُنَا - يَارَبَّنَا - وَلُجْ

○ ○ ○

مَا ذَلِكَ السِّرُّ فِي بَطْحَاءٍ مُحْرِقَةٍ
كَأَنَّمَا عَرَصَاتُ الْحَشْرِ قَدْ بُسِطَتْ
تَكَادُ مِنْ حَرِّهَا الْأَنْفَاسُ تَنْقَطِعُ
وَالنَّاسُ مِنْ دَارِسِ الْأَجْدَاثِ قَدْ هُرِعُوا

○ ○ ○

لِلَّهِ فِي عَرَافَاتٍ كُلِّ عَارِفَةٍ^(٢)
وَرَحْمَةُ اللَّهِ مَمْدُودٌ سُرَادِقُهَا
الْجُودُ مُنْطَلِقٌ وَالْعَفْوُ مُتَسِعٌ
قُولُوا لِكُلِّ تَقِيٍّ: هَهُنَا الطَّمَعُ

○ ○ ○

يَا قَفْرُ مَا شَأْنُ خَضِرَاءِ الرِّيَاضِ وَفِي
إِنْ كُنْتَ أَقْفَرْتَ مِنْ خَضِرِ الرِّيَاضِ فَقَدْ
رِمَالِكَ الطَّاهِرَاتِ الدِّينِ وَالْوَرَعِ
أَنْبَتَ لِلْأَتْقِيَا جَنَاتٍ مَا زَرَعُوا

○ ○ ○

وَعَابَتِ الشَّمْسُ وَالتَفَّتْ بِغِيَّتِهَا
تَحْرَكَ الْكَوْنُ يَسْعَى فِي الْمَضِيقِ فَهَلْ
تَمَشِي الْجِبَالُ مَعَ الْحُجَّاجِ إِذْ دَفَعُوا
عَنِ الزِّحَامِ. فَهَذَا الْحَشْدُ مُرْتَفِعُ

○ ○ ○

لِلَّهِ آيَتُهُ الْكُبْرَى وَحِكْمَتُهُ
أَخْسِرُ بِجَافِينَ مَا لَبَّوْا وَمَا ضَرَعُوا

○ ○ ○

(٤٤ بيتاً)

بومباي في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هجرية

(١) شَرَع: بفتح الراء وإسكانها أي سواء.

(٢) عارفة: العارفة المعروف، وجمعها عوارف أي صنائع المعروف.

في حجتي الأولى سنة ١٣٧١ هجرية علقت في نفسي ذكريات مؤثرات،
 منها ذكرى جبل النور، وهو جبل حراء، الذي كان يتعبد في غاره الرسول
 محمد ﷺ قبل النبوة، فلبث فيه بين حين وآخر الليالي ذوات العدد، حتى نزل
 عليه الوحي جبريل عليه السلام. بالنبوة والرسالة.

وكان من أثر ذكرى مشهد هذا الجبل قصيدة نظمته بعد سفري من
 الحجاز إلى بومبي في الهند، وهي هذه القصيدة، وعنوانها:
 «جبل النور»

جبل النور

سَلَامٌ عَلَى الْوَادِي سَلَامٌ عَلَى الْجَبَلِ
أَأَنْتَ حِرَاءٌ أَمْ حَرِيٌّ بِأَنْنَا
سَلَامٌ عَلَى غَارِ هُنَاكَ مُمْتَعٍ
تَبَسَّمَ هَذَا الْغَارُ يَوْمًا فَأَشْرَقَتْ
أَغَارَ حِرَاءٍ ضُمِنِي فِيكَ سَاعَةً
بِرَبِّكَ أَسْمِعْنِي صَدَى مَا سَمِعْتَهُ
وَقِفْ عِنْدَ نَجْوَى اثْنَيْنِ فِي سَاعَةٍ بِهَا
وَصَوْبُ التَّحَايَا لِلسُّفُوحِ وَلِلْقُلُلِ
نُكَلِّلُ فِيكَ الصَّخْرَ بِالضَّمِّ وَالْقُبُلِ
بِأَجْمَلِ ذِكْرِي مِنْ أَجْلِ مَنْ اعْتَزَلَ
سَعَادَةً هَذَا الْكَوْنِ مِنْ نَفْحَةِ الْأَزَلِ
لَعَلِّي أَرَى الْمَشُودَ مِنْ بِاسِمِ الْأَمَلِ
رُجُوعًا إِلَى مَاضِي الْقُرُونِ بِلَا مَهَلٍ
تَفْتَحُ صَدْرُ الْكَوْنِ لِلْحَادِثِ الْجَلَلِ

○ ○ ○

كَأَنَّكَ يَا جَبْرِيلُ تَهْوَى مُحَمَّدًا
أَبَا الْقَاسِمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ وَادْعُهُ
فَجِئْتَ لَهُ ضَمًّا وَلِلشَّوْقِ مَا فَعَلَ
وَقُمْ مُنْذِرًا فِي النَّاسِ يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ

○ ○ ○

أَغَارَ حِرَاءٍ فِي خَنَائِكَ مَعْبُدُ
عَلَى ضَيْقِكَ الْبَادِي اتَّسَعَتْ لِمُرْسَلٍ
بِرَبِّكَ قُلْ عَنْ مَوَاطِيءِ أَحْمَدٍ
إِذَا بُعِثَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ تَكُونُ لِي
كَرِيمٌ لَخَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَمُعْتَزَلُ
هَدَايَةِ كُلِّ النَّاسِ مَقْصِدُهُ الْأَجَلُ
أَصْبُ بِهَا دَوْبَ الْجَوَانِحِ وَالْمَقْلُ
شَهَادَةٌ دَمَعٍ عِنْدَ مَوْطِئِهِ الْأَجَلُ

○ ○ ○

أَغَارَ حِرَاءٍ مَا الَّذِي قَدْ أَحَاطَ بِي
أَغَارَ حِرَاءٍ وَقَدْ نُورِكَ مَسْنِي
أَهَازِلَةٌ تَتَابَعْنِي ثُمَّ تَخْتَفِينِي
مِنْ النُّورِ يُلْقِي هِزَّةً فِيَّ مَا اتَّصَلَ
أَحْلُمَا أَرَى أَمْ مَا الَّذِي حَوْلِي اشْتَغَلَ؟
تُدَاعِبُ قَلْبِي أَمْ مِنَ الْحِدِّ مَا هَزَلَ؟

وَيُمْتِعُهُ عَرَفٌ مِنَ الْغَارِ مُخْتَزِلٌ
تَعَلَّقَ صَخْرٌ. إِنَّ فِي الصَّخْرِ مَا عَقْلٌ
وَيَا وَنَحْ قَلْبِي رَفْرَفَ السِّتْرِ وَانْسَدَلْ

كَأَنَّ فُؤَادِي يَرُشِفُ السَّعْدَ وَالْهَنَا
تُرَى هِيَ أَنْفَاسُ الرَّسُولِ بِطَيْبِهَا
أَيَا سَعْدَ قَلْبِي هَا هُوَ السِّتْرُ يَنْجَلِي

(١٩ بيتاً)

بومبي في ٤ ربيع الثاني ١٣٧٢ هجرية

في هذه القصيدة توجيه نظر المؤمن إلى أن الله رقيه وحسيبه، وأنه معه يسمع ويرى، في كلّ أحواله، إن كان في حالة معصية، أو في حالة طاعة، وهي بعنوان:

«إني معكم أسمع وأرى»

إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى

يَا مَنْ هَمَّتُمْ فِي نَادِيكُمْ	إِنَّ الرَّحْمَنَ يُنَادِيكُمْ
إِنْ تَسْتَتِرُوا بِمَعَاصِيكُمْ	أَوْ تَسْتَخْفُوا بِمَسَاوِيكُمْ
إِنِّي مَعَكُمْ	أَسْمَعُ وَأَرَى
يَا مَنْ سَكِرَتْ فِي غُرْفَتِهَا	يَا مَنْ عَيْثَتْ فِي عِفَّتِهَا
يَا مَنْ غَرِقَتْ فِي مُحِيطِهَا	قَالَ الْقَهَّارُ يُبَكِّتُهَا
إِنِّي مَعَكُمْ	أَسْمَعُ وَأَرَى
يَا مَنْ أَرْدَتْهُ شَهْوَتُهُ	وَاسْتَشْرَتْ فِيهِ شَقْوَتُهُ
وَأَوَى تَحْمِيهِ عُضْبَتُهُ	قَالَ الْجَبَّارُ يُبَكِّتُهُ
إِنِّي مَعَكُمْ	أَسْمَعُ وَأَرَى
يَا مَنْ صَلَّى فِي بُنْيَانِهِ	عَبَدَ الرَّحْمَنَ بِأَرْكَانِهِ
تَهْدِيهِ دَوَافِعُ إِيْمَانِهِ	قَالَ الرَّحْمَنُ بِوُجْدَانِهِ
إِنِّي مَعَكُمْ	أَسْمَعُ وَأَرَى
يَا مَنْ زَكَّى يَا مَنْ صَامَا	يَا مَنْ بِالْأَسْحَارِ قَامَا
يَا مَنْ بِالرَّحْمَنِ هَامَا	قَالَ اللَّهُ لَكُمْ إِكْرَامَا
إِنِّي مَعَكُمْ	أَسْمَعُ وَأَرَى
يَا مَنْ فِي تَوْبَتِهِ ضَرَعَا	وَدَعَا وَلِمَوْلَاهُ خَشَعَا
طَلَبَ الْغُفْرَانَ لِمَا صَنَعَا	يَدْعُوكَ الْمَوْلَى: زِدْ طَمَعَا
إِنِّي مَعَكُمْ	أَسْمَعُ وَأَرَى

بومبي في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٧٢ هجرية

(١٢ بيتاً)

تعرّضت لمزعجات قاسيات، فلم أجد ملجأً إلّا إليه إلّا الخلوة برربي،
والسعادة بمناجاته، والدّل في أعتابه، ودعائه بتضرع وانكسار.

وحضر في تصوري أن يوسف عليه السلام، ما وصل إلى ما وصل إليه من
مجد عظيم إلّا بعد حسدٍ من إخوته، وإلقائهم إياه في الجبّ المظلم الموحش
المخيف، وبعد استرقاق، وفتنة من قبل امرأة العزيز، وسجن بتهمة كاذبة.

ومع هذه الخواطر في الخلوة السعيدة، كتبت هذه القصيدة، بعنوان:

«سعادة القلب في مناجاة الربّ»

وكان ذلك في ربيع الثاني من سنة ١٣٩٠ هجرية.

سعادة القلب في مناجاة الرب

أَجَلُ سَعَادَتِي عِلْمٌ وَتَقْوَى
وَحَيْرٌ مَبَاهِجِ الدُّنْيَا لِنَفْسِي
إِذَا نَادَيْتُ يَا رَبِّي أَجْبَنِي
أَأْطَمَعُ أَنْ يُغَلِّقَنِي رِضَاهُ
أَكُونُ لَدَيْهِ سَاعَاتٍ فَرِيداً
أَعْي أَنْسِي بُنُورَ اللَّهِ حِيناً
أُنَادِيهِ وَأَدْعُوهُ بِذُلِّ
وَيَغْمُرُنِي الْخُشُوعُ فَمَا أَبَالِي
أَقْطَعُ عَنْهُ أَسْبَابَ اتِّصَالِي
وَمَنْ لَمْ يَتَّصِلْ بِاللَّهِ حِيناً
فَلَا اللَّذَاتُ تُسَعِّدُ مِنْهُ رُوحاً



لَئِنْ كَثُرَتْ ذُنُوبِي فِي حَيَاتِي
مَتَى صَدَقَ الْمَتَابُ بِذُلِّ نَفْسِي
وَلِلْإِيمَانِ خَيْرَاتٌ حِسَانُ
وَأَكْرَمُ مُسْعِدٍ يَحْوِيهِ قَلْبُ
إِذَا بَصَرَ الْفُؤَادُ بِمَنْ بَرَاهُ
وَيَسَعِدُ ذُو السَّعَادَةِ حِينَ يَرْضَى

فَلِي مِنْ عَفْوِهِ أَمَلٌ رَحِيبُ
غَدَا ذُو الذَّنْبِ لَيْسَ لَهُ ذُنُوبُ
نَدِيَّاتُ وَإِنْ فَقَدَ الرِّطِيبُ
رِضاً يَغْذُوهُ إِيْمَانٌ وَطِيبُ
أَتَتْهُ سَعَادَةٌ لَيْسَتْ تَغِيبُ
وَإِنْ كَثُرَتْ بِسَاحَتِهِ الْخُطُوبُ

(١) الوجيب: الخفقان، ووجيب القلب خفقانه.

يُعْطِي وَجْهَهَا الْقَدْرُ الْعَجِيبُ
وَكَانَ طَرِيقَهَا الْجُبُّ الرَّهِيبُ
وَلَيْسَ لَهُ مِنَ التَّقْوَى نَصِيبُ
كَوْنُهُ فِي لَوَاذِعِهَا الْكُرُوبُ
وَأَمْتَعُ مَا بِهَا كَزُّ جَدِيبُ

○ ○ ○

وَيَأْتِي دُونَهَا الْأَجَلُ الْقَرِيبُ
فَيَطْرَحُهَا وَيَنْطَفِئُ اللَّهِيْبُ
إِلَى دَارٍ بِهَا الْخَيْرُ الْخَصِيبُ
وَحَيْثُ إِلَيْهِ ذُو التَّقْوَى يَوُوبُ

يَرَى الْحَكَمَ الْجَلِيلَةَ مُشْرِقَاتٍ
أَمَّا أَمْجَادُ يُوسُفَ شَاهِدَاتٍ
وَيَشْقَى مَنْ تُعَذِّبُهُ الْأَمَانِي
إِذَا هُوَ لَمْ يُحَقِّقْ مَا تَمْنَى
وَكَمْ تَهْفُو النُّفُوسُ لِمُغْرِبَاتٍ

أَمَانِي النَّفْسِ لَيْسَ لَهَا حُدُودُ
فَيَجْتَنُّ الْمُنَى سَيْفُ الْمَنَابَا
عَدَا مَنْ جَازَتْ الدُّنْيَا مُنَاهُ
إِلَى حَيْثُ الْخُلُودُ بِفَضْلِ رَبِّي

(٢٦ بيتاً)

مكة المكرمة - أواخر شهر ربيع الآخر سنة ١٣٩٠ هجرية

في موسم حجّ عام ١٣٩٤ هجرية، وفي ظروف أحداث الأمة الإسلامية القاسيات، ازدحمت خواطر كثيرة حول عبادة الحج، والجهاد في سبيل الله، والأمة الإسلامية المظفرة في غابر عصورها، والمآسي التي نكتوي الآن بنارها، وآمال الخلاص، وشروط الرجعة إلى إيماننا وإسلامنا الصحيح، وتمخّض الشعر فولد هذه القصيدة، بعنوان:

«نفحات من الموسم العظيم»

وجاء فيها إلماح لحرب رمضان التي استرجعنا فيها القنال وشيئاً من سيناء من دولة إسرائيل التي استولت عليها في حرب حزيران ١٩٦٧ ميلادية. وأشير إلى أنني أجريت فيها هنا تعديلات، وحذفت منها بعض الأبيات. وقد سبق أن أنشدتها في جموع من أعيان الحجاج بمبنى رابطة العالم الإسلامي في منى.

نفحات من الموسم العظيم

فِي رَحَابِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَفُودُ
سَادَةِ مُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ
أُمَّةٌ مُؤْمِنُونَ سَادُوا جَمِيعاً
إِخْوَةٌ شَدَّهِمْ إِلَى اللَّهِ حَبْلُ
كُلُّ قَلْبٍ لِلَّهِ أَسْلَمَ فِيهِ
سَادَةُ مُسْلِمُونَ بِيضٌ وَسُودُ
قَدْ تَسَاوَوْا فَلَيْسَ فِيهِمْ مَسُودُ
إِذْ هُمُو فِي رَحَابِ رَبِّي عَيْدُ
هُوَ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى مَمْدُودُ
سَبَبٌ مِنْهُ نَاطِمٌ مَعْقُودُ

○ ○ ○

فِي رَحَابِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ صَلَاةُ
فِي رَحَابِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ لِقَاءُ
هَهْنَا مِنْ فُيُوضِ رَحْمَةِ رَبِّي
هَهْنَا الْأَمْنُ. هَهْنَا نَفَحَاتُ
وَطَوَافٌ وَمَنْسَكٌ مَحْسُودُ
أَخَوِي مُحَبَّبٌ مَحْمُودُ
هَاطِلَاتٌ وَمَنْبَعٌ مَوْرُودُ
كُبْرِيَاتٌ بِالْمُسْعِدَاتِ تَجُودُ

○ ○ ○

فِي صَعِيدِ الدُّعَاءِ فِي عَرَفَاتٍ
هَهْنَا تُسَكَّبُ الدُّمُوعُ بِذُلٍ
لَهَوَاتُ تَجَارُنُ: لَبَّيْكَ رَبِّي
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالرَّضَى وَالْجُودُ
هَهْنَا يَعْذُبُ الْخُضُوعُ الرَّشِيدُ
أَنْتَ أَنْتَ الْمَدْعُو وَالْمَعْبُودُ

○ ○ ○

فِي سَنَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بَلِيلٍ
فِي مَسِيرِ الْحَجَّاجِ هَامَتْ قُلُوبُ
طَابَ ذِكْرُ الرَّحْمَنِ وَالتَّرْدِيدُ
وَعُيُونٌ وَأَدْمَعٌ وَحُسُودُ

○ ○ ○

فِي مَنَى - وَالْمَنَى تَرَاحَمْنَ - عِيدُ
هُوَ لِلْعُمْرِ وَالْمَنَى تَجْدِيدُ

مَنْ أَتَاهَا فِي حَجَّةٍ بَرٍّ فِيهَا
مُسِحَتْ صَفْحَةُ الْمَعَاصِي لَدَيْهِ
فُرْصَةٌ فِي الزَّمَانِ مَنْ يَهْتَبِلَهَا

○ ○ ○

فَهُوَ مُسْتَأْنَفُ الْحَيَاةِ وَلِيدٌ
وَأَتَى عُمْرُهُ النَّقِيُّ الْجَدِيدُ
فَهُوَ فِي الْعُمْرِ غَانِمٌ وَسَعِيدٌ

فِي مَنَى فَرَحَةُ الْقُلُوبِ الرَّوَاضِي

○ ○ ○

بِرِضَى رَبِّهَا وَفِيهَا الْجُدُودُ^(١)

الْأَضَاحِي رَمَزُ النُّفُوسِ كِرَاماً
هِيَ طُعْمٌ لِلْبَائِسِينَ. وَفِيهَا
هِيَ طَهْرٌ لَأَنْفُسٍ بَازِلَاتٍ

○ ○ ○

وَهِيَ لِلَّهِ بِالْغَوَالِي تَجُودُ
رُبَّمَا أَزْدَانٌ بِالشَّهِي الْعَيْدُ
وَهِيَ بِرُّ ثَوَابُهُ مَمْدُودُ

ذَكَرْتَنِي هَذِي الْأَضَاحِي بِأُخْرَى
بِنُفُوسٍ عَلَى الثُّغُورِ اسْتَعَدَّتْ
كُلُّ أَشْوَاقِهَا بَوَاعِثُ بَأْسٍ
قَدْ دَعَاهَا دَاعِي الْجِهَادِ فَلَبَّتْ
لَوْ حَوَتْ فَوْقَ عُمْرِهَا بَذَلَتُهُ
بِاذِلِ الْعُمْرِ غَايَةَ الْوُسْعِ أَعْطَى
يَمْلِكُ الْعِزَّمَ لَا يُمْكِنُ خِصْماً
هُمُومِي فِي بَأْسِهِ حَرِيصٌ وَلَكِنْ
مَنْ يَكُنْ يَبْذُلُ الْحَيَاةَ لِيَرْضَى
تَتَلَقَّاهُ بِالنَّعِيمِ جَنَانٌ
مَا تَمْنَى الرَّجْعَى لِيُقْتَلَ أَيْضاً
هُوَ حَيٌّ فِي بَرْزَخٍ لَا نَرَاهُ

ذَاتِ جُودٍ مَا مِثْلُهُ الدَّهْرَ جُودُ
لِلِقَاءِ بِالرُّوحِ فِيهِ تَجُودُ
لِلِقَاءِ الْعِدَا وَعَزْمٌ شَدِيدُ
وَأَرَادَتْ مَا الدِّينُ مِنْهَا يُرِيدُ
فَلَدَيْهَا مِنَ الْعَطَاءِ مَزِيدُ
وَلِهَذَا فَهُوَ الشَّهِيدُ السَّعِيدُ
مِنْهُ إِلَّا إِذَا أَرَادَ الْمُرِيدُ
يَطْلُبُ الْمَوْتَ حِينَ يَرْضَى الْمَجِيدُ
رَبُّهُ عَنْهُ فَالرَّضَى الرَّشِيدُ
وَحَسَانٌ وَمُسْعِدٌ وَرَغِيدُ
ثُمَّ أَيْضاً إِلَّا السَّعِيدُ الشَّهِيدُ
إِنَّ إِدْرَاكَ حِسِّنَا مَحْدُودُ

(١) الْجُدُودُ: جمع مفردُهُ جَدٌّ، وهو الحظُّ.

هُوَ حَيٌّ يَقْتَاتُ مِنْ ثَمَرَاتِ
نَبَأٍ جَاءَ فِي الْكِتَابِ صَرِيحُ
وَأَتَى شَرْحُهُ بِقَوْلِ رَسُولِ

○ ○ ○

الشُّجَاعُ الرَّشِيدُ يُصْمِي^(٢) وَيُنْكِي
يَقْذِفُ الرُّعْبَ لِلْعَدُوِّ فَيُوْهِى
لَيْسَ يَأْتِي إِلَى الرَّدَى دُونَ كَيْدٍ

○ ○ ○

كُلَّمَا عَادَ فَيَلْقُ النَّصْرَ قُلْنَا:
هُوَ مَا نَرْتَجِيهِ فِي كُلِّ حَرْبٍ
كَفَلَ اللَّهُ أَنْ يُمَدَّ بِنَصْرِ
لَمْ نُحَارِبْ بِهِذِي ذِي الْعَرْشِ إِلَّا
لفظة «اللَّهِ» وَحْدَهَا نَصَرْتَنَا
فِي الْقَرِيبِ الْقَرِيبِ شَاهِدُ صِدْقِ^(٣)
كَيْفَ لَوْ نُنْصِرُ الْإِلَٰهَ بِصِدْقٍ

○ ○ ○

فِي مَنَى مَنَسْكَ عَجِيبٌ وَلَكِنْ
مَنَسْكَ نَرْجُمُ الشَّيَاطِينَ فِيهِ
مِثْلَمَا نَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ. نَرْمِي

(١) هو قول الله عز وجل في سورة (آل عمران): ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾ (١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٧٠) ﴿﴾.

(٢) يُصْمِي: يَرْمِي فَيَقْتُلُ مَنْ رَمَاهُ فِي مَكَانِهِ.

(٣) إشارة إلى حرب رمضان التي استرجعنا فيها قناة السويس من دولة إسرائيل.

وَكِلَا الْمَظْهَرَيْنِ عَبْرَ عَمَّا
لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِأَخِذِ
أَمَنِ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ رَبًّا
وَأَحْبُوهُ وَاسْتَذَلُّوا أَنْفُسًا
وَاسْتَجَابُوا لِهُدْيِهِ وَدَعَوْهُ

وَالشَّيَاطِينُ قَادَةُ الشَّرِّ كُلِّ
هُمُ عَدُوٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا
كَرِهَ الْمُؤْمِنُونَ كُلَّ لَعِينٍ
فَقَالُوا رَجُمُ الْحَصَى فَتَنَاهَى
فَهُوَ فِعْلٌ مُعَبَّرٌ عَنْ مَعَانٍ

فِي مَنَى فَرَحَةٌ وَأَكْلٌ وَشُرْبٌ
فِي مَنَى فَرَحَةٌ التَّهَانِي بِنُسْكَ

يَا أَخِي الْأَسْوَدَ الَّذِي أَنْتَ مِسْكٌ
يَا أَخِي الْأَحْمَرَ الَّذِي أَنْتَ وَرْدٌ
يَا أَخِي الْأَبْيَضَ الَّذِي أَنْتَ زَهْرٌ
يَا أَخِي الْأَصْفَرَ الَّذِي أَنْتَ شَمْسٌ
يَا أَخِي الْأَسْمَرَ الَّذِي أَنْتَ طَوْدٌ
أَنْتَ إِنْ تَنْصُرِ الْإِلَاهَ بِصِدْقٍ
أَنْتَ أَنَّى أَقَمْتَ فِي أَرْضِ رَبِّي
كُلُّ فَرْعٍ لَنَا عَلَى أَيِّ أَرْضٍ

يَحْتَوِيهِ إِيْمَانُنَا الْمَحْمُودُ
وَبَرِدٌ فَالْبَاطِلَاتُ رُدُودٌ^(١)
فَهُوَ فِيهِمْ لَا غَيْرُهُ الْمَعْبُودُ
لِعُلَاهُ فَهُوَ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ
هُوَ أَنَّى تَوَجَّهُوا الْمَقْصُودُ

مِنْهُمْ مُفْسِدٌ وَبَاغٍ مَرِيدٌ
لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا اللَّعِينُ الطَّرِيدُ
فَاسْتَعَاذُوا بِاللَّهِ مِمَّا يَكِيدُ
عِنْدَ هَذَا إِعَادُهُ الْمَقْصُودُ
ضَمَّهَا فِي الشَّهَادَةِ التَّوْحِيدِ

وَمَبِيتٌ وَمُلْتَقَى فِيهِ عِيدٌ
فِي نَدَاهُ ابْيَضَّتْ صَحَائِفُ سُودٍ

فَبَيَاضُ الْإِسْلَامِ فِيكَ يَسُودُ
فَجَمَالُ الْإِيمَانِ فِيكَ الْحَمِيدُ
لَوْ أَنَّ تَقَوَّاكَ لَوُنُكَ الْمَحْمُودُ
نُورٌ إِيْمَانِكَ السَّنَى الْمَمْدُودُ
لَكَ مِنْ دِينِكَ الْمَقَامُ الْوَطِيدُ
وَتَبَاتٍ عَنْتَ إِلَيْكَ الصَّيْدُ
صَنُوءُ نَفْسِي النَّصِيرُ وَالْمُودُودُ
هُوَ فَرْعٌ مَعَ اتِّصَالٍ مَدِيدُ

(١) رُدود: أي مردودة. من استعمال المصدر بمعنى اسم المفعول، كقول الرسول ﷺ: «كلُّ ما ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ» أي: مردود.

أَصْلُنَا غَرْسَةَ السَّمَاءِ وَسُقْيَا
جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا فِي إِخَاءٍ
نَحْنُ طَوْدٌ مِنَ التَّآخِي رَفِيعُ
مَنْ يُرْدَهُ بِالسُّوءِ ظُلْمًا وَبَغْيًا
مِشْعَلُ النُّورِ فِي يَدَيْنَا كِتَابُ
رَاوَدْتُهُ بِالنَّفْخِ أَفْوَاهُ مَكْرٍ

○ ○ ○

فِي مَنَى نَسْتَعِيدُ ذِكْرِي لِقَاءِ
دَوْلَةِ الْحَقِّ فِي مَنَى أَسَسَتْهَا
بَيْعَةُ النَّصْرِ بَيْعَةُ شَهَدَتْهَا
بَيْعَةُ أَسَسَتْ وَزَادَتْ نَدَاهَا
بَيْعَةُ الْمُصْطَفَى وَيَثْرَبَ تَمَتْ
وُلِدَ النَّصْرُ بَعْدَهَا وَفُتُوْحُ
أَسَسَتْ دَوْلَةَ الْكِتَابِ لِتَرْعَى
فَإِذَا الدَّوْلَةُ الْفَتِيَّةُ طَوْدُ
ظَلُّهُ أَمْتَدَّ فِي الْعَوَاصِمِ حَتَّى
وَسُفُوْحُ لَهُ تَطَاوَلْنَ شَرْقًا
ثُمَّ زَادَتْ فَالْسَفْحُ فِي الْأَمْسِ طَوْدُ
وَمَشَى نُورُ دَوْلَةِ الْحَقِّ يَهْدِي

○ ○ ○

مُبْتَدَا النَّصْرِ بَيْعَتَانِ وَلَكِنْ
إِنْ كَبَوْنَا بِتَرْكِ نَهْجِ عَلَانَا

ذَلِكَ الْغَرْسِ دِينَ رَبِّي الْفَرِيدُ
نَحْنُ جِسْمٌ لَمْ تَحْتَسِبْهُ حُدُودُ
رَاسِخُ الْأَصْلِ مُثْمَرٌ وَشَدِيدُ
فَسِيرَتُهُ قَرْنُهُ مَحْصُودُ
هُوَ فِي أَرْضِنَا الْكِتَابُ الْمَجِيدُ
خَائِبَاتُ أَصْحَابُهُنَّ قُرُودُ

أَمْرُهُ - مَا مَضَى الزَّمَانُ - جَدِيدُ
بَيْعَةُ النَّصْرِ، وَالْحُشُودُ رُقُودُ
وَهْدَةٌ فِي مَنَى جَلَاهَا الْخُلُودُ
عَنْ مَدَاهَا وَالْخَيْرُ نَامٍ يَزِيدُ
فِي مَنَى فَاسْتَقَامَ أَمْرُ رَشِيدُ
وَتَوَالَتْ إِلَى الضِّيَاءِ الْوُفُودُ
بِاسْمِ رَبِّ الْعِبَادِ وَهُوَ شَهِيدُ
شَامِخُ الْمَجْدِ ظَلُّهُ مِمْدُودُ
نَاطِحُ الْمَشْرِقَيْنِ وَهُوَ وَطِيدُ
ثُمَّ غَرْبًا وَبِالْعَطَاءِ تَزِيدُ
فِي ضَحَى الْيَوْمِ وَالْمَزِيدُ مَزِيدُ
فَإِذَا الْأَرْضُ جُلُّهَا تَوْحِيدُ

○ ○ ○

خَبَرُ الْمُبْتَدَا شُمُوحُ فَرِيدُ
لَمْ يَفْتَنَّا تَوَثُّبٌ وَصُعُودُ

بدأ كثير من شبابنا وشيوخنا وكهولنا يردّدون كلمات تشعر بوصولهم إلى مرحلة اليأس من الخلاص بعد توالي النكبات، وتراكم الخائبات من الآمال، وضياح الأعمال التي كانت مناط الرجاء.

وغفل هؤلاء اليائسون عن السبب الحقيقي لذلك كلّ، وهو أننا لم نسلك بُعد طريق الخلاص، ولم نأخذ بالأسباب الصحيحة للنجاة مما نحن فيه، فطريق الخلاص هو عودتنا لمنهج كتاب الله وسنة رسوله المصطفى ﷺ، والأسباب الصحيحة للنجاة هي اتباع سنن الله التكوينية في الخلق، وسنن الله التشريعية في الدين.

ورأيت أن خطبنا بحلول اليأس في كثير من أمتنا هو أجل الخطوب وأكبرها، وفي التعبير عن ذلك كتبت هذه القصيدة بعنوان:

«اليأس أكبر خطوب الشعوب»

اليأس أكبر خطوب الشعوب

لَا تَسْلِنِي عَنْ هُمُومِي لَا تَسْلُ
لَا تَقُلْ لِي: أَيُّ شَيْءٍ قَدْ حَصَلَ؟
مِنْ صُرُوفٍ فَوْقَ مَا قَدْ يُحْتَمَلُ

○ ○ ○

لَا تَقُلْ لِي: أَيُّ دَاءٍ قَدْ نَزَلَ؟
أَيُّ خَطْبٍ هُوَ فِي الدَّهْرِ جَلَلٌ؟
وَابِلٌ مِنْهُ تَوَالِي بَعْدَ طَلٍّ
فِي بِلَادِ الشَّمْسِ وَالْخُضْرَةِ حَلٍّ
فِي بِلَادِي نَبْعِ أَمْجَادِي الْأَوَّلِ
حَيْثُ مَثَوَى كُلِّ نَجْمٍ وَبَطْلٍ
قَلْعَةِ الْقُرْآنِ وَالْدِّينِ الْأَجَلِّ

○ ○ ○

لَا تَقُلْ لِي: أَيُّ دَاءٍ قَدْ نَزَلَ
فِي دِيَارِي وَبِقُومِي لَا تَقُلْ
فِي رُبُوعِي. حَيْثُ سَهْلٌ وَجَبَلٌ
حَيْثُ مَاءٌ. حَيْثُ شَمْسٌ. حَيْثُ ظِلٌّ
حَيْثُ ظَبْيٌ. حَيْثُ صَقْرٌ وَجَمَلٌ
حَيْثُ بُنْيَانٌ عَلَا. حَيْثُ طَلَلٌ

حَيْثُ قَصْرٌ وَصَنَادِيدُ تُجَلٍّ^(١)
 حَيْثُ سُوقٌ وَصَعَالِيكَ تُذَلِّ
 فِي الْخَبَايَا. فِي الرَّوَابِي، فِي الْقُلَلِ
 أَيْنَ تَلْقَى مَسْجِدًا. أُنَى تُطَلِّ
 حَيْثُ تَلْقَى بَشْرًا. حَيْثُ تَجَلِّ
 أَيْنَ يَمُمْتَ إِلَى أَقْصَى مَحَلِّ

○ ○ ○

لَا تَقُلْ لِي: كَمْ عُثُورٍ. كَمْ زَلَلٍ
 كَمْ هُبُوطٍ. كَمْ سُقُوطٍ. كَمْ خَطَلٍ
 كَمْ تَرَى مِنْ خَيْبَةٍ بَعْدَ عَمَلٍ
 كَمْ تَرَى مِنْ نَكْسَةٍ بَعْدَ أَمَلٍ
 وَلَكُمْ نَجْمٌ رَجَوْنَا فَأَقْلُ

○ ○ ○

لَا تَقُلْ لِي: مَا بِقَوْمِي مِنْ عِلَلٍ
 مَا بِتَرْكِيْبِ بِلَادِي مِنْ خَلَلٍ
 وَفُلَانٌ فِي الْخَبَايَا كَمْ فَعَلُ
 كَمْ خَبِيْثٍ مُفْسِدٍ فِينَا أَضَلُّ
 وَفُلَانٌ عَنْ جِمَى الدَّارِ ارْتَحَلُ
 وَفُلَانٌ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ ضَلُّ
 وَزَعِيمٌ كَمْ تَجَنَّى وَأَخْلُ
 وَزَعِيمٌ فِي يَدَيْهِ أَلْفُ غُلٍّ
 وَرَّئِيسٌ كَمْ تَعَدَّى وَقَتْلُ
 وَرَعَانَا الذِّئْبُ فِي جِلْدِ حَمَلُ

(١) الصنديد: السيد الشجاع.

وَأَتَى الْخَائِنُ فِي ثَوْبٍ بَطَلٌ
وَأَصَابَ النَّاسَ مِنْ كَدِّ كَلَلٍ

○ ○ ○

لَا تَقُلْ لِي: كُلُّ هَذَا قَدْ حَصَلَ
فَجَوَابِي لَكَ عَنْ هَذَا: أَجَلُ
بَيْدٍ أَنَّ الْخَطْبَ أَذْهَى وَأَجَلُ
كُلِّ خَطْبٍ وَلَوْ اشْتَدَّ وَجَلُ
رُبَّمَا هَانَ وَمَا اجْتَثَّ الْأَمَلُ
وَلَهُ بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ حَلٌّ
غَيْرَ خَطْبِ الْيَأْسِ إِنْ حَلَّ قَتَلَ
وَفَرَى الْعَزَمَ وَأَرْدَى وَأَذَلَّ
شَرُّ مَا فِي الْخَطْبِ أَنَّ الْيَأْسَ حَلٌّ
فَدَهَى النَّاسَ مِنَ الْيَأْسِ شَلٌّ
وَرُكُودٌ وَذُهُولٌ وَخَبَلٌ

○ ○ ○

سَبَبُ النُّكْبَةِ يَا مَنْ قَدْ عَقَلَ
أَنَّ دِينَ اللَّهِ عُودِي وَعُزِلُ
وَفَتَاهُ الصِّدْقُ أَقْصَى أَوْ قُتِلَ
وَعَدَا الْإِسْلَامُ رَسْمًا دُونَ ظِلٍّ
وَكَلَامًا مَا لَهُ فِينَا عَمَلٌ
هَذِهِ النُّكْبَةُ وَالْخَطْبُ الْجَلَلُ

○ ○ ○

وَمَتَى عُدْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ هَلْ

قَمَرُ الْبُشْرَى بِتَحْقِيقِ الْأَمَلِ
وِظْلَامِ الْيَأْسِ وَلَّى وَارْتَحَلَ
وَأَتَى الْغَيْثُ بِخَيْرٍ وَهَمَلُ
وَأَتَى النَّصْرُ بِبَذْلِ وَعَمَلِ
وَأَتَى رِضْوَانُ ذِي الْعَرْشِ الْأَجَلِ
وَاسْتَعَدْنَا مَجْدَنَا فَوْقَ الْقُلَلِ

مكة المكرمة في ربيع الثاني سنة ١٣٩٨ هجرية

(٦٣ بيتاً)

دعيت إلى المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الذي دعت إليه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حرسها الله، والذي انعقد بعد تأجيل مواعده الأول، خلال المدة من يوم الثامن والعشرين إلى الثلاثين من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٤ هجرية، وقد أعددت له بحث «الأمة الربانية الواحدة» إذ كان الموضوع الأكبر لهذا المؤتمر بحث «التضامن الإسلامي»، وهذا البحث نشرته في كتاب مستقل.

وفي اليوم الأول من أيام انعقاد المؤتمر المذكور نظمت هذه القصيدة، بعنوان

«الأمة الإسلامية الواحدة»

وكان لي رغبة في أن أجد فرصة لإلقائها في المؤتمر، لكنّ هذه الفرصة لم تتيسر، وهذه هي مع بعض التعديلات.

الامة الإسلامية الواحدة

سَائِلِي عَنْ أُمَّتِي أُمَّتِي خَيْرُ الْأُمَمِ
كُلُّ مَنْ أَسْلَمَ صِدْقاً هُوَ مِنْهَا لَا جَرَمَ
أُمَّتِي ذَاتُ ضِيَاءٍ وَإِبَاءٍ وَشَمَمٍ
هِيَ كَالْأَنْجَمِ فَوْقَ الْأَرْضِ بَتْ مُنْتَظَمِ
فَنِظَامِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهَا ضَمَّ وَعَمَّ

○ ○ ○

أُمَّتِي ذَاتُ ضِيَاءٍ وَإِبَاءٍ وَشَمَمٍ
عِقْدُهَا - مَا اُمْتَدَّ فَوْقَ الْأَرْضِ - عِقْدُ مُلْتَمِ
مَا تَرَامَى مِنْهُ فِي نَا ئِي بِلَادٍ أَوْ فُصْمِ
فَهُوَ مَوْصُولٌ بِعِرْقٍ جَذْرُهُ قَلْبُ الْحَرَمِ
وَلَهُ فِي الْكَعْبَةِ الْغُرَاءِ أَزْكَى مُلْتَزَمِ

○ ○ ○

أُمَّتِي ذَاتُ ضِيَاءٍ وَإِبَاءٍ وَشَمَمٍ
ذَاتُ دُسْتُورٍ بِهِ أَهْدَى الْهُدَى أَسْمَى الْكَلِمِ
هُوَ تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ بِهِ الْخَيْرُ الْأَعْمِ
هُوَ حَبْلٌ مَنْ بِهِ اسْتَمْسَكَ بِاللَّهِ اغْتَصَمَ
ذَاتُ دِينٍ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ عَرَبٍ وَعَجَمِ
لَمْ يُفْضَلْ بَيْنَ أَعْرَاقٍ وَالْوَانِ النَّسَمِ
كُلُّهُمْ فِي مَصْدَرِ الْخَلْقِ سَوَاءٌ فِي الْقِيَمِ

وَسَوَاءٌ فِي انْتِمَاءٍ وَسَوَاءٌ فِي الذِّمِّ
وَمَجَالِ السَّبْقِ بِالتَّقْوَى وَمَبْدُولِ الْهِمِّ
كُلُّهُمْ مِنْ آدَمٍ وَالْجِسْمُ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٌ
أَصْلُهُ الْأَرْضُ وَيَنْحَلُّ لَهَا بَعْدَ الرِّمِّ (١)

○ ○ ○

دِينَهَا الْإِسْلَامُ لِلْخَالِقِ رَحْمَانِ الْأُمِّ
مَنْ إِلَيْهِ الْخَلْقُ فِي أَكْوَانِهِ مِنْذُ الْقَدَمِ
هُوَ رَبُّ خَالِقٍ يَخْلُقُ مِنْ بَحْرِ الْعَدَمِ
فَلَهُ الْأَمْرُ جَمِيعاً وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ الْأَعَمِّ
فَمَنْ اسْتَعَصَمَ بِاللَّهِ بِتَقْوَاهُ التَّزَمَ
مَلِكُ الْعَيْشِ رَضِيّاً وَخُلُوداً فِي النَّعَمِ
وَمَنْ اسْتَكْبَرَ عَنْ طَاعَتِهِ بَاءَ بِذَمِّ
عَاشٍ فِي ذُنْيَاهُ لَا يَخْرُجُ مِنْ هَمٍّ وَغَمٍّ
وَهُوَ فِي الْأُخْرَى شَقِيٌّ بِهَوَانٍ وَالْمُ

○ ○ ○

أُمِّي مَبْدُوهَا الْحَقُّ وَتَحْطِيطُ الصَّنَمِ
أُمَّةٌ تَحْمِي الْهُدَى أُمَّةٌ تَرَعِي الذِّمِّ
أُمَّةٌ مِنْهَجُهَا الْعَدْلُ وَقُدْسِيُّ الْقِيَمِ

○ ○ ○

أُمِّي الْآلَةُ فِيهَا سَيْفُ عَدْلِ وَقَلَمِ
وَأَخِي فِيهَا أَخِي الْمُسْلِمُ مَا شَطَّ (٢) الرَّجَمِ

○ ○ ○

(١) الرِّمِّ: جمع مفردة «رِمة» وهي العظام البالية.

(٢) شَطَّ: بَعْدَ.

أُمِّتِي فِي كُلِّ أَرْضٍ أَنْتُمُو خَيْرِ الْأُمَمِ
فَاجْمَعُوا أَشْتَاتَ أَنْهَارِكُمْ فِي غَمْرِيَمَ
تَنْشُرُوا الْخَيْرَ الْأَعَمَّ تَبْلُغُوا الْعِزَّ الْأَشَمَّ
وَتَكُونُوا سَادَةَ الدُّنْيَا وَفُرْسَانَ الْقِمَمِ

(٣٩ بيتاً)

المدينة المنورة في ٢٨/٣/١٤٠٤ هجرية

هذه القصيدة تعالج تمزّق الأمة الإسلامية إلى أجزاء شتّى فكرية، وعنصرية، وإقليمية، وغيرها، وتشير إلى بعض أسباب هذا التمزّق، وهي الأسباب التي ولّدها في هذه الأمة كيد أعدائها من الغرب والشرق.

وكنّت نشرتها في جريدة «أخبار العالم الإسلامي» التي تصدرها «رابطة العالم الإسلامي» في عددها (٣٨٤) الصادر في يوم الاثنين غرة رجب ١٣٩٦ هجرية بعنوان:

«قصة مأساة أمّتي»

وفي بيان هذه القصة دعوة إلى استبصار مكاييد الأعداء، ومعرفة بعض أسباب الداء، وتوجيه للأخذ بأسباب العودة إلى وحدة الأمة الإسلامية، واستعادة مركز القيادات والسيادة في العالم، واغتنام مرضاة الله. وهذه هي مع بعض إضافات.

قِصَّةُ مَأسَاةِ أُمِّي

أُمِّي كَانَتْ عَلِيَّةً وَعَلَى الْبَاغِي عَصِيَّةٌ
 عَالَمِي كَانَ سَمَاءً وَنُجُوماً دُرِّيَّةً
 عَالَمِي كَانَ جَنَاناً وَشُعُوباً مَدَنِيَّةً
 وَحُصُوناً وَقِلَاعاً وَبِلَاداً حَضْرِيَّةً
 عَالَمِي كَانَ كَمَا يَكْرَهُ أَعْدَاءُ الْبَرِيَّةِ
 عَالَمِي كَانَ عُلُوماً وَعِبَادَاتٍ سَنِيَّةً
 وَقُصُوراً شَامِخَاتٍ وَعَطَافَاتٍ سَخِيَّةً

○ ○ ○

أُمِّي فِي عَصْرِهَا الْحَاضِرِ قَدْ عَاشَتْ غَبِيَّةً
 وَهِيَ فِي أَفْرَادِهَا الْأَشْتَاتِ أَشْتَاتٌ ذَكِيَّةً
 إِنَّهَا لَمْ تَنَعِدْ مِنْهَا أَصُولُ الْعَبْقَرِيَّةِ
 غَيْرَ أَنَّ الْإِثْمَ وَالتَّشْتِيتَ أَسْبَابُ الْبَلِيَّةِ

○ ○ ○

أُمِّي مِنْ بَعْدِ طُولِ النَّوْمِ صَارَتْ غَفْلَوِيَّةً^(١)
 صَدَّقَتْ كُلَّ خِدَاعٍ مِنْ غَوِيٍّ وَغَوِيَّةٍ
 صَدَّقَتْ مَا قَالَهُ الذِّئْبُ لَهَا وَهِيَ عَلِيَّةٌ

(١) غَفْلَوِيَّة: أي منسوبة إلى الغفلة، وعدم استبصار أعدائها.

فَاسْتَكَانَتْ لِخِذَاعِ الذِّئْبِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ
نَزَلَتْ مِنْ حِصْنِهَا الْعَالِي إِلَى أَرْضِ دَنِيَّةٍ
لِتَرَى مَاذَا لَدَى النَّاسِ صَحَّحَ مِنْ دُنْيَا هَنِيئَةٍ

○ ○ ○

تَرَكْتُ أَبْوَابَهُ مَفْتُوحَةً حَتَّى الْعَشِيَّةِ
فَلَهْتُ فِي سَاحَةِ الذِّئْبِ سُوءَاتٍ طَرِيَّةٍ

○ ○ ○

ثُمَّ جَاءَ الذِّئْبُ فَاَنْقَضَ بِأَنْيَابِ قَوِيَّةٍ
وَرَأَى إِسْلَامَهَا سِرًّا فَوَاهَا الْأَبْدِيَّةُ
وَكَتَابَ اللَّهُ يَهْدِيهَا بِرُوحِ أَرْزَلِيَّةٍ
وَرَأَاهَا أُمَّةً وَاحِدَةً لَا عُنْصُرِيَّةٍ
عَقَدَ الدِّينَ عُرَاهَا فَالْتَقَتْ فِي الْعَالَمِيَّةِ
بِصَلَاتٍ عَقْدِيَّةٍ وَصِلَاتٍ أَخَوِيَّةٍ
شَدَّهَا اللَّهُ إِلَيْهِ وَرَعَاهَا فِي الْبَرِيَّةِ
وَحَمَاهَا مِنْ أَعَادِيهَا قُرُونًا ذَهَبِيَّةٍ
وَحَبَاهَا النَّصْرَ وَالتَّأْيِيدَ مُذْ كَانَتْ فَتِيَّةٍ

○ ○ ○

نَظَرَ الذِّئْبُ إِلَيْهَا وَتَمَادَى فِي الرُّوِيَّةِ
أَمْعَنَ الْفِكْرَ تَقْصَى كُلِّ أَطْرَافِ الْقَضِيَّةِ

○ ○ ○

كَيْفَ يَنْقُضُ عَلَيْهَا؟ كَيْفَ يَرْمِيهَا ضَحِيَّةً؟
كَيْفَ تُمْسِي بِخَيْثِ الْمَكْرِ لُقَمَاتِ هَنِيَّةٍ؟

○ ○ ○

فَرَأَى تَقْسِيمَ أَوْصَا لَهَا بِالْجَاهِلِيَّةِ

فَغَدَا أَوْصَالَهَا الْكُبْرَى بِأَرْجَاسِ الْحَمِيَّةِ
وَرَمَى أَقْوَامَهَا الْكُثْرَ بِدَاءِ الْعَصَبِيَّةِ
وَبِأَفْكَارِ زُيُوفٍ مُحَدَّثَاتٍ زُخْرُفِيَّةِ
وَبِأَنْوَاعٍ مِنَ الْفُرْقَةِ. قَالُوا: عَقْدِيَّةِ

○ ○ ○

أَنْتِ طُورَانِيَّةُ الْأَصْلِ. وَأَنْتِ عَرَبِيَّةُ
أَنْتِ ذَاتُ الْمَحْتَدِ الْأَسْمَى وَذَاتُ الْعَبْقَرِيَّةِ
أَنْتِ إِفْرِيقِيَّةُ الْأَعْرَاقِ. أَنْتِ بَرَبَرِيَّةُ
أَنْتِ مِنْ أَعْرَاقِ آرَا م.. وَأَنْتِ كِسْرَوِيَّةُ
أَنْتِ ذَاتُ الْمَجْدِ فِي التَّارِيخِ أَنْتِ فَارِسِيَّةُ
أَنْتِ ذَاتُ الْبَاسِ مِنْ كُرْدِ. وَأَنْتِ شَرْكِسِيَّةُ
أَنْتِ تَاجُ الْهِنْدِ يَرَعَا لِكَ بِأَمْجَادِ غَنِيَّةِ

○ ○ ○

بَقِيَ الْحِصْنُ وَلَا حُرَّاسَ يَحْمُونَ الرَّعِيَّةَ

○ ○ ○

دَاهَمَ اللَّيْلُ.. وَجَاءَ الذُّبُّ كَيْ يَفْرِي فَرِيَّةً^(١)
دَخَلَ الْحِصْنَ بِمَكْرٍ وَبِأَحْقَادٍ خَفِيَّةِ
وَسَعَى فِيهِ فَسَاداً هَادِماً كُلَّ بَنِيَّةِ
هَكَذَا أَوْصَاهُ أَجْدَا دُ لَهُ يَوْمَ الْبَلِيَّةِ
يَوْمَ رَدَّتْهُمْ سُيُوفُ الْحَقِّ ذُؤَانَاً^(٢) شَقِيَّةِ
يَوْمَ جَاءُوا نَا وَحُوشاً بِجُيُوشٍ هَمَجِيَّةِ

○ ○ ○

(١) يفري فريّة: يصنع الأعمال الخطيرة العجيبة، ويأتي بافتراءاته.

(٢) ذؤاناً: الذؤبان: اللصوص والصّعاليك.

تَابَعَ الذِّئْبُ بِمَكْرٍ ثَعْلَبِيٍّ وَأَذِيَّةُ

○ ○ ○

عَادَ لِلْأَوْصَالِ يَفْرِيهَا لِأَجْزَاءِ ضَنْيَّةُ (٣)

○ ○ ○

أَنْتِ فِرْعَوْنِيَّةُ الْأَصْلِ وَذَاتُ الْأَقْدَمِيَّةِ
أَنْتِ أُمُّ الْأَرْضِ فِي التَّارِيخِ عُظْمَى هَرَمِيَّةُ
أَنْتِ تَاجُ الشَّرْقِ سُورِيَّةُ كُبْرَى أَلْمَعِيَّةُ
أَنْتِ فَخْرُ الشَّرْقِ يَا شَامُ. وَأَنْتِ فِينِيقِيَّةُ
أَنْتِ أَصْلُ الْعَرَبِ الْأَقْحَاحُ أَنْتِ يَمَنِيَّةُ
أَنْتِ آرَامِيَّةُ الْأَعْرَاقِ عَلِيَا وَقَوِيَّةُ
أَنْتِ ذَاتُ الْبَاسِ وَالشِّدَّةِ وَالنَّفْسِ الْأَبِيَّةُ
أَنْتِ لَيْبِيَّةُ عِرْقِ أَنْتِ فَضْلَى تُونِسِيَّةُ
أَنْتِ ذَاتُ الْعِلْمِ وَالْأَمْجَادِ فَضْلَى مَغْرِبِيَّةُ
أَنْتِ مِنْ أَعْرَاقِ نَجْدٍ أَنْتِ عَلِيَا قُرَشِيَّةُ
أَنْتِ بَحْرَانِيَّةُ الْعَرَبِ ق. وَأَنْتِ قُطْرِيَّةُ
أَنْتِ فَضْلَى مِنْ عُمَانَ أَنْتِ فَضْلَى حَضْرَمِيَّةُ
أَنْتِ فَضْلَى بَدَوِيَّةُ أَنْتِ عُظْمَى حَضْرَمِيَّةُ

○ ○ ○

أَنْتِ إِلْحَادِيَّةُ الْفِكْرِ. وَأَنْتِ اشْتِرَاقِيَّةُ
أَنْتِ سِيرِي لِيَمِينٍ أَنْتِ سِيرِي يُسْرُوِيَّةُ
أَنْتِ قَوْمِي بَانْفِصَالٍ أَنْتِ كُونِي وَحْدَوِيَّةُ
أَنْتِ فِي السَّلْبِ تَمَادِي أَنْتِ زَيْدِي فِي الْعَطِيَّةُ

(٣) ضَنْيَّة: أي مريضة.

أَنْتِ بِالقُوَّةِ وَالْعُنْفِ احْكُمِي وَالْعُنْجُهيَّةُ (١)
 أَنْتِ مِنْ أَجْلِ رَحَاءِ الشَّعْبِ كُونِي فَوْضُويَّةً
 لَا يَكُنْ فِيكُمْ تَقِيٌّ كَيْفَ كُنْتُمْ أَوْ تَقِيَّةً
 لَا تَكُونُوا أُمَّةً مُسْلِمَةً بَيْنَ الْبَرِيَّةِ
 ثُمَّ كُونُوا بَعْدَهَا أَيُّ وَحُوشٍ بَشَرِيَّةٍ

○ ○ ○

ضَحِكَ الْبَاغِي عَلَيْهَا بِأَخَادِيْعٍ ذَكِيَّةٍ
 فَاسْتَجَابَتْ بِغَبَاءٍ عَمَلِ الشَّاةِ الضَّحِيَّةِ
 سَاقَهَا الْجَزَارُ لِلذَّبْحِ إِلَى أَرْضِ قَصِيَّةٍ
 وَشَقِيقَاتُ لَهَا أَمْسَيْنَ لِلْبَاغِي مَطِيَّةٍ
 وَلَدَى الْمَذْبَحِ نَادَى لِلْمَطَايَا هَيَّا. هَيَّ
 فَالْتَقَى الْجَمْعَانِ فِي حَرِّ بٍ غَبِيٍّ وَغَبِيَّةٍ
 وَارْتَمَى حَشْدُ الضَّحَايَا مِنْ أَيَادٍ أَحْوِيَّةٍ
 وَغَدَتْ أَشْلَاؤُهَا تَمْضُغُ آلَامَ الْمَنِيَّةِ

○ ○ ○

وَقَفَ الْبَاغِي يُنَادِي الْقَوْمَ: هَلْ ثُمَّ بَقِيَّةٌ؟
 أَنْتُمْو الْأَعْدَاءُ لَا غَيْرُكُمْو: هَيَّا إِلَيَّ
 سَوْفَ لَا أَتْرُكُ مِنْكُمْ أَيَّ دَاعٍ لِقَضِيَّةٍ
 سَوْفَ لَا أَتْرُكُ فِي أَرْضِكُمْو أَرْضاً غَنِيَّةً
 سَوْفَ لَا أَبْقِي لِأَحْفَا دِكُمْو فُرْشاً طَرِيَّةً
 أَوْ بَسَاتِينَ وَأَنْهَا رَأً وَآبَاراً ثَرِيَّةً
 سَوْفَ لَا أَتْرُكُكُمْ إِلَّا شَقِيّاً وَشَقِيَّةً

(١) العُنْجُهيَّة: الكبر والعظمة، والجهل والحمق.

سَوْفَ أَرْضَاكُمْ عَيْدِي إِنَّ رَضِيْتُمْ بِالدَّيْنِ
أَوْ فَمُوتُوا وَاتْرُكُوا لِي كُلَّ خَيْرَاتِ الْبَرِيَّةِ

○ ○ ○

هَذِهِ رُوحُ الْقَضِيَّةِ نَحْنُ - وَاللَّهِ - الضَّحِيَّةُ
هَلْ وَعَيْنَا؟. هَلْ رَأَيْنَا؟ هَلْ سَنَصْحُو لِلْبَلِيَّةِ؟
هَلْ سَيَأْتِينَا رَشِيدُ الْفِعْلِ ذُو نَفْسٍ أَبِيَّةٍ
زَانَهُ الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ وَأَخْلَاقُ زَكِيَّةٍ
قَائِدٌ يُرْجِعُ مَجْدَ الْأُمَّةِ الْكُبْرَى الْعَلِيَّةِ
بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَيْدِي الْقَوِيَّةِ
بِجُيُوشٍ تَهْزِمُ الْبَا غِي وَتَسْقِيهِ الْمَنِيَّةِ
هَلْ؟؟ نَعَمْ فَالْصُّبْحُ آتٍ وَالْبَلَايَا زَمْنِيَّةُ

(١٠٠ بيت)

مكة المكرمة في شهر جمادى الثانية ١٣٩٦ هجرية

في أوّل شهر محرم من سنة (١٤٠٠هـ) احتلّ الحرم المكيّ مجموعة مسلحة، كانت قد أعدت عدتها، ودبّرت مؤامرتها للقيام بفتنة أو ثورة ضد حكم المملكة العربية السعودية، تنطلق من الحرم المكيّ الشريف، وكانت قد سربت ما تحتاج إليه من أسلحة وذخيرة وغذاء خفية إلى داخل الحرم، وأخفتها في غرف طابق القبو المسماة «خلاوي» أي: خلوة المتعبدين المعتكفين في الحرم، من ذوي العلم والفضل.

وكان لهذه الحركة ذيول وجذور، ورأى المخططون لها من أعداء الإسلام استغلال الدين لتحريكها وإثارتها، فاستغلوا بعض الناقمين من متدينين حقاً، واستغلوا حاقدين ممن لهم مطامع بالحكم والسلطان، وأغراً كثيراً كثيرين، وجندوهم ليستخدموهم وقوداً.

وصلّى إمام الحرم المكي بالناس صلاة الفجر، وفيهم وافدون كثيرون للحج، لم ينصرفوا بعد إلى بلدانهم، وقام الثائرون فاستلم بعضهم جهاز الإذاعة، ليذيع خطاب الثورة، وأسرع أكثرهم إلى أبواب الحرم لإقفلها، واحتجاز الناس رهائن داخل الحرم، ثم رأى الثائرون أن يفرجوا عن الوافدين من الحجاج والوافدات، وأن يحتفظوا بالسعوديين والمقيمين في المملكة للعمل، وكان بين المحتجزين نساء وفتيات.

وتوزع الثائرون داخل الحرم الذي هو بمثابة قلعة محصنة لا نظير لها، وصاروا يتصيّدون برصاص بنادقهم من النوافذ والمآذن كل من يشاهدونه خارج الحرم من جنود وعساكر ورجال أمن وغيرهم.

وقتل على أيديهم خلق كثير، واستمرت فتنهم أكثر من أسبوعين، وهم محتلون الحرم المكي، وينتظرون قيام الثورة العارمة في كل أنحاء البلاد.

وأطلقوا مزاعم، زعموا فيها أن بينهم المهدي المنتظر، وجمعوا أحاديث عن المهدي، أوهموا بها أتباعهم أن الجيش الذي يأتي لمحاربتهم يخسف به، وأنهم لا محالة منتصرون، أما أدلة انطباق المهدي المنتظر على رجلهم القحطاني فقد كانت فيما زعموا رؤى منامية شهدها عدد منهم، وهي جميعها متطابقة، وتحدّد أنه هورجلهم.

وكان على الحكومة السعودية الرشيدة أن تأخذ الأمر بالحكمة، وأن تنفادي اقتحام الحرم بالأسلحة الآلية، وصبرت صبراً كبيراً كان محل تقدير الجميع.

ولما نفذ صبرها، وطالت عليها المدة، وجدت أنه لا سبيل لقمع هذه الفتنة، إلا باقتحام جزئي محدود، واستفتت العلماء فأفتوها، واستخدمت القوة الآلية بقدر محدود جداً، وتم لها القضاء على الفتنة.

وفي رأيي - استناداً إلى أمارات كثيرة - أن هذه الفتنة قد كانت مؤامرة كبيرة جداً، ذات صلة بمخططين من خارج البلاد، هدفها استخدام حاquدين ومهوسين أغرار، للقيام بثورة غايتها اتخاذ الدين جسراً مرحلياً، يدمّر تماماً عند نجاح الثورة، وعندئذ يجري في البلاد نظير ما جرى في بعض البلاد العربية التي قامت فيها الانقلابات العسكرية، فالثورات الاشتراكية. ثم يجرّ ذلك ما يجر من بلايا ونكبات، منها التجزئات والتقسيمات والإفكار، وتبديد الطاقات والثروات، وهدم الصناعات، ومطاردة ذوي العقول الحصيفة، وتهجير الخبرات.

وإذا لم تنجح الثورة قامت الفجوة والجفوة، بين الدولة وبين علماء المسلمين والأمريين بالمعروف والناهين عن المنكر، ويتصور المخططون أن الدولة ستأخذ منعطفاً آخر مجافياً للدين، ولدعائه وحماته، وهو الأمر الذي لم يحدث بحمد الله رغم فشل الثورة، لأن الحكومة السعودية كانت على بصيرة، فلم

تستدرج لهذا الأمر، ففصلت ما بين الفتنة والقيادات الدينية الحكيمة، وظلّت
حامية لقاعدتها الدينية، ومحافظة على العقيدة الإسلامية.

لقد تأكد عندي أن هدف المخططين من وراء الحدود لتحريك هذه
الفتنة، هو الإجهاز على بقايا القاعدة الإسلامية التي حافظت عليها المملكة
العربية السعودية، وتحطيمها وتجزئتها وتقسيمها. وأن المستثمر لذلك هم أعداء
الإسلام، وفي مقدمتهم دولة إسرائيل واليهودية العالمية.

وبهذه المناسبة نظمت هذه القصيدة ونشرتها في حينها بجريدة «الندوة»،
وهي بعنوان:

«فتنة الحرم وعظاتها»

فِتْنَةُ الْحَرَمِ وَعِظَاتُهَا

فِتْنَةٌ قَدْ دُبِّرَتْ فِي الظُّلُمَاتِ
حُرُمَاتِ الْبَيْتِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ
فِي رِحَابِ الطَّائِفِينَ الْعَاكِفِينَ
فِي رِيَاضِ الرَّاكِعِينَ السَّاجِدِينَ
فِي جَنَّاتِ الْمُخْبِتِينَ^(١) الْعَابِدِينَ

○ ○ ○

فِتْنَةٌ قَدْ دُبِّرَتْ خَلْفَ الْحُدُودِ
فِي جَحِيمٍ يَتَلَطَّيْ حِقْدُهَا
تَقْذِفُ الشَّرَّ شَوْاطِئًا لَا يُرَى
سَاقَ شَيْطَانٍ يَهُودٍ بَقَرًا
وَعَلَى أَرْؤُسِهَا أَنْقَالُهَا

○ ○ ○

فِتْنَةٌ قَدْ دُبِّرَتْ لِلْمُسْلِمِينَ
أُطْلِقَتْ نِيرَانُهَا آثِمَةٌ
مِنْ مَنَارَاتٍ سَمَتْ شَاهِقَةً
كَمْ عَلَا مِنْهَا أَذَانٌ وَسَرَى

لَا صُطَيَادَ الْأَمْنِ فِي الْبَيْتِ الْأَمِينِ
فِي رِحَابِ الطُّهْرِ فِي الصَّرْحِ الْحَصِينِ
تَتَحَدَّى الْكُفْرَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ
لِللَّوْرِ: كَالشَّمْسِ كَالنُّورِ الْمُبِينِ

(١) الْمُخْبِتُ: هُوَ الْخَاشِعُ الْمَتَوَاضِعُ لِلَّهِ، أَخَذًا مِنَ الْخَبْتِ: وَهُوَ التَّسَعُّ مِنْ بَطُونِ الْأَرْضِ.

(٢) الْخَنَى: آفَاتُ الدَّهْرِ وَمَصَائِبُهُ.

أَطْلَقَ الْبَاغُونَ مِنْهَا نَارَهُمْ مِنْ فَسَادِ الرَّأْيِ وَالْحَقْدِ الدِّفِينِ

○ ○ ○

فِتْنَةٌ قَدْ وُضِعَتْ خِطَّتُهَا حَيْثُ مَثَوَى الْكُفْرِ حَيْثُ الْمُفْسِدُونَ
نَفَّذَتْهَا فِتْنَةٌ بَاغِيَةٌ طَمَسَ الْجَهْلُ بِهَا نُورَ الْعُيُونِ
رَعَمُوا الْمَهْدِيَّ فِيهِمْ قَائِمًا وَارْتَدَى كَذَابُهُمْ حُلَّةَ دِينِ
كَذِبَةٌ مَا فِثَّتْ أَنْ فُضِّحَتْ إِذْ دَهَى مَهْدِيَّهُمْ رَبُّ الْمُنُونِ
قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَخْبِئِهِ

○ ○ ○

لَا تَطْنُوا أَنْ مَا قَدْ كَانَ مِنْ فِتْنَةٍ شَرٌّ بَلِ الْخَيْرُ بِهَا
أَيَقَطَتْ مَنْ كَانَ مِنْ قَدْ غَفَا عَنْ دُهَاءِ الْمَكْرِ أَوْ كَانَ سَهَا
أَثَبَتْ قُوَّةَ جُنْدِ اللَّهِ فِي قَمْعِ بَاغِي الشَّرِّ لَمَّا سَفَهَا
ذَكَرْتَنَا أَنْ مَا فِينَا فَشَى مِنْ ذُنُوبٍ سَبَبُ فِيمَا دَهَى
أَنْ دِينَ اللَّهِ مَبْدَانًا فَإِنْ

○ ○ ○

وَاضِعُ الْخِطَّةِ قَدْ رَتَّبَهَا بِدَهَاءِ بَالِغِ الْكِيدِ خَيْرِ
قَدْ بَنَى الْجِسْرَ إِلَى غَايَتِهِ مِنْ غُلَاةٍ وَذَوِي حِقْدٍ كَبِيرِ
قَصْدُهُ أَنْ يَطْعَنَ الْإِسْلَامَ فِي صَدْرِهِ لِلْقَلْبِ مِنْهُ لِلضَّمِيرِ
قَصْدُهُ أَنْ يَهْدِمَ الْبُرْجَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ فِيهِ مَصَابِيحُ تُنِيرُ
لَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ فِي هَامَتِهِ

○ ○ ○

رُبَّ جِسْرٍ مِنْ رِجَالٍ رَعَمُوا أَنَّهُمْ بِالْحَقِّ قَامُوا لِلْهُدَايَةِ
فَإِذَا مَرَّ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَاضِعُ الْخِطَّةِ شَيْطَانُ الْغَوَايَةِ
دَمَّرَ الشَّيْطَانُ مِنْهُمْ جِسْرَهُ وَرَمَاهُمْ عَنْ دَهَاءٍ وَدِرَايَةِ
هُمْ وَمَنْ قَامُوا عَلَيْهِ هُمُ

أَيُّهَا الْأَغْرَارُ لَا تَنْخَدِعُوا بِبِدَايَاتِ لَهَا هَذِي النِّهَايَةِ

○ ○ ○

قَصْدُهُ أَنْ يَقْتُلَ الْإِيمَانَ فِي قَصْدِهِ أَنْ يُحْدِثَ الثُّورَاتِ فِي قَصْدِهِ أَنْ يُحْدِثَ الْفَجْوَ مَا فَإِذَا مَا انفصلَ الْبُرْجُ وَهِيَ إِنَّ رُكْنَ الدِّينِ فِي الصَّرْحِ هُوَ الرَّ

○ ○ ○

لُعْبَةُ الشَّيْطَانِ مَا أَخْبَثَهَا تُفْسِدُ الْوُدَّ لِيَزُورَ هَوَى فَإِذَا مَا انْقَطَعَ الْوُدُّ أَتَى وَمَعَ الْمَاكِرِ فَخُ قَاتِلُ خَيْبِ الْجَبَّارِ مَسْعَاهُ بِنَا

○ ○ ○

قِيلَ: أَيْنَ الطَّيْرُ تَحْمِي الْحَرَمَا قُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِلطَّيْرِ إِذَا حِينَ أَمَّ الْبَيْتَ بَاغٍ كَافِرٌ لَا لِأَمْرِ غُلْفَتْ غَايَاتُهُ وَوَهَى حُرَّاسُ هَذَا الْبَيْتِ عَنْ

○ ○ ○

يَا حُمَاةَ الدِّينِ مِنْ أُمْنِنَا إِنَّكُمْ بَيْنَ الْبَرَايَا هَدَفٌ رَبٌّ مَنْ آلَمَهُ الْفِعْلُ أَتَى فَعَدَا مِنْ حُمَقِهِ فِيمَا أَتَى

أَبْصِرُوا لَا تَغْفُلُوا عَمَّا يُكَادُ إِنَّكُمْ بَيْنَ يَدَيِ أَمْرِ يُرَادُ مِنْ رُدُودِ الْفِعْلِ مَا ذَلِكَ الْبِلَادُ ضِمْنَ أَكْوَامِ حُطَامٍ وَرَمَادٍ

وَبِهِ حَقٌّ مَنْ قَدْ كَادَهُ كُلُّ أَوْ بَعْضُ الَّذِي مِنْهُ أَرَادَ

○ ○ ○

يَا رُعَاةَ الْأَمْرِ زِيدُوا الْحَرَاسَا مِنْ حُمَاةِ الدِّينِ أَهْلَ الْمَكْرَمَاتِ
مَا أَصَابُوا مِنْ قَبِيحٍ دَنَسَا لَمْ تُخْرِبْهُمْ مَفَاهِيمُ الْغَلَاةِ
لَمْ يَمَسَّ الْكَيْدُ مِنْهُمْ أَنْفُسَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ أَرْضِ الْمُؤَبَقَاتِ
خَيْرٌ مَنْ نَجَعَلُ مِنْهُمْ عَسَا يَحْفَظُونَ الْأَمْنَ مِنْ بَغْيِ الطُّغَاةِ
حِينَما نَبْحَثُ عَنْهُمْ غَلَسَا نَلْقَاهُمْ بَيْنَ دُعَاءٍ وَصَلَاةِ

(٦٠ بيتاً)

مكة المكرمة في ١٤٠٠/١/٢٢ هجرية

في شهر ربيع الأول من سنة ١٤٠١ هجرية مطلع القرن الخامس عشر الهجري، تمّ انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة، وكان ذلك في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز رحمة الله عليه.

ورأت القيادة السعودية يومئذٍ أن تفتح الجلسة الأولى من جلسات هذا المؤتمر في الحرم المكي الشريف، عند الكعبة المعظمة بيت الله الحرام، أول بيت وضع للناس. استعطافاً لقلوب قادة المسلمين وزعمائهم، من أجل إنقاذ القدس الشريف، من تسلط الصهيونية الأثمة.

وكان لا بدّ أن يسهم أدب الدعوة إسهاماً ما في هذه المناسبة.

فكتبت هذه القصيدة بعنوان:

«عند المنصة في الحرم أقطاب مسلمة الأمم»

إذ كانت الدولة السعودية قد أعدت منصة للمدعوين لحضور جلسة الافتتاح، في مواجهة باب الكعبة، وقد نشرت في جريدة «الندوة» إبان انعقاد المؤتمر.

وهذا العنوان هو أحد أبيات هذه القصيدة.

ولا بد أن يلاحظ القارئ أن القصيدة فيها حكمة مواجهة الزعماء، مع ما فيها من جرأة، وبيان للمقصود، وهو الأسلوب الذي علّمه الله موسى عليه السلام.

عِنْدَ الْمَنْصَةِ فِي الْحَرَمِ أَقْطَابُ مُسْلِمَةِ الْأُمَمِ

مَرَّتْ قُرُونٌ عَشْرَةٌ قُرِنَتْ بِأَرْبَعَةٍ أُخَرَ
 مِنْ عَامِ هِجْرَةِ أَحْمَدٍ خَيْرِ النَّبِيِّينَ الْأَبَرِّ
 مَنْ عِنْدَهُ انْتَهَتْ الرِّسَالَاتُ الْمُنَزَّلَةُ الْكُثْرُ
 لَمَّا اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ الْعَظِيمِ الْمُدْخَرُ
 دِينِ الْهِدَايَةِ كُلِّهَا لِجَمِيعِ أَصْنَافِ الْبَشَرِ

○ ○ ○

هَذِي الْقُرُونُ السَّالِفَاتُ بِمَا عَلَا وَبِمَا انْحَدَرَ
 فِيمَا صَفَا مِنْهَا لَنَا أَوْ مَسَّنَا مِنْهُ كَدَرُ
 فِيمَا تَقَدَّمَ وَازْدَهَى أَوْ مَا تَغَيَّرَ وَانْحَسَرَ
 تَارِيخُنَا فِيهَا سَطُرُ فِيهِ الْمَفَاحِرُ وَالْعَبَرُ
 فِيهِ الْعِظَاتُ الصَّالِحَاتُ لِمَنْ تَفَكَّرَ وَاعْتَبَرَ
 تَارِيخُنَا يَرُوي لَنَا فِيمَا تَحَقَّقَ مِنْ خَبَرُ
 مَهْمَا تَمَسَّكْنَا بِدِينِ اللَّهِ حَالَفْنَا الْقَدَرُ
 وَإِذَا تَنَكَّبْنَا صِرَاطَ اللَّهِ ذَاهَمَنَا الْخَطَرُ
 وَعَدَّتْ عَلَيْنَا الْعَادِيَاتُ وَأَنْزَلَتْ فِيْنَا الضَّرَرُ
 إِمَّا بِمَسٍّ مِنْ شَرِّ أَوْ بِالْقَذَائِفِ مِنْ سَقَرُ
 وَلَرُبَّمَا اسْتَوْلَى عَلَى بُلْدَانِنَا النَّذْلُ الْأَشْرُ

○ ○ ○

وَالْيَوْمَ مِنْ بَعْدِ الْقُرُونِ السَّالِفَاتِ بِمَا غَبَرَ

فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ الْمُضِيِّ بِمَا يُبَشِّرُ بِالظَّنْفَرِ
فِي رَجْعَةِ مَبْرُورَةٍ لِصِرَاطِنَا بَيْنَ الْبَشْرِ
فِي صَحْوَةِ مَشْكُورَةٍ فِيهَا الْبَصِيرَةُ وَالْحَذَرُ
هَذِي أَمَارَاتُ بِهَا بُشْرَى بَغِيثٍ مِنْهُمْ
يَأْتِي لَنَا بَعْدَ الْجَفَا فِ فَتَسْتَمِدُّ وَنَزْدَهْرُ

○ ○ ○

الْيَوْمَ مِنْ بَعْدِ الْقُرُوءِ نِ السَّالِفَاتِ بِمَا عَبَّرَ
يَدْعُو حِمَاةَ الْبَيْتِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمَجْدِ الْأَعْرَ
وَالِى الْجِهَادِ وَكُلِّ تَذِ بِسِرِّ بِهِ خَيْرٌ وَبِرِّ

○ ○ ○

رَفَعُوا الْمِنْصَّةَ فِي الْحَرَمِ
بَيْنَ الصِّفَا وَالْمُلْتَزَمِ
عِنْدَ الْمَقَامِ الْمُحْتَرَمِ
وَالرُّكْنِ ذِي الْمَجْدِ الْأَشْمِ
وَدَعَا لِأَمْرِ ذِي عِظَمِ

○ ○ ○

عِنْدَ الْمِنْصَّةِ فِي الْحَرَمِ
أَقْطَابُ . مُسْلِمَةِ الْأُمَمِ
مِنْ كُلِّ عَرَبٍ أَوْ عَجَمِ
وَأَسْتَوْثِقُوا بِعُرَى الدِّمَمِ
وَأَجَلِ أَقْدَاسِ الْحُرَمِ

وَتَعَاظَفُوا . وَتَدَالَفُوا . وَتَالَفُوا . وَتَكَاتَفُوا . وَتَحَالَفُوا
وَتَوَادَّدُوا . وَتَسَانَدُوا . وَتَوَاعَدُوا . وَتَعَاقَدُوا . وَتَعَاهَدُوا

١ - أَنْ يَنْصُرُوا الْأَقْصَى السَّلِيبَ
مِنْ ظُلْمِ ذِي كَيْدٍ عَجِيبٍ
خَدَعَتْ بِهِ دُؤْلَ الصَّلِيبِ

٢ - أَنْ يَغْسِلُوا الْقُدْسَ الْحَبِيبَ
وَالتَّابِعَاتِ مِنَ الدُّرُوبِ
مِنْ رِجْسِ فَاجِرَةِ الشُّعُوبِ

٣ - أَنْ يَدْعُمُوا الشَّعْبَ الشَّرِيدَ
مِنْ بَغْيِ رُوسٍ أَوْ يَهُودٍ
أَوْ أَيْ جَبَّارٍ عَنِيدٍ

٤ - أَنْ يَلْزُمُوا الرَّأْيَ السَّدِيدَ
أَنْ يَسْلُكُوا النَّهْجَ الرَّشِيدَ
وَيَبَاشِرُوا الْعَمَلَ الْمَجِيدَ

٥ - أَنْ يَرَوْوا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ

○ ○ ○

● يَا رَبِّ . مَاذَا بَعْدَ هَذَا يَفْعَلُونَ؟
أَفَهُمْ بِحَقِّ يَصْدُقُونَ وَيُخْلِصُونَ؟
يَا رَبِّ . هَذَا الْمَرْتَجَى مِنْ جَمْعِهِمْ

● هَلْ هُمْ يَفُونَ بِعَهْدِهِمْ؟
هَلْ يَصْدُقُونَ بِوَعْدِهِمْ؟
هَلْ يُخْلِصُونَ بِوُدِّهِمْ؟

وَيَجَاهِدُونَ لِرَبِّهِمْ؟
لَا يَبْخُلُونَ بِجَهْدِهِمْ؟
وَشُعُوبُهُمْ جُنْدٌ لَهُمْ؟
يَا رَبِّ . هَذَا الْمُرْتَجَى مِنْ جَمْعِهِمْ

○ ○ ○

إِنْ يُؤْمِنُوا:

إِنْ يَصْدُقُوا:

إِنْ يُخْلِصُوا:

إِنْ يَعْمَلُوا:

إِنْ يَبْذُلُوا:

فَاللَّهُ مُوثِقٌ عَهْدِهِمْ
وَهُوَ الْحَلِيفُ لِحَلْفِهِمْ
وَهُوَ النَّصِيرُ لَجَمْعِهِمْ
وَسَيَبْلُغُونَ لِقَضَائِهِمْ

○ ○ ○

وَإِذَنْ . فَيَا بُشْرَى لَهُمْ
بِفَخَارِهِمْ وَبِمَجْدِهِمْ
وَمَثُوبَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ
وَلَهُمْ بِنَا . وَلَنَا بِهِمْ

بعد النزعة القومية، والتبعيات العمياء في استيراد المبادئ الزیوف من الغرب والشرق، التي صنعت الهزائم، والانهيارات الاجتماعية، وألوان التجزئة والتمزيق في شعوب الأمة الإسلامية، قَامَت نزوات انفعالية تسخر من ميراث أمتها، لأنها أُمست لا تُشاهد من هذا الميراث جوهره الحقيقي، بعد أن عزلته عن الفكر والسلوك، إنما تشاهد تقاليد شكلية، ليست هي في حقيقتها من جوهر هذا الميراث، بل هي عوالق زمنية، لها سببها الأزياء التي تتغير مع الزمن، ولها طبيعة الآثار المتحفية المادية.

ورأيت هذه النزوات الساخرة المحترقة لهذا الميراث، مشيرة بأصابعها إلى هذه الماديات المتحفية، ومطلقة عبارات التعميم الشاملة لجوهر الميراث الذي هو ميراث علم وخلق ونظام وتشريع، وميراث بناء أُمَّة قوية قائدة رائدة.

ومن هؤلاء الساخرين فسّاق وملاحدة مرتعون في أحضان مواخير الغرب يَجْتَرُونَ الأوبئة، ومنهم ملاحدة مجرمون، مسوقون على زحافات كلاب ثليج الشرق البارد، إلى حتوفهم وحتوف أمتهم.

وهؤلاء وهؤلاء يشتمون ميراث أمتهم، ويتبرؤون منه ومن أجدادهم الذين صنعوا أو حملوا هذا الميراث العظيم.

وهاتان القصيدتان تعالجان نزوات هذا الصنف الساخِر من ميراثنا العظيم.

الأولى: بعنوان «التراث العظيم».

الثانية: بعنوان «الجدّ يتبرأ».

التراث العظيم

إِنَّ مَجْدِي كَنْزٌ مَلِيءُ الْبُطُونِ بِنَفِيسِ الْمَكِيلِ وَالْمَوْزُونِ
بِفَرِيدِ الْهُدَى. بِكُلِّ جَلِيلٍ مُسْعِدٍ لِلْوَرَى. عَزِيزِ مَصُونِ
بِبَدِيعِ الْعُلُومِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ عَبْقَرِيٍّ. يَبْزُ كُلَّ الْفُنُونِ
لَيْسَ إِرْثِي مَأْكُولَ عَصْفٍ قَدِيمٍ^(١) مِثْلَ غَيْرِي. وَلَا هُرَاءَ مُجُونِ

○ ○ ○

يَا فَخَارِي. لَا تَأْسَ إِنَّ هَرًّا كَلْبٌ^(٢) مِنْ بِلَادِي عَلَيَّكَ بَعْدَ قُرُونِ
فَبِلَادِي كِلَابُهَا مِنْ قُرُونِ هُجِنَتْ مِنْ لِقَاحِ بَاغٍ خَوْونِ
لَا يَرَى فِيكَ أَحْوَلَ الْفِكْرِ إِلَّا لَمَلَمَاتٍ مِنَ التَّقَالِيدِ جُونِ^(١)
عَلَقْتُ فِيَّ. حَظَّهَا مِنْ تُرَائِي كَبَقَايَا الْقَتَامِ^(٢) فَوْقَ الْحُصُونِ
جَلَبَتْهَا الرِّيَّاحُ مِنْ كُلِّ قَفَرٍ وَرَمَاهَا الْإِهْمَالُ فَوْقَ الْجُفُونِ^(٣)

○ ○ ○

مَنْ لِهَذَا الْقَتَامِ يَنْفِيهِ عَنِي بَطْهُورٍ غَيْثٍ مُغِيثٍ هَتُونٍ؟
لِتَرَى هَدْيِي الْمُضِيءَ بِمَجْدِي وَشُمُوحِي فِي الدَّهْرِ كُلِّ الْعُيُونِ

(١١ بيتاً)

مكة المكرمة في ١٤٠٥/٤/٩ هجرية

(١) العصف: بقل الزرع، والمأكول منه هو ما أكل حبه وبقي تبنة، وداسته الأنعام بأرجلها.

(٢) هَرَّ الكلب: صاح صياحاً ضعيفاً دون النباح.

(١) جُون: بضم الجيم جمع مفردة «جُون» بفتح الجيم، وهو الأسود. وقد يطلق على الأبيض فهو من الأضداد.

(٢) القتام: الغبار الضارب إلى سواد.

(٣) أي فوق المشرفات من الحصن التي تشبه الجفون.

الجدُّ يَبْرَأُ

إِنَّهُ لَيْسَ حَفِيدِي
هُوَ فِكْرٌ غَيْرُ صَالِحٍ
وَاعْتِقَادٌ غَيْرُ صَالِحٍ
وَسُلُوكٌ غَيْرُ صَالِحٍ
فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ

○ ○ ○

إِنَّهُ لَيْسَ حَفِيدِي
إِنِّي لِلَّهِ مُسْلِمٌ
وَهُوَ بَيْنَ النَّاسِ مُجْرِمٌ
قَلْبُهُ بِالْكُفْرِ مُظْلِمٌ
وَأَنَا قَلْبِي وَضِيءٌ

○ ○ ○

إِنَّهُ لَيْسَ حَفِيدِي
أَنَا بَانٍ فِي حَضَارَةٍ
ذَاتِ عِزٍّ وَنَضَارَةٍ
ذَاتِ عِلْمٍ وَطَهَارَةٍ
كَنْزُهَا طَوْدٌ مَلِيءٌ

○ ○ ○

أَنَا مِنْ قَوْمٍ بَنَوْا عِزًّا وَمَجْدًا
نَشَرُوا فِي النَّاسِ أَخْلَاقًا وَرِفْدًا

وَيَنْوِرِ اللَّهُ مَدُّوا الْعِلْمَ مَدًّا
وَأَقَامُوا الْعَدْلَ إِيعَادًا وَوَعَدًا
وَبَنَوْا مِنْ دُونِ جُنْدِ الشَّرِّ سَدًّا

○ ○ ○

إِنَّهُ لَيْسَ حَفِيدِي
هُوَ بِالْهَدْمِ شَغُوفٌ
وَعَنْ الْخَيْرِ عَزُوفٌ
وَلِلْأَعْدَائِي حَلِيفٌ
وَعَلَى الْإِثْمِ جَرِيءٌ

○ ○ ○

إِنَّهُ لَيْسَ حَفِيدِي
مُنْذُ صَادَتْهُ الْقُرُودُ
وَنَأَى خَلْفَ الْحُدُودُ
بَرِئْتُ مِنْهُ الْجُدُودُ
فَهُوَ فِي النَّاسِ قَمِيءٌ

○ ○ ○

هُوَ مِمَّنْ قَدْ أَتَى الْمَجْدَ فَهَدَّمْ
وَعَلَى الْأَنْقَاضِ غَنَى وَتَرْنَمٌ
سَاءَ الْإِسْلَامُ إِذْ لِلْفِسْقِ أَسْلَمَ
غَيْرَ إِغْوَاءٍ وَفُحْشٍ مَا تَعَلَّمَ
هُوَ يَهْدِي أَوْ بِفُحْشٍ يَتَكَلَّمُ

○ ○ ○

إِنَّهُ لَيْسَ حَفِيدِي
 قَاطِعُوهُ يَا بَنِيَّ
 إِنَّهُ خَالِي الْهُوَيَّةُ
 إِنَّهُ عَبْدُ الْغَوَيَّةُ
 طَالِبُ كُلِّ دَنِيَّةٍ

○ ○ ○

إِنَّهُ لَيْسَ حَفِيدِي
 قَاطِعُوهُ وَذَرُوهُ
 وَأَنْبِذُوهُ وَاحْقِرُوهُ
 وَبِجْجِرُوهُ فَاحْصِرُوهُ
 فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ

○ ○ ○

قُوَّتُهُ الْخِنْزِيرُ وَالْخَمْرُ شَرَابُهُ
 طَارَ «بِالْوَيْسِكِي وَبِالْفُودَكَا» صَوَابُهُ
 وَصَبَايَا الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ طِلَابُهُ
 فَأَغَانِيهِ لَهْنُهُ
 وَكِلَابُ عِنْدَهُنَّ
 بَلَهُ نَاسُ أَهْلِيهِنَّ
 وَلِقَبْرِي وَتُرَاثِي . بَعْدَ أَجْيَالٍ سَبَابُهُ
 مِثْلُ هَذَا فَلْتَجْرِجِرْهُ إِلَى الْخِزْيِ كِلَابُهُ
 فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ

○ ○ ○

هَمُّهُ الْأَكْبَرُ بَيْنَ النَّاسِ خَمْرٌ وَنِسَاءُ
 وَاللَّيَالِي الْحُمْرُ وَالسُّودُ وَتَرْنِيمُ غُثَاءِ

هَجَرَ الزَّيْتُونَ لَا يَذْرِي لِمَنْ يُعْطِي الْوَلَاءَ
 رَكِبَ الْأَرْجُوحَةَ الْكُبْرَى عَلَى غَيْرِ حَيَاءٍ
 فِي أَقَاصِي الشَّرْقِ لَيْلًا عِنْدَ أَحْضَانِ الشَّقَاءِ
 وَهُوَ فِي الْغَرْبِ عَلَى حَانَاتِهِ عِنْدَ الْمَسَاءِ
 وَلِسَانٌ مُقْذِعٌ يَحْلُو لَهُ شَتْمُ الْعَلَاءِ
 وَسَبَابُ الطُّهْرِ فِي النَّاسِ وَطَعْنُ الْأَتَقِيَاءِ

○ ○ ○

فَدَعَا هُوَ فِيكُمْ. إِنْ أَتَى السَّيْلُ جُفَاءَ

○ ○ ○

إِنَّهُ لَيْسَ حَفِيدِي
 لَسْتُ مِنْهُ لَيْسَ مِنِّي
 هَانَ فِيكُمْ إِنْ يُهِنِّي
 أَبْعِدُوا الشَّيْطَانَ عَنِّي
 فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ

○ ○ ○

أَوْ حَقًّا يَا خَبَاثَ
 لَسْتُ تَذْرِي مِنْ تُرَائِي
 غَيْرَ عُكَّازٍ وَسُبْحَةٍ!
 حِينَ وَزَعْتَ أَثَائِي
 بَعْدَ أَنْ هَدَّمْتَ صَرْحَهُ
 لَمْ تُصَادِفْ مِنْ تُرَائِي
 غَيْرَ مَا أُوثِرُ طَرْحَهُ

○ ○ ○

قَاطِعُوهُ يَا بَنِيَّ
 إِنَّهُ خَالِي الْهُوِيَّ
 إِنَّهُ عَبْدُ الْعَوِيَّ
 طَالِبُ كُلِّ دَنِيٍّ

○ ○ ○

شَأْنُهُ إِذْ رَامَ كَيْدًا
 شَأْنُ مَنْ أَوْقَدَ وَقْدًا
 أَحْرَقَ الْمُصْحَفَ عَمْدًا
 وَسَعَى يَبْحَثُ كَدًّا
 عَنْ كِتَابٍ كَانَ مَجْدًا

○ ○ ○

فَرَأَى الْكِيسَ الْمُطَرَّزَ
 فَاحْتَوَاهُ وَتَحَرَّزَ
 ثُمَّ قَالَ الْكِيسُ خَالِ
 هُوَ شَيْءٌ لَيْسَ يُحَرَّزُ
 فَاطْرَحُوا عَنِّي تُرَاثِي
 أَنَا مِنْهُ أَتَقَرَّزُ

○ ○ ○

قَاطِعُوهُ يَا بَنِيَّ .
 قَاطِعُوهُ - هُوَ لِلطُّوفَانِ - فِي الْكُفْرِ مُقِيمٌ
 وَأَشْرُ وَأَثِيمٌ
 وَوَرَاءَ الْهَلْكِ بِالطُّوفَانِ خِزْيٌ فِي الْجَحِيمِ
 وَعَذَابٌ مُسْتَمِرٌّ

وَإِذَا الطُّوفَانُ لَمْ يَأْتِ أَتَى الْوَعْدُ الْعَظِيمُ
وَلَيْسَ الْمُسْتَقَرُّ
فِي جَحِيمٍ وَسُعُرٍ

○ ○ ○

وَإِذَا اسْتَغْفَرَ وَاطَّهَرَ بِالْفِعْلِ الْكَرِيمِ
وَجَفَا مَا كَانَ فِيهِ مَعَ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
وَاسْتَعَادَ الْأَصْلَ لَا يَعْدُو عَنِ النَّهْجِ الْقَوِيمِ
وَأَتَى يَسْتَعِظُ الرَّحْمَنَ ذَا الْفَضْلِ الرَّحِيمِ

وَعَنِ الْآثَامِ كَفَّرُ
فَأُخِوَكُمُ قَدْ تَطَهَّرُ
غَسَلَ الْقَلْبَ وَأَبْصَرَ
وَرَأَى الرَّحْمَنَ يَغْفِرُ
مَرْحَبًا. وَاللَّهُ أَكْبَرُ
وَهُوَ مِنْكُمْ وَحَفِيدِي

(٥١ بيتاً)

تركيا - شوك شدرة غرة شوال ١٤٠٢ هجرية

على الداعي الصادق في دعوته أن يعظ نفسه أولاً قبل أن يعظ الآخرين،
وحين يعظ الآخرين فعليه أن يتصور نفسه واحداً من الذين يدعوههم.

عندئذ يكون كلامه بمثابة سلاح ذي حدين يؤثر في السامع والمتكلم معاً،
لأنه عندئذ يكون صادراً من القلب، وما كان صادراً من القلب وصل إلى
القلوب.

وهذه القصيدة أخاطب بها نفسي بعنوان:

« يا أنا »

واعظاً ناصحاً موجّهاً لها، ولعلّ المطلع عليها يخاطب بها نفسه كما خاطبت
بها نفسي.

وعسى أن يكون هذا الأسلوب أسلوباً حسناً غير مباشر من أساليب
الدعوة.

وهذه القصيدة نشرت في جريدة المدينة المنورة في شهر محرم ١٤٠٥
هجري، وفيها هنا بعض التعديل والإضافة.

يَا أَنَا

لَكَ الْبِدَاءُ يَا «أَنَا» تَرَكَ مَنْ أَنْتَ هُنَا؟
 هَلْ أَنْتَ إِلَّا عَابِرٌ مِنَ الْفَنَاءِ إِلَى الْفَنَاءِ؟
 وَأَنْتَ مَا بَيْنَهُمَا صَيْدُ غُرُورٍ بِالذُّنَى
 هَلَّا عَمِلْتَ لِلْبَقَا ءِ فِي النَّعِيمِ وَالْهَنَا
 وَلِلنَّجَاةِ مِنْ شَقَاءٍ وَعَذَابٍ وَعَنَا
 أَلَسْتَ بِاللَّهِ وَيَوْمِ الدِّينِ عَبْدًا مُؤْمِنًا؟
 أَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَطْرُدُ عَنْكَ الْوَسَنَا؟
 أَلَا تَرَى فِي سُنَّةِ الْمُخْتَارِ هَدًى بَيْنَنَا؟

○ ○ ○

هَذَا صِرَاطُكَ الْقَوِيمُ كُلُّهُ فَيُضْ سَنَى
 فَاْمَشْ عَلَى هُدَاهُ وَاحْذَرْ أَنْ تَزِلَّ فِي الْخَنَى
 أَوْ أَنْ تَتِيَهَ فِي الضَّلَالِ وَاتَّبَاعِ مَنْ جَنَى

○ ○ ○

إِيَّاكَ وَالنَّفْسَ وَشَيْطَانَ الْهَوَى وَالْوَهْنَا
 إِيَّاكَ أَنْ تَطْغَى وَأَنْ تَشْعُرَ يَوْمًا بِالْغِنَى

○ ○ ○

مَنْ يَهْجُرُ الصِّرَاطَ يَقْفُو وَثْنًا فَوْثْنَا
 كَمْ خُطْوَةٍ فَخُطْوَةٍ لَفَتْ عَلَيْكَ الْكَفْنَا
 أَوْ جَلَبَتْ لَكَ الْعَذَابَ وَالشَّقَا وَالْحَزْنَا

○ ○ ○

تُرَاكَ: هَلْ حَاسَبْتَ نَفْسَكَ الَّتِي تَقْفُو الْمُنَى
 كَمْ تُنْفِقُ السِّنِينَ لِلْأَمَالِ تَنْشُدُ الْهَنَا
 تَجْرُعُ كَدًّا دَائِبًا وَأَلَمًا مُزِينًا
 وَبَعْدَ طُولِ الْكَدِ لَا تَمْضِغُ إِلَّا الشَّجَنَا
 وَلَا تَرَى إِلَّا سَرَا بَأْ بَعْدَ كَدٍّ وَضَنَى
 وَتَجِدُ اللَّهَ لَدَيْهِ كُلَّ عَذْلِ يَا «أَنَا»

مكة المكرمة في ٣ محرم ١٤٠٥ هجرية

(٢٢ بيتاً)

خرجنا إلى نزهة بجبل «الشفا» قرب الطائف وهو جبل مرتفع كثير المنتزهات الطبيعية ذات أشجار السرو، بصحبة ليف من أساتذة «كلية الشريعة والدراسات الإسلامية» بمكة المكرمة، فيهم سعوديون ومصريون وسوريون.

وكان ذلك يوم الثلاثاء في ١٣٩٥/٦/١ هجرية، وقد كتبت في هذه النزهة قصيدة أنشدتها على زملاء رحلة هذه النزهة، وكان في ضيافتنا ذلك اليوم فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف حفظه الله.

في هذه القصيدة خاطبت فيها بعد الترحيب بالضيوف نفسي واعظاً ناصحاً، رجاء أن يعظ بها نفسه كلُّ زميلٍ من الأخوة المشاركين في هذه النزهة، وهي من أساليب التوجيه غير المباشر، وهي بعنوان: «ذكريات في الشفا»

ذكريات في الشفا

يَا ضُيُوفاً فِي الشِّفَا زِدْتُمُونَا شَرَفَا
لَكُمْو مِنَّا دُعَاءُ بِهِنَاءُ وَشَفَا
قَدْ سُرَرْنَا وَسَعِدْنَا بِصَحَابٍ شُرَفَا
أَوَلَسْتُمْ غُصْبَةَ الْحَقِّ وَإِخْوَانَ صَفَا
نَحْنُ فِي مَجْمَعِ أُنْسٍ وَإِخَاءٍ وَوَفَا
هَلْ وَجَدْتُمْ هُنَا إِلَّا فُؤَاداً قَدْ هَفَا
وَجَنَاحاً مِنْ سُرُورٍ بِالتَّلَاقِي رَفَرَا

○ ○ ○

إِنَّ لِي مِنْ بَعْدِ تَرْجِيئِي لَدَيْكُمْ مَوْقِفَا

○ ○ ○

قِصَّةٌ أَعْرِضُهَا عَرَضَ إِخَاءٍ عُرِفَا
قِصَّةٌ فِي بَحْرِ عُمْرِي جَعَلْتَنِي مُرْهَفَا
كَمْ بِهَا مِنْ تَافِهَاتٍ تَتَرَاءَى طُرَفَا
إِنَّهَا لِي مُبْكِيَاتٌ مُضْنِيَاتٌ أَسَفَا
بِتْ لَيْلِي أَتْلُوْى فِي فِرَاشِي مُدْنَفَا

○ ○ ○

عَاصِفٌ مِنْ ذِكْرِيَّاتٍ وَعِظَاتٍ . عَصَفَا
هَاتِفٌ فِي عُمُقِ صَدْرِي بِحَنَانٍ هَتَفَا
قَالَ لِي: يَا شَيْخُ أَكْثَرْتَ بِجَهْلٍ سَرَفَا

مَنْ يُجَازِفَ فَيُقَارِفَ فَلْيَحَازِرْ نَلْفَا

○ ○ ○

أَوْ مَا يَكْفِيكَ أَنَّ الْقَرْنَ فِيكَ أَنْتَصَفَا
مَرْكَبُ الْعُمْرِ إِلَى سَاحِلِهِ قَدْ أَزَفَا

○ ○ ○

بَيْنَ عَيْنَيْكَ - إِذَا أَبْصَرْتَ - نَهْجُ الْمُصْطَفَى
لَمْ تَمْشِي فِي الزَّوَايَا مَائِلًا مُنْعَطِفًا؟
إِنْ تَجِدْ فِي الْحَرْفِ مَا تَهْوَى تَكُنْ مُنْحَرِفًا
أَوْ يُصَادِمَكَ هَوَى النُّفْسِ تَكُنْ مُنْجَرِفًا
هَمُّكَ الدُّنْيَا وَأَهْوَاءُ بِهَا لَنْ تَقِفَا
كُلَّمَا أَعْطَيْتَهَا جَدًّا بِهَا مَا أَلْحَفَا
تُهْمِلُ الْجَيِّدَ إِذْ تَعْلَقُ مِنْهَا الْحَشَفَا
تَحْسَبُ الْمُسْعِدَ أَنْ تُكْثِرَ مِنْهَا التَّرَفَا

○ ○ ○

أَيْنَ أَخْرَاكَ وَمَا قَدَّمْتَهُ مُسْتَعِطِفَا
ثَمَنُ الْجَنَّةِ لَا يُدْفَعُ إِلَّا سَلَفَا
كُلُّ مَا تَجْمَعُ تَمْضِي عَنْ ثَرَاهُ أَسَفَا
سَوْفَ لَا تَلْقَى لَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ مَصْرَفَا
سَتَرَى أَنَّكَ قَدْ أَدْرَكْتَ فِيهِ الْخُرَفَا
حِينَ عَلَّقْتَ بِهِ الْقَلْبَ وَزِدْتَ الشَّغَفَا
إِنَّ مَنْ أَهْمَلَ أُخْرَى عُمْرِهِ مَا أَنْصَفَا
خَاسِرُ الْعُمْرِ الَّذِي ضَيَّعَهُ أَوْ أَتْلَفَا
دُونَ أَنْ يَغْرِفَ فِيهِ مِنْ جَنَانٍ غُرَفَا

○ ○ ○

عِنْدَهَا أَذْرَكْتُ تَقْصِيرِي . وَدَمْعِي وَكَفَا
عِنْدَهَا نَادَيْتُ رَبِّي يَا لَطِيفاً لَطِفاً
عَوْنَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي أَنْتَ حَسْبِي وَكَفَى

○ ○ ○

قَالَ لِي الْهَاتِفُ: جِدَّ السَّعْيِ يَا مَنْ أَسْرَفَا
رُبَّمَا عَوَّضْتَ مَا ضَيَّعْتَ فِيمَا سَلَفَا
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ مَنْ إِنْ خَرَقَ الثُّوبَ رَفَا
وَعَنِ التَّقْصِيرِ وَالْآثَامِ خَوْفاً عَرَفَا
وَلِفِعْلِ الْخَيْرِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهِ انْعَظَفَا

○ ○ ○

إِنَّ رَبِّي عَرَفَ الْجَنَّةَ لَمَّا عَرَفَا
وَدَعَانَا مِنْ طَرِيقِ الصَّبْرِ حَتَّى نَشْرُفَا

○ ○ ○

هَذِهِ قِصَّةُ نَفْسِي يَا صَحَابِي الْحُنَفَا
هَلْ أَرَى فِيكُمْ لِنَفْسِي فِي حَيَاتِي مُسْعِفَا
قِصَّتِي قِصَّةُ جُلِّ النَّاسِ يَا مَنْ عَرَفَا

بمناسبة المجاعة العظيمة التي حدثت في إفريقية القارة السوداء هذه الأيام،
وقيام لجان جمع التبرعات، لمساعدة المنكوبين والمتضررين، في هذه المجاعة التي
يتساقط فيها عشرات الألوف موتى من الجوع، كتبت هذه القصيدة، ودفعت بها
إلى جريدة «الندوة» عن طريق الصحفي الأديب الأستاذ محمد أحمد الحساني، ثم
نشرت في جريدة «رابطة العالم الإسلامي»، وهي بعنوان:
«المجاعة والواجب»

المجاعة والواجب

الرُّزُّ وَاللَّحْمُ فِي الْقُمَامَةِ
تَمُرُّ أَرْتَالُ جَائِعِيهِمْ
يَشْتَدُّ فِي الْبَحْثِ عَنْ طَعَامٍ
يَعْبُرُ مِنْ جُوعِهِ الْفَيَافِي
وَأُمِّ طِفْلٍ مَاتَتْ تَرَاهُ
وَأَكْلٍ لَحْمَهُ تَرَاهُ
يَقْضُمُ أَظْفَارَهُ عَسَاهَا
وَوَاهِنٍ خَلْفَهُ تَهَاوَى
أُلُوفُهُمْ يَسْقُطُونَ مَوْتَى

○ ○ ○

لَا لَوَمٍ فِي الرِّزْقِ فَهُوَ جَمٌّ
الرِّزْقُ فِي أَرْضِنَا وَفِيرُ
وَشُحْنَا يَصْنَعُ التَّجَنِّي
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ أَنْتُمْ
كَمْ أَتَلَفَ الْغَرْبُ مِنْ ثِمَارِ
ضَنُّوا بِهِ أَنْ يَقِلَّ سِعْرًا
يُفِيضُ رَبِّي وَيَسْتَلِيهِمْ
وَمَا اسْتَجَابُوا لِمَا هَدَاهُمْ

لَكِنْ عَلَى فَعَلِنَا الْمَلَامَةَ
وَفَعَلْنَا يُفْسِدُ اغْتِنَامَهُ
وَوُظِّلْنَا يُفْسِدُ اقْتِسَامَهُ
مِنْ ذَا؟. فَهَلْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ؟
وَكَانَ شَيْطَانُهُ إِمَامَهُ
إِذَا هُمُو أَفْلَتُوا زِمَامَهُ
لَكِنَّهُمْ حَلَّلُوا حَرَامَهُ
لَهُ. وَلَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَهُ

(١) جِمامه: الجِمامُ الموت.

كَيْ يَصْنَعَ الْمَوْتَ بَلْ زُؤَامَهُ^(١)
 قَدْ حَارَبَتْ فِي الْوَرَى نِظَامَهُ
 شَدَّ عَلَى شَعْبِهِ لِحَامَهُ
 فَالْبُؤْسُ فِيهِ أَرْخَى ظِلَامَهُ

كَمْ بَدَّدَ الشَّرْقُ جُهْدَ شَعْبٍ
 وَاسْتَوْرَدَ الْقَمَحَ مِنْ بِلَادٍ
 فِي الشَّرْقِ وَفَرَّ. لَكِنْ نِظَامُ
 الشَّرْقِ أَضْنَى الْحَيَاةَ بَأْسًا

○ ○ ○

حَبَاكُمُ الْخَيْرَ وَالْكَرَامَةَ
 عَلَى أَخٍ لَمْ يَجِدْ طَعَامَهُ
 إِنْ تَبَذَّلُوهُ يُرَوِّي أَوَامَهُ^(٢)
 يُشْبِعُ شَعْبًا. يَشْفِي ارْتِطَامَهُ
 وَتَغْنُمُوا بَعْدَهُ السَّلَامَةَ
 وَرَاقِبُوا اللَّهَ وَانْتِقَامَهُ
 رَبِّ الْبَرَائَا بِالْاِسْتِقَامَةِ
 فِي يَوْمٍ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ
 وَلَا تَظُنُّوا الدُّنْيَا سَلَامَةً

يَا قَوْمَنَا رَاقِبُوا إِلَهًا
 مِنْ فَضْلِ أَفْرَاحِكُمْ أَفِيضُوا
 بَعْضُ الَّذِي تُهْرِقُونَ كِبْرًا
 بَعْضُ الَّذِي تُسْرِفُونَ فِيهِ
 إِنْ تَبَذَّلُوهُ تُحْيُوا نُفُوسًا
 تَذَكَّرُوا غَابِرَ اللَّيَالِي
 أَلَا ارْحَمُوا تُرَحِّمُوا. وَأَرْضُوا
 وَحَازِرُوا قَوْمَنَا عِقَابًا
 وَحَازِرُوا دَوْرَةَ اللَّيَالِي

(٣٠ بيتاً)

مكة المكرمة في ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية

(١) زُؤَامه: الموت الزؤام هو الموت الكريه.

(٢) أَوَامه: الأوام العطش.

طلبت مني زوجتي السيدة عائدة الجراح أستاذة الثقافة الإسلامية والغزو الفكري بقسم الطالبات في جامعة «أم القرى» قصيدة تصلح للإلقاء في احتفال نسائي بقسم الطالبات في الجامعة، لترغب المدعوات إلى هذا الحفل وهنّ فضليات نساء مكة، للتبرع لصندوق البرّ، وهو صندوق خيري أسس في القسم، تشرف عليه «جمعية البرّ» وهي جمعية من عضوات هيئة التدريس والإداريات، وزوجتي إحداهن، لمساعدة الطالبات الفقيرات وأسرهن، وسائر منسوبات الجامعة من ذوات الحاجة، وغيرهن من خارج الجامعة.

فكتبت لها هذه القصيدة في السادس من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هجرية، وألقتها في الحفل الذي أقيم لهذه المناسبة، وكان لها تأثيرها الحسن في اللواتي حضرن هذا الحفل الخيري الميمون، وهي بعنوان:

«صندوق البرّ»

صندوق البر

لَنَا أَرْضٌ بِرَايَةِ خَصِيبَةٍ حَسَانُ ثَمَارِهَا مِنَّا قَرِيبَةٍ
فَمَنْ يَزْرَعُ بِهَا شَجَرًا يُصِبُّهَا جِنَانًا ذَاتَ فَاكِهَةٍ عَجِيبَةٍ
وَمَنْ يَزْرَعُ بِهَا حَبًّا وَعُشْبًا يَجِدُ وَفَرَ الْحَصَادِ بِهَا نَصِيبَةٍ
يُضَاعِفُ حَبَّهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا بَعْشَرٍ قَدْ ضُرِبْنَ عَدَا الرُّطِيبَةِ
هَلُمَّ ادْخُلْنَ جَنَّتُكُنَّ فِيهَا تَرِينَ ثَوَابِكُنَّ بِهَا. وَطِيبَةِ
وَبَابُ الْبِرِّ مَدْخَلُكُنَّ فِيهَا وَمَا تَبْدُلْنَ مِنْ دُنْيَا قَشِيبَةٍ (١)
وَفِي يَدِكُنَّ مِفْتَاحُ صَغِيرٍ بِهِ تَمْلِكُنَّ خَيْرَاتِ حَبِيبَةٍ
بِهِ تَسْعَدْنَ فِي جَنَاتِ خُلْدٍ بِمَا تَطْلُبْنَ مِنْ مُتَعِ رَغِيبَةٍ
وَمَا مِفْتَاحُهَا السَّحَرِيُّ إِلَّا عَطَاءٌ يُسْعِدُ الْكَفَّ الْجَدِيبَةِ
عَطَاءٌ يَجْعَلُ الْمَكْرُوبَ فَقْرًا يُدَاوِي مِنْ بِلَاسِمِهِ كُرُوبَهُ

○ ○ ○

لَنَا أَرْضٌ بِرَايَةِ خَصِيبَةٍ حَسَانُ ثَمَارِهَا مِنَّا قَرِيبَةٍ
فَتَحْنَا «بَنِكَ» الْأَسْتِمَارَ فِيهَا فَمَنْ يُسْهِمُ بِهِ يَمْلَأُ جُيُوبَهُ
وَيَمْلِكُ فَارَهَا ثَمَرًا وَظِلًّا وَيَبْنِي كُلَّ شَامِخَةٍ رَحِيبَةٍ
أَيَا أَخَوَاتِنَا اسْتَمِرْنَ فِيهَا فَخَيْرَاتِ السَّمَاءِ بِهَا صَبِيبَةٍ (٢)

○ ○ ○

يَدُ الْمُسْكِينِ سَائِلَةٌ فَهَلَّا مَسَحْتُمْ بُؤْسَهَا يَدِ مُجِيبَةٍ

(١) القشيب: الجديد، ثوب قشيب: أي جديد، وقديم خَلَقَ فهو من الأضداد.

(٢) صبيبة: الصبيب العسل الجيد.

فَمَنْ يَمْسَحْ دُمُوعاً سَاخِنَاتٍ وَقَاهُ اللَّهُ أَيَّاماً عَصِيبَةً
وَمَنْ يَبْخُلْ وَيَقْبِضْ رَاحَتَيْهِ فَوَجَّهُ الدَّهْرَ يُعْطِيهِ قُطُوبَهُ
وَإِنْ تَمَسَّسَهُ فِي يَوْمٍ خُطُوبُ فَمَا أَحَدٌ يُزِيلُ لَهُ خُطُوبَهُ
وَمَنْ لَمْ يَدَّخِرْ لَغَدٍ ثَوَاباً أَتَتْهُ مِنْ يَدِ الْعَدْلِ الْعُقُوبَةُ

○ ○ ○

وَلِفِرْدَوْسٍ مِنْ جَنَّاتٍ خُلِدِ دُرُوبٌ فَاتَّخِذْنَ لَهُ دُرُوبَهُ
وَرَاِحَلَةُ الْعَطَاءِ بِهَا رَكُوبُ كَرِيمٌ. عَزَّ مَنْ أَغْنَى رَكُوبَهُ

○ ○ ○

هَذَا مَنْ شَاءَ الْاِسْتِمَارَ نَمَى «بَيْنَكَ» الْبِرُّ مِنْ رِبْحٍ نَصِيهَةٍ

(٢٢ بيتاً)

مكة المكرمة في ١٤٠٣/٥/٦ هجرية

في هذه القصيدة بيان أن السفيه ناقص العقل هو الذي يعرض نفسه لعقوبة الله وهو يعلم، وذلك بارتكاب المعاصي وكبائر الإثم، اتباعاً لهواه أو شهوته، مهما كان في أمور دنياه ذكياً.

فإبليس بسفاهته قال على الله شططاً كما ذكر عقلاء الجن، والمنافقون سفهاء ناقصو العقول، كما وصفهم الله بقوله في سورة (البقرة: ٢): ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الآية ١٣).

وعلماء اليهود في المدينة إبان تحويل القبلة، وصفهم الله بأنهم سفهاء، فقال عز وجل في سورة (البقرة: ٢):

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ (الآية ١٤٢).

والسبب في ذلك تجرؤهم على الله بالمعاصي.

وإذ كان المتجرئ على الله بالمعاصي وارتكاب كبائر الإثم سفياً كان من المناسب أن يسهم الشعر في بيان هذه الحقيقة بصورة أدبية، مع تحليل يكشف سبب سفاهته، وقد وضعت لهذه القصيدة المشتعلة على ذلك عنوان: «سفاهة الأثيم»

سفاهة الأثيم

نَطَقَتْ نَزْوَةُ الْأَثِيمِ بِفِيهِ
فِيهِ دَاءُ الْهَوَى لِكُلِّ شَهِيٍّ
دَاوُهُ سَاقُهُ إِلَى كُلِّ إِثْمٍ
هُوَ هَيْمَانُ ظَامِيٍّ لِلْمَعَاصِي

○ ○ ○

إِنْ يَغِبْ عَنْكَ سَاعَةً فَهُوَ لِصٍّ
يَتَوَارَى عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ظَنًّا
رَبَّيْتُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ الْمَعَاصِي
هُوَ إِنْ لَمْ يَشْهَدْ رَقِيبًا عَلَيْهِ
يَتَعَدَّى فِي دَهْرِهِ كُلَّ حَدٍّ

○ ○ ○

أَيُّهَا الْأَثِيمُ الْجُهُولُ تَبَصَّرْ
لَا تَقُلْ غَفْلَةً مِنَ الدَّهْرِ جَاءَتْ
غَفَلَ الدَّهْرِ يَا صَفِيَّةُ عَنَّا
الْمُقَادِيرُ رَاصِدَاتُكَ مَهْمَا
وَلَيْنَ كُنْتَ صَاحِبًا تَتَخَفَى
أَنْتَ فِي الْبَحْرِ هَارِبٌ فِيهِ مِنْهُ
أَنْتَ فِي عَالَمِ امْتِحَانٍ وَمَهْمَا

○ ○ ○

كُلُّ كَسْبٍ جَزَاؤُهُ قَافِيهِ
لَكَ يَا نَفْسُ بِالْهَنَا فَارْشُفِيهِ
وَجَنَى الْحُبِّ قَدْ دَنَا فَاقْطِطِيهِ
أَسْكَرَتْكَ الْحَيَاةُ بِالتَّرْفِيهِ
ضَمَنْ غَارٍ فَرَاصِدَاتُكَ فِيهِ
فِي سِجْلِ الْأَرْضَادِ مَا تُخْفِيهِ
تَجْنِ شَيْئًا فَرَاصِدُ يَقْتَفِيهِ

فَاصْحُ وَاعْقِلْ وَاعْمَلْ لِأُخْرَاكَ وَاعْلَمْ
عَمَلُ مِنْكَ تَزْرَعُ الْخُلْدَ فِيهِ
أَنَّ زَادَ التَّقْوَى نَعِيمُكَ فِيهِ
بِرِضَا اللَّهِ خَيْرُ مَا تَصْطَفِيهِ

○ ○ ○

وَمَتَاعٌ تَجْنِي بِهِ سُوءَ عُقْبَى
تَتَّقِي بِاخْتِيَارِهِ اسْمَ سَفِيهِ

(١٩ بيتاً)

مكة المكرمة في ٢٧ ربيع الآخر ١٤٠٥ هجرية

قامت الخلافة الإسلامية التركية العثمانية أكثر من أربعة قرون، حاملة راية الجهاد والفتح الإسلامي، بقوة أرهبت الشرق والغرب.

ثم دبَّ إليها الضعف بعوامل الشيخوخة، والبعد عن جوهر الإسلام، والاكتفاء بالمظاهر. وتسلل اليهود والنصارى إلى داخلها بأشكال كثيرة من المكر والكيد والنفاق، حتى بلغ شياطين منهم مبلغ البطانة المستأمنة، العالمة بالأسرار وخفايا القوى، وبلغ آخرون منهم إلى احتلال مراكز خطيرة في الأجهزة العسكرية والسياسية، وفي المنظمات الاجتماعية والسياسية التي تتذرع بالديمقراطية، وصاروا في مواضع تسمح لهم بأن يكيدوا وهم آمنون.

وصدّر الغرب إلى شعوب الأمة الإسلامية فكرة القوميات التي مزّقت الوحدة الإسلامية، وأخذ الترك والعرب منها نصيباً كبيراً كافياً لهدم الخلافة الإسلامية وتمزيقها.

وتطلع المتنورون إلى الحضارة الغربية الحديثة مندفعين إلى استيرادها بخيرها وشرها، وغرق المستوردون لهذه الحضارة في استيراد فسقها وفجورها أكثر من استيراد علومها المادية.

وتطورت الأحداث، وحقق الأعداء مخططاتهم الكيدية ضد المسلمين، فمزّقوا السلطنة العثمانية، واقتسموا تركتها، وأسقطوا الخلافة الإسلامية، واستعمروا معظم العرب.

واتجه الترك الكماليون شطر العلمانية بعنف وإسراف، ثم لم يجن الترك من هذه العلمانية بعد ستين سنة تقدماً حضارياً، ولا قوة مادية أو اقتصادية.

وأخذت الصحوة الإسلامية تنبثق رويداً رويداً، بعد ليلٍ شديد الظلمة.

وإذا قضى الله واستمرَّ الترك يتابعون مسيرة الصحوة بوعي وأناة، استطاعوا بتوفيق الله ومعونته أن يستعيدوا مجدهم وقوتهم في العالم.

وهذه القصيدة بعنوان:

«اسطنبول» أو «إسلام بول»

تشتمل على ذكريات، وعظات، ودعوة إلى استعادة الإسلام بحق وصدق، فاستعادة الأجداد، أثارتها إجازة صيف قضيتها في تركيا بشوال ١٤٠٤ هجرية.

نشرت في جريدة «الندوة» بعددها (٨٧١٠) يوم ٢١ صفر (١٤٠٥) هجرية محذوفاً منها المقاطع الأخيرة، مع الإشارة إلى أنني أضفت إليها بعض الأبيات هنا.

«اسطنبول»، أو «إسلام بول»

يَاذَا الْجَنَاحَيْنِ حُطَّ الرَّحْلَ مُزْدَانَا
قَدْ كَانَ يَوْمًا هُنَا عِزٌّ وَسُلْطَنَةٌ
قَدْ كَانَ يَوْمًا هُنَا قَصْرٌ وَأَمِيرُهُ
الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ كَالْقِرْطَاسِ فِي يَدِهِ

○ ○ ○

مِنْ هَهُنَا انْطَلَقَ التَّكْبِيرُ فِي حَقِّهِ
فَكَانَ فَتْحًا. وَإِصْلَاحًا. وَتَبْيَانًا

○ ○ ○

مَاذُنُ الْعِزِّ فِي «الْبُسْفُورِ» أَذْهَلَنِي
أَهْيَ الرِّمَاحُ بِأَكْبَادِ الْعُدَاةِ قَذَى^(٢)
أَمْ الْأَذَانُ بِهَا قَدْ شَعَّ إِيْمَانًا

○ ○ ○

جَوَامِعُ الْمَجْدِ حَوْلَ الْبَحْرِ قَدْ نُظِمَتْ
دَلَّتْ عَلَى عِزَّةِ الْإِسْلَامِ فِي بَلَدٍ
كَالتَّاجِ وَالْعَقْدِ. إِيْمَانًا وَبَيَانًا
قَدْ كَانَ يَوْمًا يُظَلُّ الْكَوْنُ سُلْطَانًا

○ ○ ○

تَسْمَعُ النُّطْقَ فِي الْأَثَارِ تَلْقَى لَهُ
كُلَّ الْحِجَارَةِ فِيهَا سُطِرَتْ كُتُبٌ
تَرَوِينَ قِصَّةَ أَجْنَادٍ مُجَنَّدَةٍ
وَكَانَ بُشْرَى رَسُولِ اللَّهِ فَاتِحُهَا
أَصْدَاءُ تَحْكِيْنَ أَحْدَاثًا وَأَزْمَانًا
تَقْصُّ عَصْرًا طَوًى صِيدًا وَشُجْعَانًا
قَامَتْ إِلَى الْفَتْحِ أَشْيَاخًا وَمُرْدَانًا
نَعَمَ الْأَمِيرُ وَنَعَمَ الْجَيْشُ قَدْ كَانَ

(١) الْمُرَانُ: الرِّمَاحُ اللَّدْنَةُ الصُّلْبَةُ، وَاَحْدَثَهَا مُرَّانَةٌ.

(٢) الْقَذَى: مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ وَفِي الشَّرَابِ مِمَّا يُؤْذِي.

جَبَالَ أَسْوَارَهَا شَمْسًا وَبُرْكَانًا
فَكَانَ مِنْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانًا
وَزَادَهَا دِينُهُ عَطْفًا وَإِحْسَانًا
فِي سَجْدَةٍ حَطَّمَتْ فِي الْقَوْمِ صُلْبَانَا
وَلَمْ تَدَعْ فِي حَوَاشِي النَّفْسِ طُغْيَانًا
عَبْدُ. أَقْدِمِ لِلرَّحْمَنِ شُكْرَانَا
وَهُوَ الَّذِي زَادَنِي بِالِدَيْنِ إِيقَانَا

○ ○ ○

مُحَمَّدُ الْفَاتِحُ الْمِغْوَارُ مَرَّ عَلَى
جَاءَتْ لَهُ «آيَا صُوفِيًّا» تَرْتَجِيهِ نَدَى
أَهْدَى لَهَا الْعَفْوَ وَالتَّأْمِينَ مَكْرَمَةً
وَحَرَّ لِلَّهِ إِذْ جَاءَتْهُ رَاكِعَةً
فِي سَجْدَةٍ كَتَبَتْ فِي الْأَرْضِ سِفْرَتُنِي
يَقُولُ لِلنَّاسِ فِيهَا: إِنِّي بَشَرٌ
فَهُوَ الَّذِي قَدْ حَبَانِي نَصْرَهُ كَرَمًا

تَهْدِي. إِلَى الْحَقِّ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا
إِنْ تَرْضَ تَمْنَحْ لِأَهْلِ الْعَدْلِ تَبْجَانًا
وَحِكْمَةً وَتَقَى تَحْمِي وَإِتْقَانًا
قُرُونُهَا قَبْضَةٌ لَمْ تَخْشَ أَقْرَانَا

○ ○ ○

هَذَا الْخِلَافَةُ كَانَتْ عِزَّةً وَهُدًى
هَذَا الْخِلَافَةُ كَانَ النَّاسُ يَرْهَبُهَا
كَانَتْ قِلَاعًا وَأَجْنَادًا مُجَنَّدَةً
قَوَاعِدُ الْحَقِّ أَرَسَتْ مَجْدَهَا حِقْبًا

عِظَامِهَا. وَوَهَتْ رَأْسًا وَأَرْكَانًا
لَا رُوحَ فِيهَا. وَأَخْلَاطًا. وَأَوْتَانًا
أَخْنَى الرَّدَائِلِ عِصْيَانَا وَكُفْرَانَا
مِنْ دَاخِلِ الْجِسْمِ مَا قَدْ زَادَ خُسْرَانَا
لِنَسْفِهَا. إِذْ غَدَتْ ثَوْبًا وَعِيدَانَا
لِلْمَكْرِ قُوَاتِهِمْ ظُلْمًا وَعُدُونَا
أَعْمَى. يَتَابِعُ زَنْدِيقًا وَشَيْطَانًا
كَيْمَا يُقَوِّضَ بُيَانًا فَبَيَانَا

○ ○ ○

ثُمَّ اسْتَكَانَتْ وَقَامَ السُّوسُ يَنْخَرُ فِي
وَأَصْبَحَ الدِّينُ فِي أَرْجَائِهَا صُورًا
وَصَارَ لِلْفِسْقِ أَسْوَاقُ تِبَاعٍ بِهَا
وَسَارَ فِي جِسْمِهَا مَكْرَانِ صَمْتُهُمَا
مَكْرُ الْيَهُودِ وَمَكْرُ الْغُرَبِ قَدْ سَعَا
وَالْفَاسِقُونَ الَّذِينَ اسْتَغْرَبُوا جَمَعُوا
وَأَنَسَاقُ فِي مَحْفَلِ «الْمَاسُونِ» ذُوْبِلِهِ
وَاسْتَجْمَعَ الْكَيْدُ أَسْبَابًا بِلَا عَدَدٍ

وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الشَّهْمُ خَصْمَهُمْو لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِي الْحَقِّ أَعْوَانَا

○ ○ ○

يَا تُرْكُ عُدُّوْا إِلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ تَعُدُّ إِلَى بِلَادِكُمْو أَمْجَادُ عُثْمَانَا

(٣٤ بيتاً)

تركيا - شوك شدره في ٣٠ شوال ١٤٠٤ هجرية

بمناسبة أسبوع المساجد، وانعقاد المجلس الأعلى العالمي للمساجد، وإثر حفل التكريم لأعضاء هذا المجلس الذي أقامه النادي الأدبي بمكة المكرمة في غرة ربيع الثاني ١٤٠٥ هجرية، ألهمني الله هذه القصيدة حول المسجد، وهي بعنوان:

«حوار مع المسجد»

حوار مع المسجد

قَادِنِي الْخَطُوءُ فَأَنْعَظْتُ لِبَيْتٍ
قُلْتُ: مَا ذَلِكَ الْجَلَالُ وَهَذَا
قُلْتُ: يَا بَيْتُ. أَنْتَ بَيْتُ لِرَبِّي؟
أَدْعُهُ وَحْدَهُ. وَلَا تَدْعُ شَيْئاً
لَا تَكُنْ مُشْرِكاً بِهِ أَيَّ شَيْءٍ
قُمْ لَهُ عَابِداً. وَرَتِّلْ كَلَاماً
وَتَعَهَّدْ لِقَاءَهُ فِي رِحَابِي
وَاتَّخِذْ مَجْلِساً لَدَيَّ لِتَتْلُو
وَتَدَبِّرَ خِطَابَهُ. وَتَفَكِّرَ
حِينَ تَتْلُو الذِّكْرَ الْحَكِيمَ تُنَاجِي

○ ○ ○

أَنَا بَيْتٌ لِلَّهِ يَا عَبْدَ رَبِّي
طَهَّرِ الثُّوبَ وَالْفُؤَادَ وَأَخْلِصْ
وَتَطَيَّبْ حِسّاً وَمَعْنَى وَحَازِرْ
وَتَزَيَّنْ. وَكُنْ أَنْيَقاً رَفِيقاً
لَا تَرِدْهُ وَأَنْتَ تُؤْذِي صَحَاباً
وَتَعَهَّدْ مَوَاطِئِي بِطَهْوَرٍ
وَاجْتَنِبْ فِي جَوَانِسِي كُلَّ لَغْوٍ

فَاحْتَوَانِي بِرُوحِهِ الْمُتَوَقِّدِ
السِّرِّ وَالنُّورِ؟ قَالَ: إِنِّي مَسْجِدٌ
قَالَ: إِنِّي لِلَّهِ. فَاعْبُدْ وَوَحِدْ
مَعَهُ دُونَهُ. وَسَبِّحْ وَمَجِّدْ
أَهْوَنَ الشِّرْكَ لِلْعِبَادَةِ مُفْسِدٌ
مِنْهُ. وَارْكَعْ مَعَ التَّضَرُّعِ وَاسْجُدْ
وَمِنَ اللَّيْلِ قُمْ لَهُ وَتَهَجَّجْ
فِيهِ آيَاتِهِ. وَرَتِّلْ وَجُودَ
وَاشْغَلِ الْقَلْبَ فِي مَعَانِيهِ وَاحْشُدْ
مُنْزِلَ الذِّكْرِ. فَاسْتَرِدْ مِنْهُ وَاسْعُدْ

○ ○ ○

فِي رِحَابِي تَرَى الْجَمَاعَةَ جِسْمًا
وَتَرَى كُلَّ وَاحِدٍ فِيَّ جَمْعًا
أُمَّتِي أُمَّةُ الْإِخَاءِ وَعِنْدِي
قَادَةُ الْفَتْحِ مِنْ غِرَاسِ رِحَابِي
جَامِعَاتُ الْعُلُومِ هُنَّ بَنَاتِي
سَارِيَاتِي أَبْرَاجُ أَحْبَارِ عِلْمٍ
وَعَلَى مِنْبَرِي تَصُولُ أَسْوَدُ

○ ○ ○

إِذَنْ اللَّهُ فِي عُلاهِ بِأَنْ أُرَ
أَنَا بِالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ وَبِالْعِلْدِ
لَا بِنَقْشٍ وَزِينَةٍ وَرُسُومٍ
بَيِّدَ أَنَّ الَّذِي يُوسِّعُ أَرْضِي
فَجَزَى اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ بَنَاتِي

○ ○ ○

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْمُطِيعُ لِمَوْلَا
وَابْتَغِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَتَضَرَّعْ
أَصْغِرْ عِنْدِي لِمَنْ يُذَكِّرُ بِالْخَيْرِ
وَإِذَا مَا انْصَرَفَتْ عَنِّي فَادْكَرْ

○ ○ ○

هَهُنَا أَقْفِلِ الْجَوَارُ. وَأَرْحَى
وَقَبِلْتُ النُّصْحَ الْجَلِيلَ وَإِنِّي

(٣٥ بيتاً)

مكة المكرمة في ٣ ربيع الأول ١٤٠٥ هجرية
وبعضها في ٢٨ منه.

خاتمة

هذا ما ألهمني الله جمعه في هذا الديوان، مما كتبتُ من شعر يتعلق بمنهاج الدعوة وتوجيه الدعاة.

وإني أعلم أنني لم أستوف كل ما ينبغي بيانه في منهاج الدعوة، لأن ذلك يتطلب سبراً مستقصياً كل التوجيه التربوي القرآني، الذي وجه الله به رسوله في مجال دعوته، وتبليغ رسالة ربه منذ مراحل التنزيل الأولى، حتى آخر آية نزلت من القرآن، مع تدبر قواعد هذا المنهج، وضوابط حركة السير فيه، وسبراً مستقصياً لكل سيرة الرسول ﷺ، مع التأمل والتدبر لاستخلاص التطبيقات المتعلقة بمنهاج الدعوة وحركة السير فيه، وسبراً مستقصياً لأقواله التوجيهية في هذا المجال.

على أن ما نهت عليه في القسم الأول من هذا الديوان يعتبر مهماً جداً، وهو يشتمل على كبرى قواعد هذا المنهج، وأما ما جمعته من شعر في القسم الثاني من هذا الديوان فهو نماذج مما كتبت من شعر في موضوعات الدعوة، قد يرى فيها القارئ بعض التطبيقات المناسبة.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ منه في صباح يوم الأحد ٢٦ جمادى الآخرة من سنة ١٤٠٥ هجرية و ١٧/٣/١٩٨٥ م.

عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني

فهرس

الصفحة	عنوان القصيدة	البيت الأول منها	عدد الأبيات
١٣ (١)	أمة الدعوة	أمة نحن عدول	
١٧ (٢)	شموع ودموع	حينما ندعى شهوداً فخرنا جامعة فيها الأمل	١٦
٢٣ (٣)	سنن الله لا تعاند	أمها أم السهول والقلل من حاد عن سنة الله الحكيم جفا	٥٥
٢٧ (٤)	منهاج السببية في الدعوة إلى الله	نهج الصواب وضل السعي واقترفا	٢١
٣١ (٥)	سنة التدرج في الدعوة إلى الله	يا داعي الله أتبع في الهدى سبياً واختر لكل بعيد ما به جُلِّبا	٣٢
٣٥ (٦)	الرفق في الدعوة إلى الله	ناشدتك الله أن لا تركب العجلا وأن تكون رشيداً تتقي الزللا	٤١
٣٩ (٧)	القدوة الحسنة	منهج الرفق منهج الرسل يا دعاة لأقوم السُّبُل	٢٦
٤٣ (٨)	الداعي الحكيم	أيها الداعي استقم. ولتكن قدوة للناس مستحسنة	٨
٤٧ (٩)	انتصار الدعوة وظهورها أعظم من ظفر الداعي	يا داعياً بعض من تدعو تقربه وسيلة. وسواه قد تبعده	٢٠
		يا داعي الله للداعين أسباب ودون أنفس كل الناس أبواب	١٩

٥١ (١٠) من قواعد الدعوة توجيه
العناية لطالب الهداية ..

٥٥ (١١) معالم على طريق العودة

٦١ (١٢) مهمة الداعي إلى الله

٧١ (١٣) الشمس والإسلام
جديدان دائماً

٧٩ (١٤) دين دولتنا الإسلام

٨٥ (١٥) بمناسبة الاحتفال ببناء
معهد التوجيه الإسلامي
في جامع منجك

٩٥ (١٦) مشرق شمس الإسلام

١٠١ (١٧) يا أرض مكة

١٠٧ (١٨) محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار
رحماء بينهم

١١٥ (١٩) رسول ورسالة ومستجيون

١٢٣ (٢٠) قومي والإسلام

١٢٩ (٢١) الرسول العظيم في

سورة الضحى

هَٰذِي رَبِّ الْوَرَى لَأَكْرَمَ بَرٍّ

٢٠ خذ يا داعياً خيراً وَبِرٍّ

يا أمة الحق والإيمان والرشد

٤٩ أما كفتك عظات الحاضر النكد

أيها الداعى إلى الله اذكر

٢٩ أنت حمال بيان للبشر

لِلرَّسُولِ الْمُخْتَارِ فَيُضِجْ جَنَانِي

٧٩ فلقد عَيَّ في البيان لسانِي

نغمات لها الدنى أصداء

٧٨ رددتها الأملاك فالأنبياء

عجب للنجوم فوق الهضاب

٨١ وغريب تسيارها في الرحاب

أمن همسات الماء ما شحن الصدر

٥٥ ومن وشوشات النحل ما انتحل الشعر

يا أرض مكة ما هذا الندى العطر

٧٠ ما ذلك النور في قطريك متشرب؟!

البيت والحرمان هزهما الطرب

١٠١ ويخيل يثرب مسّها الشوق اللّجب

سيد الخلق وفخر المشرق

١٢٤ وصيا زان وجه الأفق

قد ساد أمر خطير

١٠٣ نضيق منه الصدور

مى الشمس تمتد عند الضحى

٨٢ فتملاً أفياءنا بالضياء

- ١٦٤ (٢٢) رضيت بالله تعالى رباً
١٣٥ وبالإسلام ديناً
وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً:
- رضيت بالله رباً
ودينه لي ديناً ١٣٢
- ١٤٧ (٢٣) الصراع بين الحق والباطل
إذا اضطرع الحق والباطل
فمن منهما الصائل الجائل؟ ١٣٤
- ١٦١ (٢٤) دعاء
يا ربنا اغفر لنا الزلات واعف فما
لمذنب دونك اللهم من أمل ١٠
- ١٦٣ (٢٥) ذكرى رحلتي إلى الحج
سقيتني الوجد حتى هاجني الولع
وقلت: هيا. فإن السفر قد هرعوا ٤٤
- ١٦٩ (٢٦) جبل النور
سلام على الوادي سلام على الجبل
وصوب التحايا للسفوح وللقلل ١٩
- ١٧٣ (٢٧) إني معكم أسمع وأرى
يا من همتم في ناديك
إن الرحمن يناديكم ١٢
- ١٧٥ (٢٨) سعادة القلب في
مناجاة الرب
أجل سعادتي علم وتقوى
لها ما بين أضلاعي وجيب ٢٦
- ١٧٩ (٢٩) نفحات من
الموسم العظيم
في رحاب البيت الحرام وفود
سادة مسلمون بيض وسود ٩٠
- ١٨٥ (٣٠) اليأس أكبر خطوب
الشعوب
لا تسليني عن همومي لا تسلي
لا تقل لي: أي شيء قد حصل ٦٣
- ١٩١ (٣١) الأمة الإسلامية الواحدة
سائلي عن أمتي
أمتي خير الأمم ٣٩
- ١٩٥ (٣٢) قصة مأساة أمتي
أمتي كانت عليّة
وعلى الباغي عصية ١٠٠
- ٢٠٣ (٣٣) فتنة الحرم وعظاتها
فتنة قد دُبرت في الظلمات
لانتهاك الحرمات الكُبريات ٦٠

٦٩	مرت قرون عشرة قرنت بأربعة آخر	٢١١ (٣٤) عند المنصة في الحرم أقطاب مسلمة الأمم
١١	إن مجدي كنز مليء البطون بنفيس المكيل والموزون	٢١٧ (٣٥) التراث العظيم
٥١	إنه ليس حفيدي هو فكر غير صالح	٢١٧ (٣٦) الجد يتبرأ
٢٢	لك النداء يا أنا تراك من أنت هنا	٢٢٥ (٣٧) يا أنا
٤٩	يا ضيوفاً في الشفا زدقمونا شرفاً	٢٢٩ (٣٨) ذكريات في الشفا
٣٠	الرز واللحم في القمامة وأمة لاترى القمامة	٢٣٣ (٣٩) المجاعة والواجب
٢٢	لنا أرض براية خصيبة حسان ثمارها منا قريبة	٢٣٧ (٤٠) صندوق البر
١٩	نطقت نزوة الأثيم بفيه فرمى العاقلين بالتسفيه	٢٤١ (٤١) سفاهة الأثيم
٣٤	يا ذا الجناحين حطّ الرجل مزدانا إذا وصلت إلى اسطنبول نشوانا	٢٤٥ (٤٢) اسطنبول أو «إسلام بول»
٣٥	قادني الخطو فانعطفت لبيت فاحتواني بروحه المتوقد	٢٥١ (٤٣) حوار مع المسجد

مجموع أبيات الديوان ٢٢٦٣ بيتاً

من أدب الدعوة الإسلامية

سلسلة شعرية ونثرية في الأدب الإسلامي
كتبها جميعها الأستاذ الشاعر عبد الرحمن حسن حينكة الميداني

صدر منها

- ١ - آمنت بالله (شعر)
 - ٢ - ترنيمات إسلامية (شعر)
 - ٣ - مبادئ في الأدب والدعوة (نثر)
 - ٤ - ديوان: أقباس في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة (شعر)
- (بيان وشعر)

في سلسلة أعداد الاسلام

سلسلة ترصد خطط أعداد الإسلام، وتفضح مكائدهم
ودسائسهم، وترسم منهج النجاة من مفاصلهم

كتبها جميعها الكاتب الفضال الأستاذ عبدالرحمن جنبكة الميداني، وصدر منها:

- ١ - مكاييد يهودية عبر التاريخ.
- ٢ - صراع مع الملاحدة حتى العظم.
- ٣ - أجنحة المكر الثلاثة.
- ٤ - الكيد الأحمر.
- ٥ - غزو في الصميم.
- ٦ - كواشف زيوف المذاهب الفكرية المعاصرة.